منبر الإسلام

السنة (٦٠) العدد (٧) رجب ١٤٢٢هـ
سبتمبر - أكتوبر ٢٠٠١ م الثمن ١٠٠ قرش

مع العدد هدية الفردوس مجلة «الطفل المسلم»

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

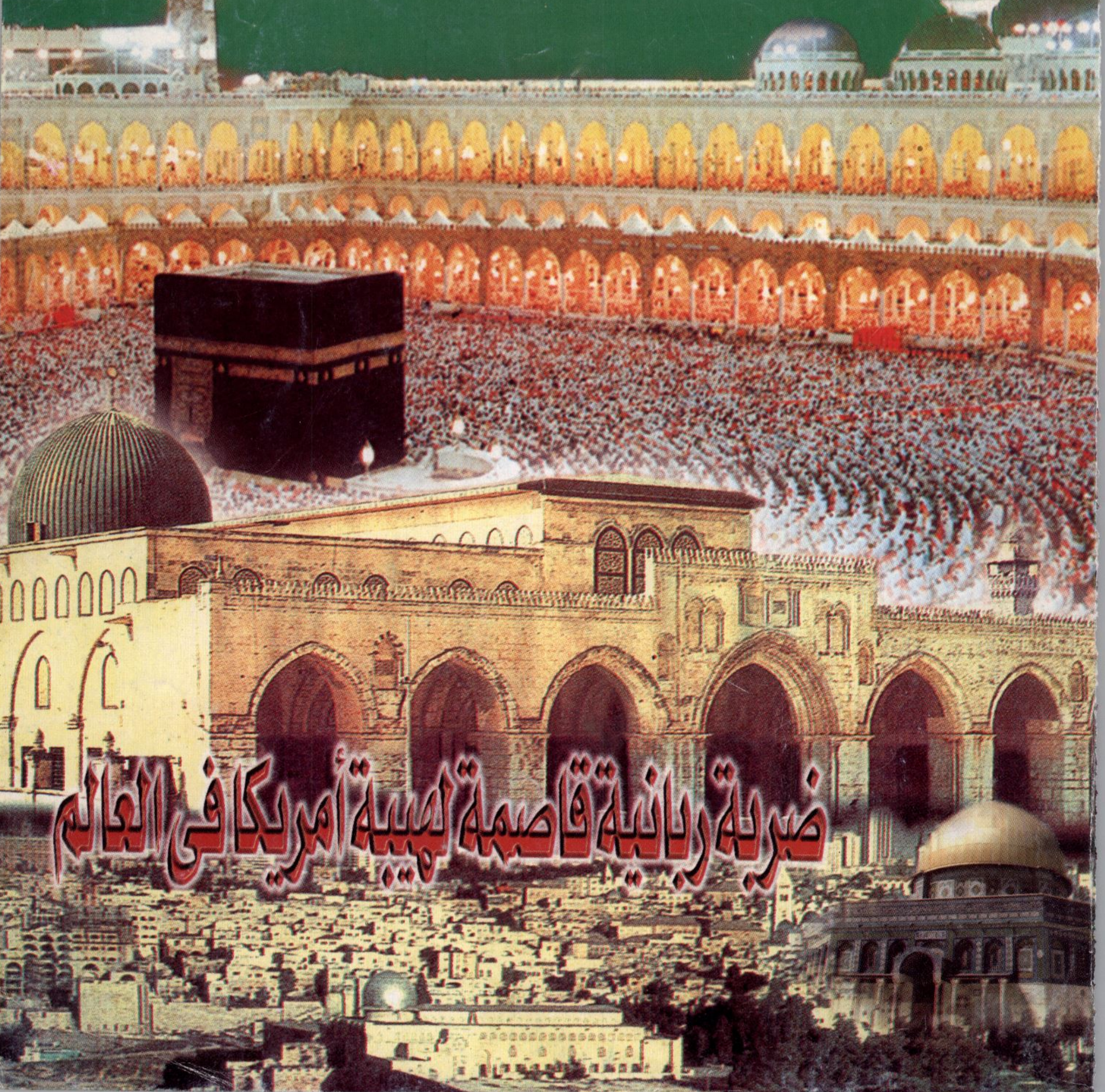

ضربة ربانية قاصمة لهيبة أمريكا فى العالم

من محتويات العدد

❖ تفسير سورة النجم

أ. د. محمد سيد طنطاوى

❖ أمريكا تحت الهجوم والفزع يجتاح الولايات المتحدة

أ. د. عبدالصبور مرزوق

❖ هل التفسير العلمى للقرآن حرام؟

أ. رجب البنا

❖ أضواء على الإسراء والمعراج

أ. د. حسين عباس الأنصارى

❖ الإسلام والانتماء الوطنى والقومى

أ. د. محمد عمارة

❖ العقيدة.. البعد الغائب فى الصراع العربى الصهيونى

أ. د. محمد السيد الجليند

❖ الصحة والمرض فى منظور الإسلام

أ. د. عبدالمعبود عمارة

❖ الرسول ﷺ وصدق الإيمان

أ. محمد عبدالعزيز عوض

غلاف الشهر

• معالم عامة للمسجد الحرام والمسجد الأقصى فى مدينة القدس التى لم يسكت الصراع حولها من قديم الزمان ولم يسكت إلا إذا استردها المسلمون، ولن يستردوها إلا إذا كانت لهم قوة فى جميع جوانب الحياة، ومن قبل ذلك كله بالوحدة بين رفقاء التاريخ والعقيدة والمستقبل.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى ـ « بريد جوى »

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات :

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤

تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

يصدر هذا العدد فى شهر رجب والأمة الإسلامية تستعد للاحتفال بآيتى الإسراء والمعراج اللتين أيد الله بهما نبيه واستنقذ قلبه الكريم من مشاعر الحزن ليكون أقدر على مواجهة متاعب الدعوة ومكابدة الأعداء، فى حين يتعرض القدس الشريف لأبشع ألوان الظلم والعدوان، ويتعرض الشعب الفلسطينى وهو يدافع عن مقدساته وأرضه وعرضه للقتل والتدمير على أيدى الصهاينة الذين لم يتورع جنودهم عن قتل الأطفال والشيوخ، وقاموا باختطاف وتعذيب وقتل المدنيين، بالإضافة إلى اعتداءات شبه يومية على الممتلكات الفلسطينية وإحراق وتدمير المزارع فى وحشية وهمجية. كما لجأت قوات الاحتلال إلى سياسة الاغتيالات والتصفية الجسدية للكوادر الفلسطينية.

فهل يليق بنا ونحن نحتفل بالإسراء والمعراج هذا العام أن نصنع ما تعودنا أن نصنعه فى السنوات السابقة من حفل يقام وقصة تحكى ولا نفكر لحظة تفكيرا جادا يحفزنا إلى أن نقول - فى مواجهة صادقة مع النفس - بأية صورة نحتفل بالإسراء والمسرى على وشك الضياع؟!

إن هذا يعنى أن نلتمس أسلوبا آخر للاحتفال بالإسراء، الأسلوب الذى يعرفه الأعزاء والكرماء وأولو الألباب من الناس، الأسلوب الباحث عن العبرة المستمسك بالموعظة، الذى يتحرى الدروس النافعة، إذ أن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، فهل نرى مع هذه الذكرى جديدا يحقق الأمل ويدنى الغاية البعيدة؟!

وهانحن نقدم لقارئنا العزيز كل مايختص بالقدس وقضايا الصراع العربى - الإسرائيلى، إلى جانب أبحاث ومقالات وأبواب ثابتة تجعل هذه المجلة دائرة للمعارف الإسلامية والثقافية.

﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾

حديث الشهر

أمريكا تحت الهجوم

والفزع يجتاح الولايات المتحدة

أ.د. عبد الصبور مرزوق

ما جرى قبل أيام فى الولايات المتحدة لم يكن مستبعدا أبدا من الذين يدركون سنن الله فى الآفاق وفى الأنفس، ويعلمون جيدا أن من سننه سبحانه فى قيام الدول وسقوطها واندثار الحضارات وازدهارها أن يكون الإفساد فى الأرض مقدمة حتمية لانهيار الدولة أو الحضارة التى تشيع الفساد والإفساد.

ولأن من حكمته سبحانه فى إرشاد خلقه وهدايتهم أن حدد عناصر الإفساد فى الأرض فى عوامل ثلاث إذا تجمعت كان من الحتم أن تنهار الدولة وتندثر الحضارة. وجاء فى مقدمتها جميعا: عنصر الاستبداد والطغيان.

وهو ما جعل القرآن نموذجه متمثلا فى «الفرعون» الذى لخص القرآن خلائقه فى الاستعلاء على الخلق والاستبداد بالعباد كما أشارت الآية: **﴿إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين﴾** القصص: آية ٤.

❖❖❖

ولا يرتاب أحد فى العالم كله اليوم أن أمريكا هى فرعون عالمنا المعاصر، وقد أغراها بهذه الفرعنة ما أحرزته من إنجازات علمية هائلة سبحت بها فى آفاق الفضاء، وتفوقت بها على العالم.

وزاد فى إغرائها بالفرعنة ما تملكه اليوم من تفوق عسكرى مذهل أصابها بغرور

هجمات انتحارية على رموز الاستعلاء العسكرى والاقتصادى

القوة. وكما قال فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات: آية ٢٤، قالت أمريكا إنها سيدة العالم وابتكرت لعصرنا تنظيرا جديدا يفرض «الأمركة» على العالم فيما عرف باسم «العولمة».

وبغرور القوة والفرعنة أصابها الصمم عن الاستماع لأصوات الشعوب فى بقية أنحاء العالم، ولم يعد يهمها أن يرضى العالم كله أو يغضب مادامت قد أصبحت القوة الأولى فى العالم ولاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتى.

فإلى جوار «الأمركة» المسماة زيفا بالعولمة، فرضت على العالم اتفاقيات «الجات» و«التربس» التى تعنى حقوق الملكية الفكرية، وتعنى كذلك حرمان شعوب العالم من الانتفاع بعطاء العلم إلا إذا دفعوا ثمنه من دمائهم أضعافا مضاعفة.

❖❖❖

وتحركت الشعوب الفقيرة فى مؤتمر «سياتل» تنكر على مؤتمر الدول الصناعية الكبرى احتكارهم للسلطة والثروة والعلم وحرمانهم من الانتفاع به، ونجحت مظاهرات «سياتل» فى الحيلولة دون إصدار القرارات الاحتكارية التى تضر بمصالح العاملين فى قطاع الزراعة.

❖❖❖

وبتأثير القوة والثروة نسيت أمريكا نفسها وبدأت علنا فى مناصرة الظلمة ومغتصبى الحقوق، وبدا ذلك جليا فى مساندتها وانحيازها العلنى لإسرائيل ضد الحق العربى للشعب الفلسطينى الذى يقتل كل يوم بالأسلحة، وطائرات الفانتوم الأمريكية الصنع.

❖❖❖

وفى مؤتمر «ديربان» بجنوب أفريقيا، وقفت أمريكا بجانب إسرائيل فى مواجهة العالم كله الذى أدان إسرائيل واعتبرها دولة عنصرية واعتبر الصهيونية قرينا للعنصرية.

وقفت أمريكا وإسرائيل وحدهما فى وجه العالم كله غير مباليتين بما تتركه مثل هذه

المواقف المنحازة من آثار سلبية ضد أمريكا لدى جميع شعوب العالم.

وتحقق وعيد القرآن

وفى ساعة من نهار صباح الثلاثاء ١١/٩/٢٠٠١م بالتوقيت الأمريكى، فوجئ العالم كله وهو يتابع أخبار الهجوم الصاعق الذى استهدف رموز القوة والثروة، ويحمل عناصر الهيمنة والغطرسة الأمريكية على العالم ممثلة فى «البنتاجون» - وزارة الدفاع الأمريكية - والمهيمنة على كل مصادر قوة أمريكا فى مختلف أنحاء العالم، ثم البيت الأبيض، ثم أعلى وأضخم بنايات فى الولايات المتحدة ناطحتى سحاب إحداهما: بارتفاع «١١٠» مائة وعشرة طوابق، وأخرى مجاورة له بأقل قليلا فى ارتفاعه.. وإلى جوارهما حظى بالهجوم المركَّز «مركز التجارة العالمى» ومواقع أخرى شملها الهجوم.

❖❖❖

وأخطر ما كشف عنه الهجوم أن أجهزة المخابرات ودروع الصواريخ وسفائن الفضاء والعقول الالكترونية وأجهزة التنصت الهائلة..

فتشوا أكثر فى سياستكم المنحازة لإسرائيل والمعتدية على المستضعفين فى الأرض

كل هذه القوة عجزت عجزا تاما وأصبحت فى حالة شلل أمام هذا الهجوم الذى لم تستخدم فيه الصواريخ عابرات القارات، وإنما استخدمت فيه طائرات مدنية أمريكية أقلعت من قلب المطارات الأمريكية وربما بطيارين أمريكيين، وطبعا بوقود أمريكى هائل.

وأقلعت الطائرات على مرأى ومسمع من الجميع ثم توجهت فى «عز النهار» لتخترق الأبراج وتدمر المنشآت.

❖❖❖

وتعرضت أمريكا رئيسا وحكومة وشعبا وتاريخا ومكانة لأقسى وأكبر مالم تحلم به من العجز والمهانة لم تتعرض لمثلها عبر التاريخ، وعلى يد من؟ لا أحد يعرف.

إنها تحذير وتذكرة لأمريكا ولكل فراعنة الأرض أن يتذكروا جميعا أن للقرآن نواميسه وسننه التى تمهل الظالم والطاغية لكنها لا تهمله - أبدا لاتهمله.

ثم ليتذكر من يعبدون أمريكا من حكام العالم أن المستحق للعبادة هو الله وحده.

القرآن الكريم وعلومه

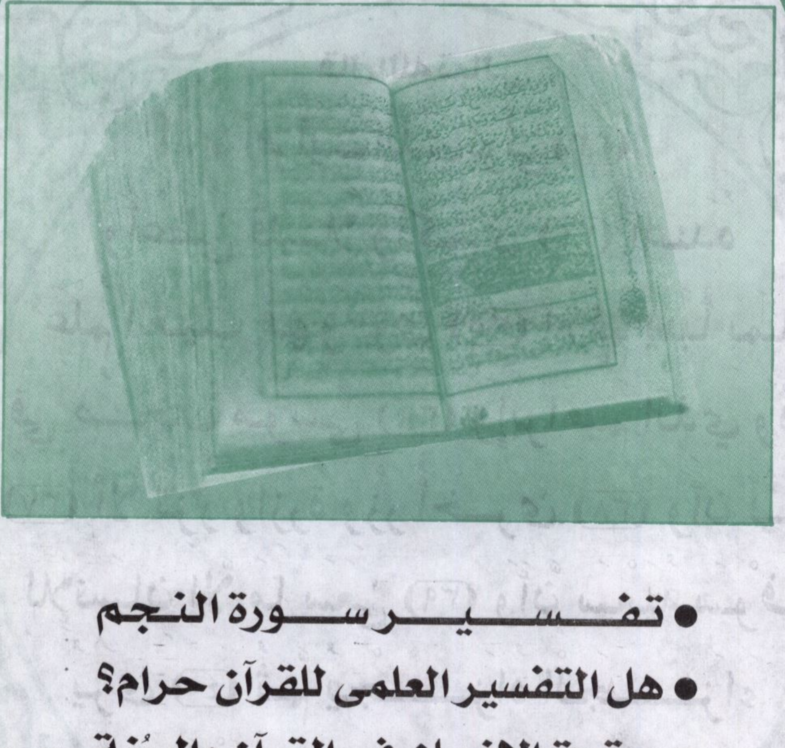

- تفسير سورة النجم
- هل التفسير العلمى للقرآن حرام؟
- حقوق الإنسان فى القرآن والسُنّة
- خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة النجم

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣)
وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ
عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا
فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ
(٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ
لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَىٰ (٤١)﴾

النجم: ٣٣ ـ ٤١

١ ـ بعد أن بين سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة جانبا من مظاهر فضله ورحمته بعباده، حيث تجاوز سبحانه وتعالى عن صغائر الذنوب، متى تاب صاحبها توبة صادقة، فقال: **﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾**.

بعد ذلك أخذت السورة الكريمة فى الحديث مرة أخرى عن الكافرين، وفى الرد على شبهاتهم.. وقد ذكر المفسرون روايات فى سبب نزول قوله تعالى: **﴿أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى﴾** منها: أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة، وكان قد سمع قراءة النبى ﷺ فهمَّ أن يدخل فى الإسلام، فعاتبه رجل من المشركين وقال له: أتترك ملة آبائك وأجدادك؟ ارجع إلى دينك، واثبت عليه، وأنا أتحمل عنك كل شىء تخافه فى الآخرة، لكن على أن تعطينى كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عما هم به من الدخول فى الإسلام، وأعطى بعض المال لذلك الرجل، ثم أمسك عن الباقى وبخل به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

٢ ـ والاستفهام فى قوله سبحانه وتعالى: **﴿أفرأيت﴾** للتعجيب من حال هذا الإنسان، الذى تولى عن الهدى، بعد أن عرف الطريق إليه.

أى: أفرأيت ـ أيها الرسول الكريم ـ حالا أعجب من حال هذا الإنسان، الذى تولى عن الهدى، ونبذه وراء ظهره، بعد أن قارب الدخول فيه.

«وأعطى قليلا» من العطاء **«وأكدى»** أى: ثم قطع ذلك العطاء، وبخل به.

قال صاحب الكشاف: **«وأكدى»** أى: وقطع عطيته وأمسك. وأصله إكداء الحافر، وهو أن تلقاه كُدية، وهى صلابة كالصخر، فيمسك عن الحفر»(١).

والمراد به هنا: ذمه بالبخل والشح ونقض العهد، بعد ذمه عن التولى عن الحق والإعراض عنه، وقوله تعالى: **﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾** أى: أعند هذا الإنسان الذى أعرض عن الرشد، علم الغيوب المستترة عن الأعين والنفوس، فهو وحده يراها، ويطلع عليها، ويعلم أن فى إمكان الغير أن يحمل عنه أوزاره وذنوبه يوم القيامة؟!!

كلا، إنه لا علم عنده بشىء من ذلك، وإنما هو قدراته على أعقابه، لانطماس بصيرته، بعد أن قارب الرشد والصواب.

فالاستفهام فى قوله: **﴿أعنده علم الغيب﴾** للنفى والإنكار.

وقدم سبحانه وتعالى الظرف **«عنده»** وهو مسند، على **«علم الغيب»** وهو مسند إليه، لإفادة الاهتمام بهذه العندية، التى من أعجب العجب ادعاؤها، وللإشعار بأنه بعيد عنها كالبعد بين الأرض والسماء.

والفاء فى قوله تعالى تعالى: **﴿فهو يرى﴾** للسببية، ومفعول **«يرى»** محذوف. أى: فهو بسبب معرفته للعوالم الغيبية، يبصر رفع العذاب عنه، ويعلم أن غيره سيتكفل بافتدائه من العذاب.

٣ ـ ثم وبخه ـ سبحانه وتعالى ـ على جهالاته وعدم فهمه فقال الله تعالى: **﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفَّى ۝ ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾**.

و**«أم»** هنا للإضراب الانتقالى من ذمه على

إعراضه وبخله، إلى ذمه على جهله وحمقه، وصحف موسى: هى التوراة التى أنزلها سبحانه وتعالى عليه، وصحف إبراهيم: هى الصحف التى أوحى الله تعالى إليه بما فيها، وقد ذكر سبحانه وتعالى فى قوله: **﴿إن هذا لفى الصحف الأولى﴾ صحف إبراهيم وموسى﴾**.

وخصت صحف هذين النبيين الكريمين بالذكر، لأنها كانت أشهر من غيرها عند العرب، وكانوا يسألون أهل الكتاب من اليهود عما خفى عليهم من صحف موسى.

وقدم ـ سبحانه وتعالى ـ صحف موسى هنا: لاشتهارها بسعة الأحكام التى اشتملت عليها، بالنسبة لما وصل إليهم من صحف إبراهيم. وأما فى سورة الأعلى فقدمت صحف إبراهيم على صحف موسى، لوقوعها بدلا من الصحف الأولى، وصحف إبراهيم أقدم من صحف موسى، فكان الإتيان بهما على الترتيب الزمنى أنسب بالمقام.

وحذف ـ سبحانه وتعالى ـ متعلق «وفَّى» ليتناول كل ما يجب الوفاء به، كمحافظته على أداء حقوق الله، واجتهاده فى تبليغ الرسالة، ووقوفه عند أوامر الله تعالى ونواهيه.

وقوله: **«تزر»** من الوزر بمعنى الحمل، وقوله: «وازرة»، صفة الموصوف محذوف. أى: نفس. والمعنى: إذا كان هذا الإنسان المتولى عن الحق، جاهلا بكل ما يجب العلم به من شئون الدين، فهلا سأل العلماء عن صحف موسى وإبراهيم، ففيها أنه لا تحمل نفس آثمة، حمل أخرى يوم القيامة.

قال الألوسى: وقوله: **«ألا تزر وازرة وزر أخرى»**: أى أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ليتخلص الثانى من عقابه، ولا يقدم فى ذلك قوله ﷺ: **«ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»**. فإن ذلك وزر الإضلال الذى هو وزره ولا وزر غيره(٢).

٤ ـ وقوله تعالى: **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾** معطوف على ما قبله، لبيان عدم إثابة الإنسان بعمل غيره، إثر بيان عدم مؤاخذته بذنب سواه.

أى: كما لا تحمل نفس آثمة حمل نفس أخرى، فكذلك لا يحصل الإنسان إلا على نتيجة عمله الصالح، لا على نتيجة عمل غيره. فالمقصود بالسعى فى الآية: السعى الصالح، والعمل الطيب، لأنه قد جاء فى مقابلة الحديث عن الأوزار والذنوب.

وقوله تعالى: **﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾**: بيان لثمرة هذا السعى الصالح يوم القيامة.

أى: ليس للإنسان إلا ثمرة عمله الصالح دون زيادة أو نقصان، وهذا العمل الصالح، سوف يراه مسجلا أمامه فى صحف مكرمة، وفى ميزان حسناته، ثم يجازيه الله تعالى عليه الجزاء التام الذى لا نقص فيه ولا بخس.

وفى رؤية الإنسان لعمله الصالح يوم القيامة، تشريف وتكريم له، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ الحديد: آية ١٢.

٥ ـ هذا وقد توسع العلماء فى الجمع بين قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾ وبين النصوص التى تفيد أن الإنسان قد ينتفع بعمل غيره، وهذه خلاصة لأقوالهم:

قال الإمام ابن كثير: «ومن هذه الآية استنبط الشافعى ومن تبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بالأقيسة والآراء.

فأما الدعاء والصدقة، فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»، فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله(٣).

٦ ـ قال الجمل فى حاشيته على الجلالين: «واستشكل الحصر فى هذه الآية: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾، بقوله تعالى فى آية أخرى ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء**﴾، وبالأحاديث الواردة فى ذلك، كحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**».

وأجيب: بأنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى، لأنها حكاية لما فى صحفهم، وأما هذه الأمة فلها ما سعت هى، وما سعى لها غيرها، لما صح من أن لكل نبى وصالح شفاعة، وهو انتفاع بعمل الغير، ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الإنسان بمالم يعمله مالا يكاد يحصى، فلا يجوز أن تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وحينئذ فالظاهر أن الآية عامة، قد خصصت بأمور كثيرة.

ثم قال الشيخ الجمل ـ رحمه الله ـ: «وقال الإمام ابن تيمية: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله، فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة.

أولها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبى ﷺ يشفع لأهل الموقف فى الحساب، ثم لأهل الجنة فى دخولها.

ثالثها: أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر فى الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعى الغير.

رابعها: أن الملائكة يستغفرون ويدعون لمن فى الأرض، وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط ـ أى: من المؤمنين ـ بمحض رحمته. وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم. وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال الله تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾، فانتفعا بصلاح أبيهما لا بسعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق، بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور، أو الصوم المنذور، يسقط عن الميت بعمل غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادى عشر: المدين امتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه، حتى قضى دينه أبو قتادة، وانتفع بصلاة النبى ﷺ وهو من عمل الغير.

ثانى عشر: أن النبى ﷺ قال لمن صلى وحده: **«ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه»**، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالث عشر: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الغير، إذا قضاها عنه قاض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشر: أن من عليه تبعات ومظالم، إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشر: أن الجار الصالح ينفع فى المحيا وفى الممات - كما جاء فى الأثر - وهو انتفاع بعمل الغير.

سادس عشر: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن معهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشر: الصلاة على الميت والدعاء له فى الصلاة، انتفاع للميت بصلاة الحى عليه، وهو عمل غيره.

ثامن عشر: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذا الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشر: أن الله - تعالى - قال: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾**، وقال: **﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾**. فقد رفع الله - تعالى - العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

تمام العشرين: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعى له فيها.

ثم قال - رحمه الله - : ومن تأمل العلم وجد انتفاع الإنسان بمالم يعمله، مالا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة، على خلاف صريح الكتاب والسنة، وإجماع الأمة»(٤).

٧ - والخلاصة: أن الآية الكريمة - وهى قوله تعالى - : ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾. قد تكون من قبيل العام الذى قد خص بأمور كثيرة - كما سبق أن أشرنا - وقد تكون مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى - عليهما السلام - لأنها حكاية عما فى صحفهما، أما الأمة الإسلامية فلها سعيها، ولها ما سعى لها به غيرها، وهذا من فضل الله - تعالى - ورحمته بهذه الأمة.

وقد قال بعض الصالحين فى معنى هذه الآية: ليس للإنسان إلا ما سعى عدلا، ولله تعالى - أن يجزيه بالحسنة ألف فضلا.

ولهذه المسألة تفاصيل أخرى فى كتب الفقه، فليرجع إليها من شاء، وبالله التوفيق.

الهوامش:

١ - تفسير الكشاف جـ٤ ص٣٣.
٢ - تفسير الألوسى جـ٢٧ ص٦٦.
٣ - تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٥٨.
٤ - راجع حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص٢٣٦.

أ. رجب البنا

هل من حق العلماء أن يقرأوا القرآن؟

وإذا قرأوا القرآن ووجدوا فيه إشارات إلى حقائق علمية لم يتوصل إليها أحد إلا منذ سنوات وتساءلوا: كيف توصل الرسول ﷺ إلى هذه الإشارات والحقائق وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب؟ هل من حقهم أن يتحدثوا بما رأوا فى القرآن - هذا ما يفعله د/ زغلول النجار - أو نقول لهم: اسكتوا، فليس من حقكم أن تتكلموا حتى فى علوم تدخل فى اختصاصكم؟.

هل التفسير العلمى للقرآن حرام؟

فهم القرآن فى ضوء العلم:

فالدكتور زغلول النجار أولا وقبل كل شىء أستاذ فى علوم الأرض، وليس أستاذا فى التفسير أو الفقه.. وهو ليس داعية من الدعاة ولا ينافسهم.. ولا هو من علماء الدين ولم يدّع ذلك.. هو من رجال العلم، ولا يتكلم - حتى الآن - إلا فى تخصصه، وكل مافى الأمر أنه مسلم، وأنه يقرأ القرآن، كما يقرؤه كل مسلم، ويؤمن أن هذا القرآن كتاب هداية للبشر أولا وأخيرا، وأنه نزل لهداية البشر فى شئون العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق، وفى القرآن - بالإضافة إلى كل ذلك - أكثر من ألف آية صريحة عن مكونات هذا الكون، ليس المقصود بها أن تكون نظريات أو قوانين علمية، لأن التوصل إلى الحقائق العلمية من اجتهاد الإنسان، ولكن فهم القرآن فى ضوء الحقائق العلمية دليل إضافى - بعد الأدلة العقلية والمنطقية والتاريخية - على وجود الله فى مواجهة ادعاءات المنكرين الملحدين، ودليل على أن هذا القرآن من عند الله ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

عالم مجتهد.. لماذا نهاجمه؟

العلماء يقرأون القرآن.. ويتحدثون عما وجدوه فيه مطابقا للحقائق العلمية الثابتة التى توصلت إليها العلوم الحديثة.. وهم يتحدثون كعلماء ولا يتحدثون كفقهاء أو دعاة.. ولا ينازعون علماء التفسير والفقه والشريعة فى اختصاصهم.. فهل هذا حرام؟، وهل هذه جريمة تستحق أن نقول لهم: اسكتوا.. لا تعلنوا شيئا عن الإعجاز العلمى أو التفسير العلمى للقرآن.. واكتموا ما توصلتم إليه؟! وإذا كان هؤلاء العلماء - ومنهم زغلول النجار - يعلمون ويعلنون أن الإعجاز العلمى للقرآن لا يجوز أن يوظف فيه إلا الحقيقة الثابتة فى كل علم، وحتى إذا توصل العلم إلى ما يخالف ما نعرفه اليوم كحقيقة علمية، فهذا لا يسىء إلى القرآن ولا يغير منه، لأن ما قاله العلماء اجتهاد من اجتهادات البشر.. يرد عليه الصواب والخطأ.. وإذا أصاب المجتهد فله أجران.. وإذا أخطأ فله أجر..

إن كان كل هذا معلوما لكل العلماء الذين تحدثوا عن الإعجاز العلمى فى القرآن.. فلماذا الهجوم عليه؟.. وما الفائدة من هذا الهجوم؟ وما الهدف منه؟ ولمصلحة من؟ هل هم يسيئون إلى القرآن فيجب حماية كتاب الله من هذه الإساءة؟.. أو هل لديهم دوافع خبيثة لخدمة أعداء القرآن والمشككين فيه؟

ومع ذلك.. إذا كان المهاجمون لاجتهاد العلماء فى فهم القرآن يدافعون فى نفس الوقت عن حق من يشككون فى بعض جوانب العقيدة باسم حرية الفكر فكيف نمنع المدافعين عن القرآن بسلاح العلم، وهو سلاح هذا العصر؟

لماذا تكفل حرية الرأى للملحدين ولا تكفل للمؤمنين

□□□

فهم العلماء للقرآن ضرورة:

وقبل الدكتور زغلول النجار هناك عشرات العلماء قدموا اجتهاداتهم فى هذا المنهج لفهم القرآن فى ضوء العلم.. مثل الدراسات التى قدمها الدكتور عبدالعليم خضر، وهو أستاذ فى الجغرافيا له أبحاث عن الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، يثبت فيها أنه ليس هناك أى تعارض بين القرآن والعلم الحديث، وأن أمر الله فى القرآن **﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾** يونس: آية ١٠١، تعنى أن ينظر كل مسلم فى السموات والأرض بما لديه من مقدرة بالعقل.. بالقلب.. بأجهزة التصوير والتسجيل الدقيقة.. بالكمبيوتر.. بسفن الفضاء.. وكلما تقدم الإنسان خطوة استطاع أن يجد حقائق جديدة وكلها تؤكد له أن الله هو خالق ومنظم هذا الكون ولا يمكن إنكار وجود الله وقدرته، وأن القرآن كلام الله ولا يمكن أن يكون غير ذلك.. ودراسات الدكتور عبدالعليم خضر تشمل حركة الشمس ودورانها، وكيف تطورت رؤية العلماء لها بتقدم العلم، وكيف فهم المفسرون ما ورد فى القرآن عنها وتطور هذا الفهم كلما ظهرت حقائق جديدة عن الأجرام السماوية ومنها الشمس وتوابعها فى المجموعة الشمسية، وحركة دوران الشمس وكل الأجرام السماوية حول محور له دورانا مستمرا، وهذا جعل من يقرأ القرآن يفهم فهما جديدا آيات مثل: **﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾**، وكيف نفهم **﴿كل فى فلك يسبحون﴾** إذا لم نرجع إلى العلماء الذين اكتشفوا حركة الشمس والأجرام السماوية، واكتشفوا قوانين التوازن والجاذبية والنسبية والحركة لكى نفهم كيف تظل مواقع النجوم ثابتة، والأجرام وشمسها على مسافات وأبعاد تجعل لها جميعا مجالا للطواف والدوران دون تماس أو صدام.. كيف يتحقق فى الكون هذا الميزان الدقيق إذا لم تكن هناك قوة أقوى وأعظم.. هى الله **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾** الرحمن: آية ٧.

وكيف نفهم عظمة الخلق والخالق إذا لم يقل لنا العلماء إن قوانين التوازن والجاذبية والنسبية التى تحكم الكون من دوران الأرض حول الشمس، ودوران النظام الشمسى حول المجرة، ودوران المجرة حول مركز الأفلاك جميعا، إلى أن نصل إلى أصغر مافى الكون وهو **«الذرة»** التى اكتشف العلماء أنها تحتوى على نظام الطواف والدوران المدهش الموجود فى النظام الشمسى والذى يتكرر

فى عوالم المجرات.. وهذا النظام فى حركة ودوران الذرة مكون من إليكترونات تدور داخل الذرة بسرعة رهيبة حول النواة دون أن يصطدم إليكترون بآخر.. مع أن هذه الإليكترونات تدور حول النواة بلايين المرات فى الثانية الواحدة.. مرة أخرى.. تدور بلايين المرات وليس عشرات أو مئات أو آلاف أو ملايين المرات.. وليس فى السنة أو الشهر أو اليوم أو الساعة أو الدقيقة.. تدور بلايين المرات فى الثانية داخل الذرة التى لا يمكن رؤيتها بالعين.. فهل نمنع العلماء من إيضاح هذه الحقائق عندما يتوقفون عند آية مثل **﴿الشمس والقمر بحسبان﴾** الرحمن: آية ٥. أو قوله تعالى: **﴿وكل فى فلك يسبحون﴾**.

□□□

العلماء يوضحون حقائق علمية تساعدهم على الفهم الصحيح للقرآن

الأذان لا ينقطع فى أرجاء العالم:

وهل نمنع عالما مثل الدكتور عبدالعليم خضر من أن يضع أمامنا حقيقة أن الأذان يتردد فى الكرة الأرضية على مدار ٢٤ ساعة دون انقطاع.. ونداء الله أكبر لا يكاد يتوقف فى نقطة على الأرض حتى يبدأ فى نقطة أخرى.. مواقيت الصلاة محددة بحركة الشمس.. صلاة الظهر مثلا تحين فى وقت واحد فى كل البلاد التى تقع على خط الطول الواحد، ينطلق الأذان من كل المآذن فى لحظة واحدة وينتهى بعد ٤ دقائق تكون الشمس قد انتقلت خلالها على خط طول آخر، وقبل أن ينتهى الأذان يكون قد بدأ فى جميع البلاد التى تقع على خط الطول التالى.. وهكذا. والأرض تدور ٣٦٠ مرة كل ٢٤ ساعة ويترتب على ذلك اختلاف التوقيت المحلى للصلاة ساعة كاملة كل ١٥ درجة من درجات الطول، أى ٤ دقائق لكل منها، وهذا هو الوقت الذى يستغرقه الأذان، وبذلك فإن **«الله أكبر»**، تطوف حول الأرض دون انقطاع طول الليل وطول النهار وإلى يوم القيامة! فما ينتهى أذان الفجر حتى يبدأ الأذان لصلاة الظهر، وما يكاد ينتهى حتى يبدأ الأذان لصلاة العصر.. وهكذا..

لماذا يؤذى البعض إعلان هذه الحقائق العلمية التى لم تعد فى مجال الافتراض أو التخمين لكى توسع فهمنا لما جاء فى القرآن من ذكر لآيات الله فى الكون والحياة والإنسان؟

□□□

وكيف نفهم قول الله تعالى **﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾** الذاريات: آية ٢٠، وقوله تعالى: **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾** النازعات: آية ٢٧ وما بعدها، أو قوله تعالى: **﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾** الأنبياء: آية ٣١، وقوله سبحانه: **﴿والسماء ذات الرجع﴾ ﴿والأرض ذات الصدع﴾** الطارق: الآيتان ١١، ١٢. وقوله: **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾** فاطر: آية ٢٧.

بين المفسرين القدامى والعلماء المعاصرون:

آية مثل قوله تعالى: **﴿الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾** الزخرف: آية ١٠، قال فيها المفسرون: **مهدا:** أى مهددة كالبسط المفروشة، **سبلا:** أى طرقا، وقالوا إن المقصود أن الله جعل الأرض ممهدة أى معدة للإقامة عليها مع تكورها وسرعة دورانها، وجعل فيها سبلا وطرقا، وجعل لكم الأرض فراشا.. وهكذا وقال المفسرون عن الآية **﴿أو لم يروا أنا**

نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾، بأنها موجهة إلى كفار مكة، ويقول لهم الله ألم يروا أنا نأتى الأرض فنخربها ونهلك أهلها، أفلا تخافون أن نفعل بكم مثل ذلك.. وقال بعض المفسرين نقصان الأرض المقصود به موت العلماء.. وقال الفخر الرازى إن معنى الآية: أو لم يروا أن كل ما يحدث فى الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة، وموت بعد حياة، وذل بعد عز، ونقص بعد كمال، وإذن فقوة الله أمامكم.. الأمم القوية الغنية تكفر بنعمة الله فتنقص قوتها وتحصر فى رقعة ضيقة من الأرض بعد أن كانت ذات سلطان وامتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه.. ويمكن أن يكون المعنى أن الله تعالى ينقص أرض الكفر شيئا فشيئا.

ولكن العلماء ينظرون إلى الآية نظرة مختلفة.. يقولون إن سطح الأرض بعضه يابس مرتفع وبعضه يابس غير مرتفع، ومعظمه ماء.. وسطح الأرض اليابس ينقص إما بإزالة أجزاء منه ونقلها، وإما بإنقاص مساحته بهبوط شواطئه تحت ماء البحار المحيطة بها، فيكون إنقاص الأرض من أطرافها له وجهان محتملان: الأول ـ إزالة أجزاء من مرتفعات سطحها اليابس ونقلها والثانى هبوط بعض الشواطئ تحت سطح البحار وتغطيتها بالماء زمنا طويلا.. وهذه وتلك من حقائق العلوم التى لم تكن معروفة وقت نزول القرآن ولم تخطر على بال المفسرين إلى أن تم التوصل إليها أخيرا.

فهل هناك مانع من النظر إلى الآية وفهمها فى ضوء هذه الحقائق العلمية؟

نموذج آخر لتفسير العلماء المعاصرين:

وفى آية مثل: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾ قال المفسرون إنها تشير إلى أن الله أتم إعداد الأرض ذلولا أى سهلة مذللة لكى ينتفع البشر بكل ما فيها من معادن ونبات وحيوان وطيور وأسماك.. و.. الخ، وأن الله يذكرهم بنعمته عليهم لأن طول الألفة لحياتهم على الأرض واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها جعلهم ينسون نعمة الله وقدرته فى تذليلها وتسخيرها لهم.

ويرى العلماء أن وصف الأرض «ذلولا» وهو وصف يطلق عادة على الدابة، فالأرض التى نراها ثابتة وساكنة هى فى الحقيقة متحركة، ونحن فوقها كما نكون فوق الدابة، تجرى بسرعة دون أن تؤذى راكبها أو تلقى به ولا تتعثر خطاها.

يقول العلماء إن معجزة الخالق أن الأرض تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل فى الساعة، وتدور فى نفس الوقت حول الشمس بسرعة حوالى ٦٥ ألف ميل فى الساعة، وتركض الأرض والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل ٢٠ ألف ميل فى الساعة.. ومع كل هذا الركض يعيش الإنسان ويمشى وينام دون أن يشعر بارتجاج أو دوخة.. ودورة الأرض حول نفسها ينشأ عنها الليل والنهار.. ولو كان الليل سرمدا لجمدت الحياة كلها من البرد، ولو كان النهار سرمدا لاحترقت الحياة كلها من الحرارة.. ودورة الأرض حول الشمس تنشأ عنها الفصول الأربعة، ولو دام فصل واحد ما قامت الحياة كما نراها، أما الحركة الثالثة فلم يتوصل العلماء إلى حكمتها، ولابد أن لها ارتباطا بالتناسق الكونى الكبير.. والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها أثناء حركاتها الكبرى، وجعل لها الضغط الجوى لكى يسمح بسهولة الحركة فوقها، ولو كان الضغط الجوى أثقل من هذا لكان من المستحيل على الإنسان أن يتنقل ويعيش، فإما أن يعوقه وإما يسحقه بحسب درجة ثقل الضغط، ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان، أو انفجرت تجاويفه لزيادة الضغط الذاتى على ضغط الهواء حوله كما يحدث لمن يرتفعون فى طبقات الجو العليا بدون أجهزة لضبط وتكييف ضغط الهواء.

والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل سطحها من التربة اللينة الصالحة للحياة وللزراعة، ولو كانت كلها من الصخور كما يفترض العلم بعد برود الأرض وتجمدها لأصبحت الحياة والزراعة مستحيلة.

والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا على العناصر اللازمة للحياة وبنسب دقيقة لو اختلت فسوف يحدث الاختلال فى الحياة كلها.. نسبة الأوكسجين فى الهواء ٢١٪ تقريبا ونسبة الآزوت أو النتروجين ٧٨٪ تقريبا، والباقى من ثانى أكسيد الكربون بنسبة ٣ إلى ١٠ آلاف من الهواء، وعناصر أخرى.. وهذه النسب هى بالضبط النسب اللازمة للحياة على الأرض.

□□□

القرآن لكل البشر:

فمن حق كل إنسان أن يقرأه.. ومن واجب كل مسلم أن يقرأه.. ومن حق المفسرين أن يقرأوه فى ضوء تخصصاتهم.. أهل اللغة يقفون عند دلالة اللفظ ومعناه، ومعجزة البيان وتراكيب الجملة والآية، والتقديم والتأخير فى الكلمات، والموسيقى الداخلية التى تجعل للقرآن رنينا سماويا لا مثيل له.. وهكذا.. وأهل الفقه يقفون عند الأحكام الشرعية وما فى القرآن من الأوامر والنواهى والحدود والحلال والحرام.. وأهل العلوم الاجتماعية والسلوكية يقفون عند القيم والمبادئ الأخلاقية والسلوكية التى تحقق التوازن والانتظام فى حياة المجتمع.. علاقة الإنسان بأبويه وأبنائه وزوجه وأقاربه و.. و.. هكذا لا يستطيع مفسر واحد أن يدعى أنه قادر على أن يحيط بكل مافى القرآن من معان وحقائق وإشارات.. لأنه كلام الله.. ولو اجتمع أهل الأرض جميعا على أن يضعوا مثله أو يضعوا سورة أو آية مثله فلن يقدروا، وهذا التحدى قائم إلى يوم القيامة.. ومادام القرآن معجزة دائمة قائمة إلى آخر الزمان.. من الطبيعى أن يرى فيه أبناء كل عصر رؤية جديدة تناسب ما وصلوا إليه من تقدم عقلى وعلمى ومعرفى.

تطور العلوم المعاصرة وأثره:

وفى فترة كان الناس يعيشون مرحلة البداوة والجهل بحقائق الكون وأسرار الخلق فى الكون والأرض والإنسان والحيوان والطير.. وكانت علوم الجغرافيا والفلك وطبقات الأرض ووظائف الأعضاء وغيرها.. كانت بدائية.. وكان الناس يفهمون الآيات على قدر عقولهم وعلومهم.. والآن تقدمت العلوم، وأصبحت العقول أكثر قدرة على فهم ما كان غامضا فى كلام الله، وعندما يقرأ القرآن الآن علماء الفلك والجغرافيا أو علماء التشريح ووظائف الأعضاء، أو علماء النفس والاجتماع.. أو غيرهم فى جميع التخصصات.. لابد أن يلفت نظرهم أن فى القرآن إشارات إلى حقائق ثابتة فى علومهم.. فهل من حقهم أن يقدموا لنا رؤيتهم أو أن عليهم أن يكتموا ما لديهم ويسكتوا؟.. وإذا قالوا ما لديهم من تفسير علمى للقرآن أو أدلة على المعجزة الإلهية التى تتجسد فى القرآن هل فى ذلك فائدة لقضية الإيمان ودعم المؤمنين أو أن فيه أضرارا بالعقيدة؟

هذه أسئلة أرجو أن نسمع فيها رأى أصحاب الكلمة الثقاة مثل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى، بعد أن قال شيوخ الأزهر السابقون كلمتهم، وأيدوا هذا الاتجاه وناصروه من أمثال الشيخ محمد عبده، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسن مأمون، والشيخ عبدالحليم محمود، وغيرهم.. وغيرهم.. ولاتزال كلمات الله تتحدى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

فلماذا يريد البعض أن يمنع الذين يعلمون بعض الحقائق وبعض آيات الله فى الآفاق وفى أنفسنا من أن يقولوا كلمتهم؟!!

لماذا يريدون أن تكون حرية الرأى وحرية القول للملحدين.. ولا تكون للمؤمنين؟!!

أصول التربية من المنهج القرآنى

أ. د / مصطفى رجب

إن التربية القرآنية للأفراد والجماعات تتضمن منظومة قيمية رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها فى وحدة متسقة: اجتماعيا، ونفسيا، وخلقيا، ومن ثم فإنها تسير فى طريقين متوازيين لا ينفكان أبدا:

أولهما: يبدأ بالتنفير من السلوكيات الشائنة المستهجنة.

والثانى: يبدأ بالجذب إلى السلوكيات الرشيدة المستحسنة.

والتربية القرآنية تختلف عن التربية البشرية - مع اتحادهما فى الهدف إلى حد كبير - فى عدة جوانب أهمها:

أولا: أن التربية القرآنية صياغة إلهية محكمة:

لا تقبل جدلا، ولا يجرى عليها تغيير. وهناك فرق كبير بين كونها (محكمة) وبين كونها (جامدة) فالتربية التى لا تقبل جدلا ولا تغييرا لا نستطيع وصفها بأنها جامدة إلا إذا كانت بشرية المصدر، وصمم منتجوها على رفض التغيير، فتصبح أطروحاتهم جامدة يلفظها الزمن، ويتجاوزها التطور الإنسانى الحتمى المستمر.

وأما رفض التغيير والجدل لأن منظومة التربية (محكمة) بمعنى أنها صياغة إلهية، فذلك لأنها تحمل فى طياتها من المواصفات مالا ينفك - بالطبيعة - عن صفات البشر الذين هم - بطبيعتهم أيضا - صناعة وصياغة إلهية.

فالتربية القرآنية بهذه المثابة تتماس مع الخواص النفسية المركوزة فى فطرة البشر، فكأنها - بشكل أو بآخر - صمام أمان للسلوك الإنسانى إذا ما حاول الخروج على الفطرة (شروط ومواصفات خلق الإنسان).

ثانيا: أن التربية القرآنية (كاملة) والتربية البشرية (متكاملة):

بمعنى أن التربية القرآنية وحدة واحدة تحمل كل مقومات البقاء والعطاء، ولاتوجد بها ثغرة واحدة - منذ وجدت - فهى كاملة بحكم القدرة الإلهية المطلقة التى أوجدها.

أما التربية البشرية فهى (متكاملة) بمعنى أنها لم تنشأ بوضعها الحالى، وإنما بدأت على هيئة نظريات أخلاقية، ثم تحولت إلى نظريات نفسية: سلوكية ثم عقلية، ثم معرفية، وأصبحت الآراء فيها تتقارب وتتباعد، تلتقى وتفترق، تتوازى وتتقاطع، ومن ثم فقد اعتراها الاضطراب والتناقض واحتاجت - على مدى رحلتها كعلم - إلى الترقيع والتوفيق والتلفيق من حين لآخر حتى تستطيع الاستمرار.

ثالثا: التربية القرآنية تستغنى بنفسها عن العلوم الأخرى:

ذلك أن القرآن الكريم جاء صالحا لكل زمان ومكان ومن ثم فإن تشريعاته - بما فيها التربية الإنسانية - لا تحتاج إلى أية مساعدة بشرية، أما التربية البشرية فهى تحتاج إلى نتائج العلوم الأخرى وتستفيد منها، فكلما حدث تغيير فى مناهج علم الاجتماع أو علم النفس أو علوم السياسة والاقتصاد والفلسفة، تبع ذلك تطور حتمى فى مناهج البحث التربوى أدى بالتالى إلى تغير فى نظريات التربية وافتراضاتها ووسائطها وأساليبها.

رابعا: التربية القرآنية كلية، والتربية البشرية جزئية:

والفرق الجوهرى الرابع أن التربية القرآنية (كلية) لمعنى أنها تنظم سلوك الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا جاء وصفها بأنها (محكمة) لا تشابه ولا تناقض ولا تحتاج إلى ترقيع واستكمال، فإذا وصف (الإنسان) فى القرآن الكريم بصفة من الصفات (ظلوم، جهول، عجول، جاحد.. الخ) فمعنى ذلك أن كل صفة من تلك الصفات توجد فى كل إنسان من جنس البشر بدرجة من الدرجات قد تزيد أو تنقص، فالطبيعة البشرية - فى نظر القرآن - واحدة، وبقدر ارتفاع الصفات وانخفاض أخرى، ترتسم ملامح الإنسان، وتتحدد معالم سلوكه، وتتألف صورة شخصيته.

أما التربية البشرية فإنها جزئية، بمعنى أنها أنتجت لتعالج جزءا واحدا من سلوك الإنسان فعلم النفس التربوى يدرس عقل الإنسان: قدراته وإمكاناته، ومواهبه، ومن ثم فهو يهتم بالذكاء والتحصيل ومايعترى التحصيل المعرفى للإنسان من معوقات. ويحصر نفسه فى هذا المجال، أما علم الصحة النفسية فهو يهتم بالنفس الإنسانية من حيث السواء والاضطراب، فيدرس الهوس والجنون والوسوسة والكذب والصدق وفلتات اللسان وما يتصل بذلك من مشاعر داخلية كالإحساس بالذنب والقهر وتأنيب الضمير.. الخ.

وعلى الرغم من التجاور المعنوى بين (النفس) و(العقل) فإن مجالات البحث فى هذين العلمين التربويين متباعدة، ولكل منهما اختباراته ومقاييسه وأساليبه التقويمية الخاصة.. وتبقى مساحة مثل (الخيال) أرضا مشاعا بين العلمين!!

هذه التجزئة لا نلمسها فى التربية القرآنية ولانجد لها أثراً لأنها تقوم على (الكليات) لا على (الجزئيات).

خامساً: التربية القرآنية كونية عالمية، والتربية البشرية إقليمية محلية:

وإذا كانت التربية القرآنية مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان فإنها تتخطى حواجز المكان ولا تخضع للعوامل القومية والجغرافية والأيدلوجية التى تخضع لها نظم التربية البشرية، فالتربية البشرية تستمد مقوماتها من الدساتير والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف بين الناس وهى عوامل متغيرة من زمان لزمان، ومن مكان لمكان.

ففى الدولة الواحدة إذا انتقل نظام الحكم من الشمولية إلى الديمقراطية لاحظنا تغيرا تابعا فى نظم التعليم وأهداف التربية، ومناهج الدراسة، وطرق التعليم، وأساليب الإدارة.

وهذه العوامل كلها تختلف من دولة إلى أخرى، ومن حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى بيئة، ويكون لكل منها شخصيته الثقافية الخاصة ذات السمات المختلفة عن الأخرى.

أما التربية القرآنية فهى تصلح لكل البشر مهما اختلفت دياناتهم وثقافاتهم، فالتربية القرآنية حين تجرم الحسد والغيرة المبالغ فيها، والظلم، والسرقة، والكذب، والغش، والخداع، فإنها تستجيب بذلك لما يمكن أن نسميه بـ(مقومات الإنسانية الحقة) بقطع النظر عن أية عوامل أخرى يخضع لها الإنسان موضوع التربية. وإذا تحولت هذه الكليات السلوكية إلى تطبيقات عملية فى الإدارة ونظم التعليم وطرق التدريس ومناهج الدراسة أصبح هذا كله لونا من الإعجاز التربوى التشريعى الذى لا يدانيه إعجاز.

سادسا: التربية القرآنية لا تعرف العشوائية:

إن تقسيم التربية البشرية ـ أيا كان مصدرها ـ إلى تربية مقصودة وتربية غير مقصودة For mal and Non-Formal أو شكلية وغير شكلية، يجعل للممارسات التى تتم فى الشارع وعبر جماعات الرفاق وضعية تربوية مقننة معترفا بها، وهذا ليس واردا فى مجال التربية القرآنية لأنها تحسم سلفا مصادر التوجيه السلوكى، ولا تترك الإنسان ـ موضوع التربية ـ هدفا لأنماط سلوكية مقصودة وغير مقصودة تتقاذفه رياحها على غير هدى.

وسائط التربية القرآنية:

وتستخدم التربية القرآنية وسائط متعددة فى سبيل تحقيق أهدافها منها:

١ ـ **الكلمة:** حيث نجد الكلمة فى السياق القرآنى تؤدى وظيفة نفسية ذات أبعاد متعددة، مثل بعد الترغيب، بعد التنفير، بعد إثارة الفزع، بعد إثارة العطف والحنو، وتتعاون تلك الأبعاد المختلفة للوظيفة النفسية فتفعل فعلها فى شحن النفس بتيارات انفعالية جارفة تقوم بدور فاعل فى تعديل السلوك الإنسانى.

٢ ـ **المثل:** وقد تناولت دراسات متعددة العطاء التربوى للمثل القرآنى وما يفيض به من عوامل تأثير خاصة، قد يكون بعضها من خلال قصة يتضمنها المثل، وقد يكون بعضها من خلال عبارة المثل ذاتها.

٣ ـ **القصة القرآنية:** إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيرا، وأساسها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها معها، ولاشك فى أن أعظم سرد للقصة فى القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية إلى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحية الفنية ـ معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله ـ من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوى من أهمها، لما ينضوى تحته من قيم ثمينة، وعطاء سام متجرد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

الأهداف العامة للقصص القرآنى:

أولا: تأكيد العقيدة الإيمانية:

فالقرآن الكريم حين يقص علينا أنباء الأنبياء السابقين، وما حدث ممن أرسلوا إليهم من جحود

ونكران، وعدوان على شريعة الله، فهو بهذا يدعو أمة الإسلام إلى الاستمساك بحبل الله المتين، ودينه القويم، ودعوة الأنبياء جميعا واحدة وإن اختلفت الظروف التاريخية لكل نبى عمن جاء بعده.

وخلاصة تلك الدعوة كما يتضح من استعراض قصص الأنبياء فى القرآن هى تأكيد عقيدة توحيد الله عز وجل، ويمكن تتبع دلالة حروف مادة (س. ل. م) ومشتقاتها المختلفة: أسلم، أسلمت، مسلم، إسلام، فى قصص القرآن ـ وعلى ألسنة ـ الأنبياء جميعا فى القرآن.

ثانيا: كشف أحوال النفس الإنسانية:

أكد القرآن الكريم فى عدة مواضع الطبيعة الثنائية للنفس الإنسانية، فهى مزيج من الخير والشر معا: فقال تعالى: **﴿ونفس وماسواها ❁ فألهمها فجورها وتقواها﴾** الشمس: الآيتان ٧، ٨. وقال أيضا: **﴿وهديناه النجدين﴾** البلد: آية ١٠.

وكشف عن تنكر الإنسان للنعمة وتغير أحواله إزاءها فى عدة مواضع من القرآن الكريم بطريقة مباشرة واضحة.

ولكن القصص القرآنى يوضح لنا خبايا تلك النفس فى صورة سلوكية، تتجلى فى مواقف الحياة المختلفة ففى قصة ابنى آدم (قابيل وهابيل) وفى قصة صاحب الجنتين فى سورة الكهف تقف الطبيعة الخيرة عاجزة أمام الطبيعة الشريرة، وهى فى عجزها تلجأ إلى القوة العليا القادرة: قوة الخالق القادر المقتدر فيأتى نصر الله سريعا كما هو الحال فى قصة صاحب الجنتين. أو يأتى وعد الله ووعيده كما فى قصة ابنى آدم، وفى الحالتين تبوء النفس الشريرة بالندم والخيبة والخسران، وهذا هو شأن كل القصص القرآنى فى غوصه العميق فى أغوار النفس الإنسانية.

ثالثا: تصويب السلوك الإنسانى:

يؤكد القصص القرآنى دائما أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هى دار البقاء والخلود. والصراع الذى يدور دائما بين الخير والشر فى قصص القرآن يدل على أن الذى يختار الخير العاجل وهو خير الدنيا، يبوء بالخسران المبين.

ومن ثم، فالواجب على قارئ هذا القصص ومستمعه، أن يكون حصيفا فلا يؤثر الفانى على الباقى، وأن تكون اختياراته كلها قائمة على التمسك بالجوهر، وأن ينأى بنفسه عن السعى وراء المظاهر الخداعة، والإنسان إذا سلك هذا السلوك، اقترب من مراد الله تعالى فلا غرو أن يجيئه نصر الله، وتأييده سريعا.

قال الله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** العنكبوت: آية ٦٩.

وقال سبحانه وتعالى فى صفة الذين يصبرون وينتظرون دار البقاء: **﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾** الرعد: آية ٢٢.

ووازن سبحانه وتعالى بين الذين يختارون الدنيا ويفرحون بما فيها من متاع زائل، وأولئك الذين يختارون الآخرة وما فيها من نعيم مقيم فقال جل شأنه: **﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾** التوبة: آية ٣٨.

حقوق الإنسان فى القرآن والسُنة

يتحدث الناس اليوم عن حقوق الإنسان التى تتحدث عنها المنظمات السياسية العالمية على نحو يدعو إلى التصور بأنها أمر استحدثه الغرب وحقق به العدل والإخاء والمساواة. مع أن حقوق الإنسان عرفها الإسلام وقدمها للبشرية وطبقها فى مجتمعه قبل أربعة عشر قرنا، وقبل ما استحدثته بعض المنظمات العالمية فى العقود الأخيرة، وهو ما شهد به علماء الغرب أنفسهم فى عديد من مؤتمراتهم وكتبهم، ومنهم - على سبيل المثال - الدبلوماسى الألمانى «مراد هوفمان» الذى قال: «إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق، وبخاصة حق الحياة وسلامة الجسد والحرية والمساواة فى المعاملة، وحق الملكية الخاصة والزواج وحرية الضمير وبراءة المتهم حتى تثبت إدانته وحق الحماية من التعذيب ولاعقاب بدون إنذار، وحق اللجوء وكذلك عدم الحكم إلا بعد سماع أقوال الطرفين، وهذه الحقوق جميعها قد كفلها الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام»(١).

السيد أحمد المخزنجى

بيد أن الباحث عن حقوق الإنسان فى الإسلام من الناحية التطبيقية لايجدها مجموعة فى بيان أو ميثاق وإنما يجدها منبثة فى كافة فروع القانون الإسلامى، حيث يكون تفصيل الحق وضمانات تطبيقه، (إذ لا جدوى من إعلان مبادئ عامة فى صدر الدستور أو فى مواثيق دولية إذا لم تكن مرعية فى القوانين واللوائح)(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم والسُنة النبوية قد ركزا على الحقوق التى كانت مهدورة - أو مضيعة فى الأمم الأخرى، كحق المرأة فى الميراث، وقد جاءت فى تلك الحقوق فى القرآن والسُنة على النحو التالى:

أولا: وردت نحو أربعين آية فى القرآن الكريم تنهى عن الإكراه والكراهية، وذلك لضمان حرية الفكر والاعتقاد وحرية الضمير الإنسانى(٣)، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦.

ثانيا: كفل الإسلام العدل والعدالة ورفع الظلم عن الناس، لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء، ولا بين المسلم وغير المسلم، أو بين الكبير

والصغير، وقد تعرض القرآن الكريم للظلم والظالمين فى نحو ثلاثمائة وعشرين آية، وأمر بالعدل فى أربع وخمسين آية تنوعت بين العدل والقسط والقسطاس(٤).

ثالثا: أوجب الإسلام حفظ الحياة وتوفير أسبابها للإنسان كقوله تعالى: **﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾** المائدة: آية ٣٢.

وهناك نحو ثمانين آية عن الحياة، وسبع آيات عن القتل والقتال، كما أورد القرآن عشرين آية عن الكرامة والتكريم، فقال الله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾** الإسراء: آية ٧٠.

ونتناول ـ فى هذا البحث ـ تشريع الإسلام فى مجال «حقوق الإنسان» الذى جاء به رسولنا الكريم، مع مقارنته بما يسمى بـ«الإعلان العالمى لحقوق الإنسان»، وذلك على النحو التالى:

الحقوق والواجبات:

الحق فى اللغة له معان كثيرة، فإذا كان الفعل حق يحق بضم الحاء فى المضارع فمعناه اليقين، وإذا كان الفعل حق يحق بكسر الحاء فى المضارع، فمعناه الثبوت والوجوب، قال الله سبحانه وتعالى: **﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾** يس: آية ٧. ومن هذا المعنى يأتى الحق فى الشريعة الإسلامية، والحق من أسمائه سبحانه وقيل من صفاته، وفى التنزيل: **﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾** الأنعام: آية ٦٢.

ولفظ الحق يختلف المراد منه على سبيل التعيين فى القرآن الكريم، باختلاف المقام الذى وردت فيه الآيات(٥)، وواقع ورود عناصر الحق فى مختلف المواطن يمكن حصرها فى: الثبوت والوجوب، والاختصاص والاستئثار، والحماية أيا كان مصدرها(٦)، بينما تعنى «الكلمة» فى اللغة الفرنسية «Driot» الصواب، والعدل وتعنى كلمة Right فى اللغة الإنجليزية نفس الإطلاقات والمعانى السابقة.

والحق فى الشريعة الإسلامية: هو المصلحة الثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئثار بحيث يقررها المشرع الحكيم، وهذا الحق نوعان: عام وهو يشمل كل عين أو مصلحة تكون للشخص بمقتضى الشرع، بحيث يغدو له سلطة المطالبة بها، أو منعها عن غيره، أو بذلها له، أو التنازل عنها، فالحق هنا يعنى المِلْك بأنواعه.

وخاص: وهوما يطلق على ما يقابل الأعيان المملوكة والمنافع والمصالح، أى الحقوق الاتفاقية، ويراد بها المصالح الاعتبارية فى عرف الشرع: كحق الشفعة، وحق القصاص، وحق الطلاق، وحق الخيار، وحق المرأة فى حبس نفسها عن زوجها حتى يؤدى لها مُعجل صداقها(٧).

الواجب: وهو كل ما يلزم الإنسان مراعاته وحفظه وعدم المساس به من الحقوق التى منحها الشرع للآخرين، وذلك لأن الشرع عندما يقرر حقا فإنه ينشئ فى الوقت نفسه واجبا مقررا على الناس كافة نحو هذا الحق، وهذا الواجب هو: احترام هذا الحق فى نطاق الحدود المرسومة له.

مصدر الحق(٨): المراد بمصدر الحق هنا هو الجهة التى تثبت الحقوق لأصحابها وتمنحهم حق الانتفاع بها، ومصدر الحقوق هو الشريعة الإسلامية، وذلك لأن الشريعة الإسلامية بحكم كونها تشريعا سماويا، فإنها تنظر إلى الحقوق نظرة دينية، أساسها أن الإنسان باعتباره عبدا مخلوقا لله ـ جل شأنه ـ فإنه لا يملك حقا من الحقوق، ولكن شاءت إرادة الله سبحانه أن يمنحه بعض الحقوق، نعمة منه وفضلا.

وعلى هذا فالحق فى الشريعة الإسلامية منحة الخالق جل شأنه للأفراد، وفق مايقضى به صالح الجماعة، ومن ثم فقد قيدت الشريعة الإسلامية استعمال الأفراد لحقوقهم بمراعاة مصلحة الغير، وعدم الإضرار بالجماعة، فليس للفرد مطلق الحرية فى استعمال حقه، بحيث لا يحد من

سلطاته شىء، بل هو مقيد فى ذلك بمصلحة الجماعة، وعدم الإضرار بالغير(٩).

فالحق إذن يستلزم واجبين: أولهما، واجب على صاحب الحق نفسه هو أن يستعمل حقه بحيث لا يضر بالآخرين، وتستوى فى هذا سائر الحقوق، لا فرق فى ذلك بين الحق العام والحق الخاص(١٠).

بيد أننا نريد أن نشير - فى هذا المدخل التمهيدى - إلى الحالة التى كان عليها مجتمع «الجاهلية» قبل بعثة الرسول الكريم، لنرى إلى أى مدى أثرت «الأسس» التى جاء بها ﷺ فى بناء مجتمعه الإسلامى الجديد، فيما يتعلق بنظرته، - عليه الصلاة والسلام - لحقوق الإنسان، لنثبت من خلال ذلك العرض الموجز، كيف تتميز الشريعة الإسلامية التى جاء بها الرسول محمد ﷺ فى مجال حقوق الإنسان عن غيرها من «المبادئ» الغربية المتمثلة فى «إعلان حقوق الإنسان»، وذلك على النحو التالى:

● **حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية(١١):**

كان المجتمع قبل بعثة الرسول ﷺ مهترئا، فلم تكن ثمة فضائل تذكر أو تعد، فصار الخير شرا، وطمست الأبصار عن جادة الطريق، وإزاء تلك الصورة القاتمة لهذا المجتمع الجاهلى الذى عاصره الرسول الكريم ﷺ كانت رحمة الله - تعالى - بالبشر على يديه - صلوات الله وسلامه عليه - فأوجد من الأسس و«المقومات» ما يقضى على هذا المجتمع الفاسد المظلم، ويمحو به تلك الصورة القبيحة المظهر، وينشئ المجتمع الصالح لكل زمان ومكان.

● **أسس بناء المجتمع الإسلامى الجديد:**

ومن أهم تلك الأسس و«المقومات» التى أرساها الله - عز وجل - على يدى رسول البشرية ﷺ لهذا المجتمع الإسلامى الجديد، ما يلى:

أولا: الإيمان بوحدانية الله

وفحوى هذه القاعدة الأولى، من مقومات البناء، أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم المشتتة فى عبادة الأوثان - على آلهة شتى - وتتفق أفهامهم - فى يقين لا لبس فيه - على الإيمان بحقيقة الوحدانية، حقيقة الإله الواحد الحق الأعظم.

وكان من نتائج ترسيخ الرسول الكريم ﷺ لتلك العقيدة فى قلوب وعقول الناس، أن اجتمع اهتمام الإنسان وتوحدت قبلته، وتجمعت أشواقه، وانتظمت مشاعره، وتعددت أفكاره وأهدافه، وذلك هو الأثر البنائى للتوحيد، وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الذى أسسه الرسول ﷺ فنقل به أفراد هذا المجتمع من عالم همجى غوغائى تسوده الدهماء إلى عالم جديد، تبلورت فى ظله معالم شخصية هذا الإنسان المسلم.

وليس من شك أن ترسيخ هذه العقيدة فى أذهان أفراد هذا المجتمع، وإيمانهم المطلق بها وقناعتهم بحقيقتها كان الركن الركين الذى تأسس عليه صرح المجتمع الإسلامى الجديد - مجتمع الرسول محمد ﷺ هذا عن المقوم الأول من مقومات البناء.

ثانيا: التضامن الجديد للأمة

أما عن هذا الأساس الثانى، فقد أقامه - صلوات الله وسلامه عليه - على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود، وإخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد، ولقد كان لهذا أثره المحسوس فى سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا فى مظهر الإخاء الكامل الذى كان له السمات البارزة فى القضاء على الفوارق الاجتماعية وإزالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعا. والذى محيت فيه كل صفات الفردية والأنانية وحب الذات.

ولقد كانت القاعدة التى أرادها الله عز وجل، فوضعها رسول الله ﷺ أساسا قام عليه صرح

هذا التضامن الجديد هى قوله ﷺ **«مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»** رواه أحمد ومسلم.

وقوله الشريف: **«المؤمنون تتكافأ** ـ أى تتساوى ـ **دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»** رواه أحمد وأبو داود.

ولقد كان من أثر ذلك على المجتمع الإسلامى الجديد، أن الفرد فيه كان يسير بروح الجماعة ويتغيا فى منتواه مصلحتها، ويسعى لتحقيق هدفها النبيل، ويطمح إلى الإسهام بدور إيجابى فى تحقيق هدفها المنشود، فتطابقت رغباته وطموحاته مع طموحات وآمال أفراد «الجماعة الإسلامية».

هذا عن المعنى العام للتضامن، لكنه، فى واقع الأمر توجد عدة «قيم» أو دعائم توضح لنا معنى هذا التضامن الجديد للمجتمع الإسلامى، بمفهومه الواسع الذى أرساه الرسول الكريم ﷺ نذكر منها ثلاثا هى:

أ ـ التكافل الاجتماعى.

ب ـ الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها.

ج ـ الشورى بين أفراد المجتمع الإسلامى.

التكافل الاجتماعى معناه

والتكافل الاجتماعى معناه: شعور الفرد المسلم بتحمل التبعات والمشاركة فى حلِّ الأزمات إزاء أخيه المسلم الذى يعيش معه فى مجتمع واحد تربطه وإياه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف.. فعلى جميع القوى الإنسانية ـ فى ظل هذا المجتمع الإسلامى ـ ألا تدخر جهدا، أو تتوانى لحظة فى سبيل المحافظة على مصالح الآحاد، أو أن تقعد عن حل مشكلاتهم، وهذا هو الأساس البنائى الذى أراده الله تعالى، فأقامه الرسول ﷺ فى هذا المجتمع الإسلامى الكبير.

على أن الرسول الكريم وضع ـ فى هذا المقام ـ جملة من الأقوال والتوجيهات تأسس عليها مبدأ التكافل الاجتماعى (كحق من حقوق الإنسان) نذكر من بينها قوله ﷺ **«أيما أهل عرصة ـ الحى أو المكان ـ أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله ـ تبارك وتعالى»** رواه أحمد، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ **«من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»** رواه مسلم وأحمد، وفى حديث ثالث عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** متفق عليه.

لقد تأسس هذا المجتمع الإسلامى الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعى، فالأفراد ـ فيه جسد واحد وروح واحدة فى الإحساس بالألم والشعور بالمشاركة فيه، وليس من شك أن فى هذا الاتحاد الجامع المتضامن ما يعكس صورة رائعة أوضحت الشكل الجديد لمجتمع الإسلام الذى أراده الله ـ تعالى ـ فأقامه الرسول الكريم ﷺ.

فالمؤمن يجب أن يشد من أزر أخيه، وأن يقف بجانبه يشاطره المحن، ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن، ويرفع عن كاهله الأحمال الثقال بقدر ما يستطيع إلى ذلك سبيلا. وهذا ما دفع «ابن حزم» ومن وافقه من فقهاء الإسلام إلى القول بتحميل سكان بلد المسئولية الجنائية فى موت فرد من أفراد هذا البلد جوعا(١٢).

● **الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها(١٣)**

وعلى هذا الأساس من التعاون والتكافل بين أفراد هذا المجتمع الإسلامى الجديد وضع التشريع الإلهى الحنيف أسس الآداب الأخلاقية والسلوكية لضبط سير الأفراد فيه، سيرا هادئا مهذبا ومنظما، فى إطار نظرته لحقوق الإنسان فى المجتمع، ففى مجال «آداب السلوك الأخلاقى والاجتماعى» شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ الاستئذان عند اتيان البيوت، فقال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى**

تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ النور: آية ٢٧.

وفى داخلها قال الله تعالى: **﴿يا أيا الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾** النور: آية ٥٨.

ووضح الرسول ﷺ هذا اللون الجميل من الأدب الأخلاقى فى سننه القولية والفعلية، فعن عبدالله بن مرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: «السلام عليكم.. السلام عليكم» رواه أبو داود. وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذنك فحذفته** - أى رميته - **بحصاة ففقأت عينه ما كان عليه جناح».**

وعن عمر بن سعيد الثقفى **«أن رجلا استأذن على النبى ﷺ، قال: أألج - أى أأدخل -! فقال النبى ﷺ لخادمه، اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان، فقل له قل: السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعها الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل»** رواه البخارى.

وبالمقابل وضع الله - عز وجل - الحدود فى الجرائم الاجتماعية وشُدّدتْ تشديدا يتناسب مع صيانة حياة كل فرد، وماله، وحرمته، حماية لحقوق الإنسان فى المجتمع، وقام على تطبيقها رسول الله ﷺ.

فشرع الله تعالى - القصاص فى القتل والجروح، حماية لأفراد المجتمع وصيانة لأرواحهم، قال الله تعالى: **﴿ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب﴾** البقرة: آية ١٧٩. وقوله عز وجل: **﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾** المائدة: آية ٤٥. وذلك لما فى هذه الجرائم وغيرها من اعتداء على العرض وعبث بالحرمة ونشر الفاحشة فى المجتمع، وما يتبع ذلك من تدليس وخيانة. وجعلت الشريعة القتل رجما للمحصن والمحصنة، والجلد مائة جلدة لغير المحصن والمحصنة، وجعلت عقوبة القذف فى أعراض المؤمنات ثمانين جلدة وتفسيقا للقاذف بعدم قبول شهادته، كما شددت عقوبة السرقة، فجعلت قطع اليد جزاء لها، وفى الحرابة قطع الأطراف فى مواقعها، لما فى ذلك من اعتداء على حق الأمن الذى ينبغى أن يتوفر للناس أجمعين.

الهوامش:

١ - عطاء الإسلام الحضارى، للأستاذ: أنور الجندى، ط «مكة المكرمة» (دعوة الحق ١٤١٦هـ، «رابطة العالم الإسلامى» ص٨٩.

٢ - الإسلام وعالمية حقوق الإنسان (مقال) للدكتور جمال الدين عطية، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٧٩) ١٩٩٦م (ص ٥ وما بعدها).

٣ - أنور الجندى، المرجع السابق، ص٩١.

٤ - انظر: المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان، للدكتور محمد الصادق عفيفى، (دعوة الحق) مكة المكرمة، العدد / ٦٢. ص١١ وما بعدها، والمراجع المشار إليها فيه.

٥ - انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبدالباقى، طبعة دار الشعب، القاهرة، «مادة (حقق ».

٦ - معجم ألفاظ القرآن الكريم،ط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مادة «حقق».

٧ - انظر: المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان، للدكتور محمد الصادق عفيفى، المرجع السابق ذكره، ص١٢ وما بعدها.

٨ - نفس المرجع، ص١٣ «الهامش».

٩ - انظر: الفقه الإسلامى للدكتور محمد سلام مدكور، ص١٨٨، وأصول الفقه للدكتور السنهورى وآخرين، ص١٦٨، والقانون الدولى الخاص، للدكتور جابر جاد ٢٧٢/١.

١٠ - انظر: المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان، للدكتور محمد الصادق عفيفى، مرجع سابق ذكره، ص١٤، الهامش.

١١ - انظر: العدل والتسامح الإسلامى، تأليف السيد أحمد المخزنجى، سلسلة (دعوة الحق) العدد/ ٦٧، رابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٧ - ١١ «المقدمة».

لطائف وأسرار

خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (١٠)

نقص الياء (= حذف الياء) (٢)

نوالى الحديث عن حذف «الياء» فى الأفعال، لأنه لم يتسع المقام لاستيفاء كل المواضع، التى حذف فيها حرف «الياء» فى المقال السابق، وكلمات القرآن حافلة بهذا النوع من الحذف.

وأول ما نبدأ به فى هذا المقال هو المقارنة بين موضوعين ورد «الياء» فى أحدهما محذوفا، وفى الآخر مثبتا فى فعل واحد ورد فى الموضعين.

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون
للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون (١٥٠) البقرة

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦)
البقرة

حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف
لإثم فإن الله غفور رحيم (٣) المائدة

د. عبدالعظيم المطعنى

وأول هذين الموضعين هو قوله سبحانه وتعالى:

﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾ البقرة: آية ١٥٠.

﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ المائدة: آية ٣.

فى آية البقرة ثبت «الياء» فى الفعل «واخشونى» وهو ضمير المتكلم، مفعول به للفعل قبله.

وفى آية المائدة حذف «الياء» فى الفعل نفسه «واخشونِ» وهنا يرد سؤال لحوح: لماذا أثبت «الياء» فى الأولى، وحذف فى الثانية؟

والجواب: أن «الياء» فى آية البقرة جىء به على

الأصل، لأن الأصل هو الإثبات لا الحذف.

أما فى آية المائدة فقد كان الحذف رمزا على معنى يدل عليه.

هذا المعنى هو أن المنهى عن خشيته طائفة خاصة، هم الذين ظلموا المؤمنين من الناس، لا كل الناس؛ لأن الضمير فى **«فلا تخشوهم»** عائد على أقرب مذكور قبله، وهو هنا **«الذين ظلموا»**.

ومراعاة لهذا المعنى ذهب بعض العلماء إلى أن ثبوت «الياء» فى آية البقرة فى **«فلا تخشوهم واخشونى»** رمز إلى معنى مقابل للمعنى الذى حذف «الياء» من أجل الدلالة عليه فى آية المائدة، والمقام ينصر هذا لأن مافى آية البقرة هو **«الذين ظلموا»** أما مافى سورة المائدة فهو **«الذين كفروا»** وهم أعم من **«الذين ظلموا»** وعلى هذا فإن حذف «الياء» فى آية المائدة رُمز به إلى «العموم» وإثبات «الياء» فى آية البقرة رُمز به إلى «الخصوص».

وقد عبر عن هذا الفرق الإمام الزركشى بأن الخشية الكلية رمز لها بحذف الياء، والخشية الجزئية رمز لها بإثبات «الياء»(١).

وكذلك «الياء» من الفعل المضارع لغير علة نحوية ولا صرفية فى قوله تعالى: **﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما﴾** النساء: آية ٤٦.

حذف «الياء» من الفعل المضارع «يؤت» دون أن يقتضى هذا الحذف عامل نحوى، أو بناء صرفى، ومعنى هذا أن الحذف هنا له دلالة لطيفة من أجلها كانت هذه الدلالة هى أن الإتيان الذى وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة، وهى:

- التوبة النصوح.
- الإصلاح فى القول والعمل.
- الاعتصام بالله عز وجل.
- إخلاص الدين لله، والإعراض عمن سواه.

هذا الإتيان الذى وعدهم به، هو اتيان غيبى أخروى لا يدرك كنهه أحد.

فحذف «الياء» للدلالة على هذه اللمحة اللطيفة ومثل هذه الآية من بعض الوجوه قوله عزوجل: **﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد﴾** هود: آية ١٠٥.

الآية تتحدث عن يوم القيامة، الوارد ذكره فى الآية التى تقدمت عليها مباشرة وهى:

﴿إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾، و«الياء» حذف ـ كما ترى ـ لغير علة نحوية أو صرفية وحاشا أن يكون هذا الحذف خاليا من الدلالة، وإلا ما حذف.

إن معناه اللطيف الذى دل عليه، هو غيبية مجىء يوم القيامة، ثم قرب مجيئه، وهذا المعنى درج عليه القرآن كثيرا، وإن لم يحدد مدة القرب.

والحذف من بنية الكلمة، وخاصة إذا حدث هذا فى أطراف الكلمات يترتب عليه قصر المسافة المكانية، وفى هذا إيحاء بقصر المسافة الزمانية بين الخلق وبين حدوث يوم القيامة، فبين المسافتين إيحاء لطيف.

هذا، وفى سورة الأنعام آية وردت فيها أفعال، قد تثير تساؤلات على القاعدة التى تقدم فى حذف «الياء» من الفعل «يأت» فى الآيتين المذكورتين آنفا. ولنذكر الآية أولا: **﴿هل ينظرون**

إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾ قل انتظروا إنا منتظرون﴾ آية ١٥٨.

ورد الفعل «يأتى» فى الآية أربع مرات، و«الياء» مذكور لم يحذف.

وموضوع الأفعال الأربعة، أمر غيبى، هو على التفصيل:

- إتيان الملائكة.
- إتيان الله (ربك).
- إتيان بعض آيات (مرتان).

فلماذا إذا تثبت «الياء» ولم يحذف، على غرار حذفه فى **﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما﴾**.

﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾.

والجواب: الأفعال الثلاثة الأولى:

﴿تأتيهم الملائكة﴾.

﴿يأتى ربك﴾.

﴿يأتى بعض آيات ربك﴾.

هذه الأفعال الثلاثة ثبت فيها «الياء»؛ لأن الفعل الأول تقدم عليه «ناصب» للمضارع، هو «أن» فثبتت «الياء» لتظهر عليه «فتحة الإعراب».

أما الفعلان التاليان له، وهما: **«يأتى ربك»** - **«يأتى بعض آيات ربك»** فهما معطوفان عليه، ولابد من ظهور «فتحة الإعراب» على الحرف الأخير فيهما، فثبت «الياء» من أجل هذا.

أما الفعل الرابع **«يوم يأتى بعض آيات ربك»** فهو غير معطوف، والظاهر يقتضى حذف «الياء» منه، وعليه يرد التساؤل المذكور(٢).

والجواب: هذا الفعل، وإن كان متعلقه أمرا غيبيا مثل **«وسوف يؤتِ»**.

ومثل **«يوم يأت»**.

فإن بينه وبينهما فرقا ملحوظا واضحا.

ذلك أن متعلق **«سوف يؤت»** - و**«يوم يأت»** لن يكون فى الحياة الدنيا، بل هما أمران من شئون الحياة الآخرة.

هذا واضح فى **«وسوف يؤت»** أما فى **«يوم يأت»** فهذا حديث عن يوم البعث من القبور، فهو إذا يوم من أيام الآخرة، لا من أيام الدنيا.

أما «يوم يأتى بعض آيات ربك» فهذا من أيام الدنيا قبل نفخة «الصعق» إذا هو يوم سيشهده الناس فى يوم من أيام الدنيا، فالغيبية فيه غير كاملة.

هذا الفرق الكبير بينهما هو الذى اقتضى حذف «الياء» فى:

﴿يوم يأتى بعض آيات ربك﴾ لأنه - كما تقدم - يوم من أيام الدنيا، بدليل ما بعده فى الآية نفسها.

﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾.

ويرى بعض المفسرين أن **«بعض آيات ربك»** هو طلوع الشمس من المغرب(٣).

وهو - قطعا - من أيام الدنيا فى أواخر عمرها، هذه المقارنات الدقيقة تظهر لنا بكل وضوح الفعالية وبالغ الحكمة فى الخصوصيات التى انفرد بها الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

وأن كل ما فيه مما فارق به الخط الاملائى

العام يرمز إلى معان جد لطيفة. منها ماهو مدرك ملحوظ بيسر، ومنها ما يحتاج إلى تأمل طويل، يضاف إلى تلك الجهود التى بذلها علماؤنا الأقدمون، قريبو العهد بالكتبة الأولى للمصحف فى خلافة ذى النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهى لم تستحدث فى عصره، إنما كان المصحف مدونا بها فى عصر الرسالة، ومن المواضع التى حُذف فيها «الياء» فى درِج الكلام قوله عز اسمه: ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**﴾ البقرة: آية ١٨٦.

حُذف «الياء» فى هذه الآية فى موضعين، الأول من «الداع» وهو اسم فاعل.

والثانى من «دعانِ» وهو فعل ماض كماترى، ونحن وإن كنا بصدد الحذف من الأفعال هنا فإن المقام يقتضى بيان سر الحذف فى الموضعين معا، لأن مقتضى الحذف فيهما واحد.

فالآية تقرر قرب الله من أحوال عباده، وقيل فى سبب نزول هذه الآية أن رجلا، أو جماعة، سألوا رسول الله ﷺ: **أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأمسك عن الجواب**، فنزل قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادى..**﴾(٤).

هذا هو المقام، ولما كانت الإجابة بالقرب لا بالبعد كان حذف «الياء» فى الموضعين لتأكيد ذلك القرب من وجه لطيف، بعد توكيده بـ«أنَّ» واسمية الجملة وحذف «الياء» فى الموضعين قصَّر المسافة المكانية التى رسمت فيها الآية، وتقصير المسافة هو القرب الذى قررته الآية.

فهذا الحذف من ألطف الكنايات على معنى القرب، الذى وصف الله به نفسه، وهو قرب علم وإحاطة وانعام وتدبير، لا قرب مكان ومجاورة، قرب «معية» معنوية لا قرب تضام ومجالسة.

وقد تولد عن تلك الكناية اللطيفة (= دلالة الحذف على القرب) لطائف أخرى يبثها البيان القرآنى أرق من نسيم الحدائق فى الأسحار.

لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعو.

ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعى من أهل القبول عند الله عز وجل. ولم يطعم أو يلبس حراما، ولا دعا بسوء ظلما، ولا بشحناء أو قطيعة رحم.

قال الإمام الزمخشرى فى شرح الآية: «تمثيل لحاله فى سهولة إجابته لمن دعاه، وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه، فإذا دُعى أسرعت إجابته، ونحوه ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾(٥).

ثم ذكر سبب نزول الآية، كما تقدم آنفا.

حذف «الياء» فى فواصل الآى

قدمنا ـ حتى الآن ـ نماذج من حذف «الياء» فى الأفعال كان أكثرها فى درِج الكلام، والآن نتحدث عن حذف «الياء» فى فواصل الآيات الفعلية، وهذا الحذف كثير جدا فى الأفعال، وفى الأسماء أو الصفات المشتقة، وعلى منهجنا الذى تقدم نمضى، بادئين بعرض مستقل لحذف «الياء» فى الأفعال الواقعة فواصل للآيات، ونتبين بعض الأسرار واللطائف فى بعض النماذج، لأن استقصاء الحديث عنها غير مستطاع، ولأن بيان اللطائف والأسرار فى بعض النماذج يغنى عن تتبعها كلها.

ولنبدأ بنماذج من سورة البقرة، أول سورة فى المصحف بعد فاتحة الكتاب:

﴿يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون﴾ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون﴾ البقرة: الآيتان ٤٠ ـ ٤١، وقع «الياء» فى فاصلتى هاتين الآيتين، وهما ـ أعنى الفاصلتين ـ فعل أمر:

الأول: «ارهبون».

والثانى: «اتقون»..

و«الياء» المحذوف فيهما ضمير المتكلم عز وجل، وموقعه الإعرابى مفعول به، والحذف فى الفواصل كثير، ولم يقتصر على حذف المفعول به إذا كان «ياء» بل كثيرا ما يحذف المفعول به، وهو ليس ضميرا، ومن أمثلة ذلك ما يأتى: **﴿وتركهم فى ظلمات لا يبصرون﴾** البقرة: آية ١٧.

﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ البقرة: آية ٢٢.

﴿إنى أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ البقرة: آية ٣٣.

﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون﴾ البقرة: آية ٥٢.

﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ البقرة: آية ٦٣.

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ البقرة: آية ١٣٤.

هذه ست فواصل من أوائل سورة البقرة، كل فاصلة منها فعل متغير له مفعول به واحد، أو مفعولان، ولم يذكر النظم القرآنى أى مفعول منها، بل حذفه، ونزَّل الفعل المتعدى إلى مفعول أو مفعولين منزلة الفعل اللازم الذى لا يحتاج إلى مفعول.

وذلك لأن الفواصل القرآنية لها وضع خاص فى النظم القرآنى، لأن رؤوس الآيات ومعاقد المعانى فيها، فخُصِّت بمنهج يساعد على أدائها ووظائفها فى اللفظ والمعنى، وقد أحصى بعض العلماء سمات منهج القرآن فى بناء فواصل الآيات فوجدها ثلاثا وأربعين سمة(٥).

ووظائف هذه الفواصل فى القرآن كله، من أبرزها تيسير القرآن للذكر والحفظ.

واحداث إيقاع صوتى (ترنيم) عند تلاوته يجذب الأسماع جذبا قويا، ويأسر القلوب أسرا بالغا، ويضفى على ترتيل الذكر وقعا فى السمع لا تجد له مثيلا فى أى نظم أو كلام.

وكان هذا الحذف الذى نحن بصدد الحديث عنه معوانا على ذلك كله.

هذا ما يعود على الألفاظ أو الإيقاع الصوتى الجذاب أما ما يعود على المعانى فهو أمران تحتهما فروع دقيقة.

الأمر الأول: أن جمال الإيقاع الصوتى هو مصيدة الأسماع والقلوب فى الاقبال على القرآن، وهذا مدرج يلقى فى النهاية فى أسر القرآن، فتقبل القلوب على حبه والسياحة فى حدائق معانيه.

وتقبل العقول على تدبرتلك المعانى، وهذا مدرج آخر لحدوث الهداية، التى من أجلها نزل القرآن أو تقوم الحجة لله على من أعرض وتولى، وهذا هو الأمر الذى بعث الله من أجله رسله جميعا.

ويضاف إلى جانب خدمة المعانى من سمة الحذف غرض آخر، هو الإيجاز فى اللفظ والاكثار

فى المعنى وهذا الإيجاز من أبلغ صفات الكلام البليغ.

❖❖❖

ونعود إلى آيتى البقرة، لنرى دور الحذف فيهما فى تحقيق الأغراض البلاغية والتربوية التى أشرنا إليها، هاتان الآيتان حذف فيهما «الياء» كما تقدم: «فارهبون» والأصل: فارهبونى.، و«**فاتقونِ**» والأصل «**فاتقونى**».

فمن حيث خدمة الألفاظ والبناء الصوتى الآسر، مكننا الحذف من الموقوف على آخر الفاصلتين بالسكون. وهذا السكون حقق الانسجام الصوتى بين ما تقدم على هاتين الآيتين، وما تأخر عنهما من آيات، وبينهما، وهذا يقتضى أن نذكر مجموعة هذه الآيات متصلة وهى **﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون❖ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون❖ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون❖ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون❖ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون❖ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾** البقرة: الآيات ٣٨ ـ ٤٣.

ندعو القارئ الكريم أن يتلو هذه الآية بصوت مسموع تلاوة مجودة، وأن يتأمل ويتعرف على دور الوقف على السكون فى فواصل الآيات الست، وأثر هذه التلاوة فى القلوب والمشاعر والأسماع. مما ترتب على هذه التلاوة الشجية، الحلوة الرنين، الطيبة المذاق.

ثم ليعد ليتبين بعناية خاصة أثر حذف «الياء» فى تمكين القارئ من استمرار التلاوة على نسق ترنيمى واحد اسهم فى تحقيق الحذف. وحرفا المد الواو والياء قبل الحرف الأخير فى الفاصلة، فى الفواصل الست، أما حرف الفاصلة فهو «النون» فى الفواصل الست، مسبوقا بحرف المد «الواو» فى خمس فواصل وبحرف المد «الياء» فى فاصلة واحدة، هى الأخيرة: **«الراكعين»**.

وقد عدّ بعض الدارسين المعاصرين هذا الإيقاع الصوتى الفريد، لنظم القرآن سمة قوية الظهور، أما من حيث خدمة المعانى، فإن هذا النسق العجيب، هو الطعم الذى يصطاد به القرآن القلوب من بعيد، أو رائحة «الشواء» الشهى الذى يسيل لعاب السامعين، فيجدون فى أنفسهم جذبا قويا نحوه، فإذا وقعوا فى أسره، فإن معانيه تشرق عليهم من كل جهة، ويكون المصير.

أما الهداية الجالبة لسعادتى الدنيا والآخرة، وأما إقامة الحجة لله على المعرضين، ليحيا من حى عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ولئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ويمكن أن تستعير مصطلحا بلاغيا يستمثره البيانيون فى توجيه أساليب الحذف، ونطبقه ـ بجدارة ـ على هذه الحذوفات فى خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، ذلك المصطلح هو ما يعرف عندهم بـ«توفير العناية بالمعنى»، فقوله عز وجل: **﴿وإياى فارهبون﴾**، وقوله: **﴿وإياى فاتقون﴾**، حذف «الياء» منهما لتوفير العناية بالمعنى، والمعنى فى الآية الأولى هو «الرهبة» وفى الثانية هو «التقوى». أى أن القرآن ركز على تحقيق هذين المعنيين، فجردهما من الزوائد لئلا تشغل الذهن، ولو برهة من الزمن والحذف ـ بوجه عام ـ

لا يصار إليه إلا بعد توفر أمرين:

الأول: أن يكون الحذف من حيث المعنى أولى من الذكر.

الثانى: أن يكون فى الكلام دليل يدل على المحذوف، وقد تحقق هذان الشرطان فى كل الحذوفات القرآنية ومنها حذف «الياء» فى الآيتين اللتين هما موضوع الحديث هنا.

فأما من حيث اللفظ والمعنى، فقد ظهر لنا مافى هذا الحذف من خدمة الألفاظ والمعانى، ولا حاجة لإعادة ذكره، وأما من حيث الدليل الذى يدل على المحذوف، فإن «الياء» لما حذف فى الآيتين، وفى غيرهما من كل ما تقدم بقى فى الكلام ما يدل عليه من جهتين:

الأولى من جهة المعنى، فإن من يسمع **«فارهبون»** أو **«فاتقون»** يدرك لتوه أن هذا حديث متكلم، ويدرك ـ كذلك ـ أن ضمير المتكلم فى مثل هذه السياقات هو «الياء».

الثانية، من جهة اللفظ: فإن الكسرة التى ألحقت بالياء، تدل دلالة قوية عليه، وهو محذوف. ومن لطائف ما يضاف هنا: أن الرسم العثمانى جمع بين الحذف والذكر فى موضع واحد لأن «الياء» فى النماذج التى معنا: محذوفة جسما مذكورة عقلا.

هذا، وكنا نود أن نسوق نماذج أخرى غير هذين النموذجين، «فارهبون ـ فاتقون» ولكننا أثرنا الاكتفاء بما تقدم توخيا لعدم الإطالة.

ولنا إضافة مهمة نذكرها، قبل توديع الحديث عن حذف «الياء» فى الأفعال وخلاصتها:

● أن حذف «الياء» فى الأفعال الواقعة فى فواصل الآيات كثير كثرة مستفيضة من العسير الاحاطة بها فى هذه المقالات.

● وأنها على كثرتها تخضع جميعها للطائف والأسرار، وخدمة الألفاظ والمعانى، التى أجملنا الحديث عنها فيما تقدم وأن الحذف فى فواصل الآيات ـ أيا كان المحذوف ـ لا يصار إليه من أجل حلية لفظية لا صلة لها بخدمة المعانى، هذا محال وإن لم ير بعض الباحثين فيه حرجا. وما من موضع من الفواصل القرآنية إلا وقد جمع بين خدمة اللفظ والمعنى معا. وإن خفى ذلك على قليل من الدارسين.

● وأن بعض الحذوفات فى الفواصل يكون لها سر آخر غير التى أشرنا إليها قريبا فى هذا المقال. وقد تقدم لنا نماذج منها فى المقال السابق، مثل: **﴿تالله إن كدت لتردين﴾** الصافات: آية ٥٦، فإن للحذف هنا معنى آخر، هو الإشارة إلى الارداء الأخروى غير الدنيوى.

ومثل: **﴿وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون﴾** الدخان: آية ٢٠، ٢١، فإن للحذف هنا معنى آخر، هو الإشارة إلى المراد من الرجم، هو التكذيب وليس الرمى بالحجارة.

الهوامش:

١ ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ٢.(٤٠٤/٢). وتنبه إلى خطأ ورد فى آية البقرة حيث أثبتت الآية هكذا **﴿فلا تخشو الناس﴾** والصواب **﴿فلا تخشوهم﴾**.

٢ ـ لم يلتفت أحد من علماء علوم القرآن لهذه الآية لذلك استأنفنا البحث عن سر اثبات «الياء» فيها مع أنها تشير إلى أمر غيبى لم يحدث حتى الآن.

٣ ـ انظر فتح القدير للإمام الشوكانى ١.(٢١٢/١).

٤ ـ الكشاف ١.(٣٣٧/١).

٥ ـ هو ابن القاص الحنفى، وضع فى ذلك رسالة أسماها «إحكام الرأى فى أحكام الآى»، وقد نقلها عنه جلال الدين السيوطى فى كتابه «معترك الأقران فى إعجاز القرآن». طبعة دار الفكر العربى.

العقيدة

البعد الغائب فى الصراع العربى الصهيونى

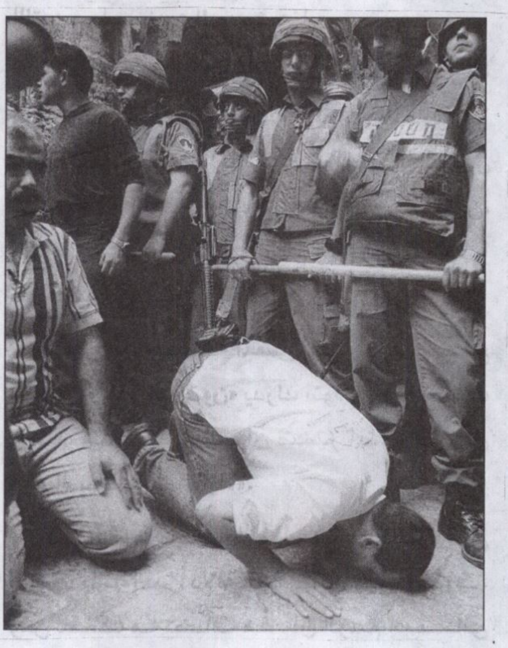

لعل فى الأحداث اليومية التى تطالعنا بها أجهزة الإعلام صباحا ومساء ما يؤكد أن العصابة الصهيونية لا علاقة لها بدين الله الذى أرسل الله به موسى عليه السلام؛ كما تؤكد هذه الأحداث من جانب آخر صحة ما قلناه مرارا أن هذه العصابة تنفذ فى صراعها مع العرب والمسلمين عموما برنامجا وضعه أحبارهم فى توراتهم المحرفة وزعموا أنه من عند الله وحاشا لله أن يقول أو يوحى بشىء مما نسبوه إليه أو يأمر بما يزعمونه وحيا فيتعاملون به مع أبناء فلسطين.

أ. د/ محمد السيد الجليند

عقيدة محرفة

إن هذه العصابة قد وضعت لها عقيدة محرفة فى نصوصها مزيفة فى أوامرها ونواهيها، ويزعمون أنها التوراة التى نزلت على نبى الله موسى عليه السلام، وينفذون ما جاء فى هذه العقيدة المحرفة حرفا حرفا، واستطاعوا أن يسخروا أجهزة الإعلام ويوظفوها فى إقناع الرأى العام العالمى بهذه العقيدة المحرفة مستفيدين من الوضع المتردى للعالم الإسلامى إعلاميا واقتصاديا واجتماعيا وساعدهم هذا الظرف الراهن بملابساته أن يقلبوا الحقائق ويزيفوها أمام الرأى العام، فأصبح باطلهم وزيفهم حقا، وأصبح الحق العربى فى نظر العالم باطلا، وترتب على ذلك موقف دول أوروبا وأمريكا المؤيد لمزاعم هذه العصابة أو على الأقل غير المؤيد لحقوق العرب بزعم أنهم أصحاب حق تاريخى وأهل عقيدة دينية.

الإفساد فى الأرض مبدأ صهيونى:

ومن يدرس هذه العقيدة الصهيونية ويتتبع نصوصها يتيقن تماما من التضليل الذى تعيش عليه هذه العصابة، فالتضليل وتزييف التاريخ وتشويه الحقائق منهج حياة لهم، والعداء للبشرية وكراهية الغير والاستكبار فى الأرض والإفساد فيها من أركان عقيدتهم التى وضعوها وصبغوها بصبغة تاريخية تسللت بها إلى نصوص التوراة لتعطيها صفة القداسة وتصبغها بالصبغة الدينية وهى فى واقع الأمر تجسيد للفكر العنصرى.

إنهم يتخذون من نصوص هذه العقيدة ورقة عمل وبرنامج حياة يتأسس عليه موقفهم من الأرض، والأمم الأخرى وعقيدة الهيكل، ونبوءة المسيح ونزوله فى أرض الميعاد ومعركة «الهارمجيدون».

إن هذه الأمور تمثل أركان العقيدة التى تنطلق منها هذه العصابة فى تعاملهم مع العرب لا فرق فى ذلك بين مسلم ومسيحى.

أبعاد القضية:

إن مبادرة شارون باقتحام المسجد الأقصى يمثل أحد أجنحة اللعبة السياسية بينما يمثل موقف بيريز «حمامة السلام» الجناح الآخر لنفس اللعبة السياسية، وحقيقة الأمر أن شارون وبيريز وجنودهما ينطلقون من عقيدة واحدة وينفذون برنامجا واحدا خطوة بعد خطوة ومرحلة تليها مرحلة حسب رؤيتهم للواقع الدولى من جانب ولحالة الوضع العربى والإسلامى قوة أو ضعفا من جانب آخر. فالهدف عند الجميع واحد والرؤية عند الجميع واضحة والخطوات متتالية، والقضية عندهم بكامل أبعادها قضية عقائدية ـ الأرض ـ الهيكل ـ النبوءة، معركة الهارمجيدون والإعداد لها، وحسن التوقيت لها فى مطلع الألفية الثالثة، إن العقيدة التى تحكم الموقف الصهيونى هى العنصرية الاستعلائية على أمم الأرض، هى الشعور بالفوقية، هى الاصطفاء الإلهى أو عقيدة الشعب المختار.

التضليل وتزييف التاريخ وتشويه الحقائق والعداء للبشرية منهج حياة للصهيونية

إن هذا البعد العقائدى ينبغى ألا يغيب عن عقول الساسة العرب ولا عن عقول المفكرين، وعليك أن تقارن بين ما يجرى على أرض فلسطين اليوم وما تنص عليه عقائد هذه العصابة.

١ ـ إنهم يتعاملون مع غيرهم عموما ـ مسلمين أو نصارى ـ من منطلق عقيدتهم فى الصراع القائم بين الرب والإنسان، فالرب عندهم فى صراع دائم مع الإنسان ومغالبة مستمرة والرب يخشى من بطش الإنسان به أو تسطله عليه، ولذلك حرص الرب على أن يفرق بين بنى الإنسان حتى لا يجتمعوا على مغالبته فجعل لغاتهم شتى وألسنتهم مختلفة وأهواءهم متعارضة لتسود بينهم روح الصراع والافتراق بدلا من الحب والاجتماع (سفر الخروج: ٢٥).

فرق تسد:

لقد أخذت عصابة الصهيونية من هذه العقيدة مبدأها المعروف «فرق تسد» وأفلحت فى تطبيقه بين كثير من الدول وفى كثير من الحالات فأشعلت نيران الحروب الطاحنة بين دول العالم بسبب هذه السياسة، ولو فتشت فى أسباب الحربين العالميتين الأولى والثانية سوف تجد أصابع الصهيونية ملطخة بدماء هذه الحروب وعقولهم ملوثة بإشعال نارها كما قال الله تعالى: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا﴾ المائدة: آية ٦٤.

٢ - إن تحريف التوراة وتزييف نصوصها أمر مقرر فى عقيدتهم إذا تعارض النص الأصلى مع أهوائهم أو مصالحهم، فهم يؤمنون بأن «الرب قال للجنود: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون فإنهم يجعلونكم باطلا، إنهم يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب يتكلمون» (سفر أرمياء ١٦/٢٣).

ومن اعتقادهم لهذه النصوص كان يتحدد موقفهم من الأنبياء قتلا أو تكذيبا أو تلفيقا للتهم. كما أشار القرآن إلى هذه الحقيقة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ المائدة: آية ٧٠.

٣ - إن ما تطالعنا به الصحف السيارة يوميا من هدم البيوت وإحراق الزرع وقتل النساء والأطفال والشيوخ والتمثيل بالقتلى ليس غريبا على عقيدة الصهيونية، فلقد أباحت هذه العقيدة لأتباعها أن يسلبوا مال الغير مادام غير يهودى وماله، وأرضه، وعرضه مباح وكل ما يمكن أن يسلبه من غير اليهودى أمر توصى به عقيدتهم (سفر الخروج ١٠/١١).

إن الجنة محرم دخولها على اليهودى الذى يرد مال الغير. وأن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب، والخارجون عن دين اليهود سرقتهم جائزة (الكنز المرصود ص٧٣).

العقيدة الصهيونية قامت علي عنصرية استعلائية على الأمم فى العالم

الوعد المزعوم

٤ - وإذا كان ما سبق ينبئ عن أسلوبهم فى التعامل مع غيرهم فإن عقيدتهم فى الأرض تبين لنا ماهو أسوأ من ذلك فهم يؤمنون بالوعد المزعوم الذى منحه الله لإبراهيم وذريته من بعده، ونسوا أن العرب من نسل إبراهيم ومن ذريته، وفى سبيل التأصيل لهذه العقيدة يضعون نصوصا وينسبونها إلى الرب لا يملك العقل إزاءها إلا السخرية والدهشة وكيف ينسبونها إلى الرب وحقائق التاريخ والواقع الجغرافى يوضح كذبها وزيفها.

والأكثر سخرية من هذا أنهم يجعلون الدفاع عن هذه الأكاذيب دينا وعقيدة، والموت دونها دفاعا عنها وحماية لها أمر يؤمن به الجميع، وفى سبيل الحصول على هذه الأرض أباحت لهم عقيدتهم إبادة كل حى، وقطع كل أخضر وحرق كل يابس (سفر التثنية: اصحاح ١/١٢ - ٧).

كما يجب عليهم طرد السكان، والتمثيل بهم ليكونوا عبرة لغيرهم، وأسر رؤوسهم، وقد جاء فى سفر العدد ما يلى: وكلم الرب موسى فى عربات مؤاب.. قائلا كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتطردون السكان كل سكان الأرض من أمامكم.. وإن لم تطردوا جميع سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم (سفر العدد: ٣٣/٥٠ - ٦٠).

إننى أرجو من القارئ الكريم أن يعيد قراءة هذه النصوص مرات ومرات ثم يتأمل ما يجرى على ساحة الصراع الدائر بين العرب والصهيونية الآن.

إنه تطبيق عملى لعقيدة دينية يؤمنون بها، قتل الأطفال والنساء حرق المزارع وهدم المنازل، طرد السكان والتمثيل بالقتلى، كل ذلك عندهم دين وعقيدة إن لم يفعلوه يحل بهم غضب الرب ويطردهم من أرضه كما فعل بغيرهم.

٥ - إن نزول المسيح عليه السلام فى أورشليم القدس قد تنبأت به هذه العقيدة الزائفة، ففى نصوصهم أن عيسى ابن مريم سوف ينزل على جبل الرب ليحكم العالم من هناك ولن تتحقق هذه النبوءة إلا بعد أن تقوم دولة إسرائيل فى أرض الميعاد، وقد نجحت أجهزة الإعلام الصهيونية فى الترويج لهذه الأكذوبة فى الأوساط الدولية حتى آمن بها كثير من البروتستانت فى أوروبا وأمريكا، وأصبحت جزءا من عقيدتهم وركنا من أركان الإيمان عندهم، وصرح بذلك رؤساء أمريكا السابقون واخص من بينهم «كارتر وريجان»، فلقد أعلن كل منهما فى المحافل الدولية أن بيننا وبين إسرائيل تراثا مشتركا، وهذا يفسر لنا التعاطف بل الانحياز الكامل لكل ماهو إسرائيلى والرفض الكامل لكل ما يتصل بمصالح العرب وفلسطين، حتى أن أمريكا رفعت سلاح الفيتو ضد أى قرار إدانة لإسرائيل.

البعد العقائدى هو المحور الغائب عن ساحة الصراع العربى الإسرائيلى

٦ - ولما كانت هذه العقيدة تنص على أن الهيكل قد حان وقت بنائه فى الألفية الثالثة فإن إسرائيل قد هيأت المسرح العالمى الآن لتقبل هذه الأكذوبة وتقبل كل ما يتعلق بها من تضليل وزيف، فلقد أعلنوا منذ قليل أن البقرة الحمراء قد ظهرت فى غزة وقرب مدينة حيفا، وأن أوصاف هذه البقرة تتطابق مع ما جاء عنها فى عقيدتهم، فهى لم يسبق لها الحرث، وليس فيها شعرة واحدة غير حمراء، وأنها متى ظهرت فلابد أن تذبح داخل الهيكل، ولابد من بناء الهيكل داخل المسجد الذى بنى بدوره على أنقاض هيكل سليمان، وبناء هذا الهيكل لا يتم إلا بعد معركة تسيل فيها الدماء أنهارا وتسمى هذه المعركة «الهارمجيدون» نسبة إلى جبل على مقربة من القدس وسوف ينزل عليه المسيح لينشر العدل والاستقرار بعد هذه المعركة التى يقتل فيها خلق

كثير ومعظمهم من المسلمين والعرب.

أردت من سرد هذه النصوص - وغيرها كثير - أن أضع أمام القارئ الكريم البعد العقائدى الذى يحرك هذه العصابة والذى يحكم مسيرتها خطوة خطوة ولا فرق فى ذلك بين شارون وبيريز ولا بين نيتياهو ولا باراك، فالكل يعبر عن موقف عقائدى وإن بدا على ألسنة بعضهم سياسيا أو قوميا. أو حضاريا.

ولقد نجح الإعلام الصهيونى إلى حد كبير وفى غيبة الإعلام الإسلامى أن يملأ الساحة الدولية بهذه الأكاذيب حتى استطاع أن يحصل على تعاطف كبير من الشعب الأمريكى، فوجدنا منظمة «الصهيونية الصليبية» تجمع فى عنوانها بين لفظ الصهيونية ولفظ الصليبية رمزا لهذه الوحدة وإعلانا للمؤاخاة ضد العرب والمسلمين.

تأثراً بالعقيدة الزائفة أعلن كارتر وريجان عن وجود تراث عقائدى مشترك بين إسرائيل وأمريكا

ووجدنا من يؤمن بهذه النبوءة الكاذبة «نزول المسيح بأورشليم» ويؤلف كتابا عنوانه «المسيح قادم» ويوزع منه مليون ونصف مليون من النسخ.

ووجدنا من المفكرين البروتستانت من يدعو إلى عقد مؤتمر قد تم سنة ١٩٨٥م بالفعل فى نفس القاعة التى عقد فيها مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م بزعامة تيودور هرتزل، وبعد مضى قرن على هذا المؤتمر الأول ليعلنوا فى مؤتمرهم الثانى أنهم جاءوا إلى هذا المؤتمر فى نفس هذه القاعة ليصلوا من أجل إقامة دولة إسرائيل.

وأمامى الآن حشد هائل من الحقائق التاريخية التى تدعمها النصوص العقائدية لهذه العصابة ولولا مخافة الإطالة لوضعتها أمام القارئ ليتأكد الجميع أن الموقف الذى يواجهنا به عدونا التاريخى موقف عقائدى بالدرجة الأولى.

ومما يدعو إلى الأسى والحسرة معا أن الطرف الآخر فى هذه القضية وهم العرب والمسلمون يحاولون استبعاد هذا البعد العقائدى من المواجهة، ويحاولون أن يمحوا من ذاكرة الأمة كل مايتعلق بهذا البعد العقائدى فى الوقت الذى يجاهر به العدو ويتخذ منه مصدرا للفخر والزهو والاستعلاء، ويشحذ به همم أبنائه ويجعل منه مصدرا للقوة ومددا وزادا للروح حتى إنهم يتقربون بدماء شهدائنا إلى الرب، ويتعبدون بذبح الأطفال وهتك أعراض النساء.

إن البعد العقائدى هو المحور الغائب عن ساحة الصراع العربى الإسرائيلى، وإن شئت فقل إنه البعد الحاضر عندهم المغيب عندنا.

إحياء العقيدة والجهاد هو الحل:

إن ما يخشاه العدو هو إحياء روح العقيدة فى نفوس المسلمين بل إنه الفزع الأكبر الذى تخشاه كل حاخامات إسرائيل وقوادهم.

إن قادة إسرائيل على يقين تام بأن أخطر شىء يخافونه هو إحياء روح الجهاد روح العقيدة

الإسلامية، إن إحياء هذه العقيدة هو الذى يهدد قوتهم العسكرية، هو الذى يبطل مفعول الدبابة والطائرة والصاروخ، وقد شاهدنا وسمعنا أثر إحياء هذه العقيدة فى نفوس الشهداء البررة الذين فضلوا الشهادة على الحياة فحملوا أرواحهم على أكفهم وقدموها لله فى ساحة القتال فى أشكال بطولية هزت قلوب العالم.

وليس سرا أن يعلن قادة إسرائيل خوفهم من هذه الصحوة العقائدية، فلقد أعلن بن جوريون أننا لا نخشى فى مواجهتنا مع العرب إلا تحريك العقيدة الجهادية الإسلامية.

وهذا شيمون بيريز الذى يحمل شعار الدعوة إلى السلام يقول: نحن لا نطمئن فى مواجهتنا مع العرب إلا بعد أن يغمد الإسلام سيفه، وإسحاق رابين يؤكد هذه الحقيقة بقوله: إن عدونا فى هذه المنطقة ليس كثرة العدد الذى يتفوق به العرب، فنحن نعرف كيف نتعامل مع هذه الكثرة العددية، إن عدونا الوحيد هو الدين الإسلامى.

هل يعود صلاح الدين ؟!

ولقد شكلت السلطات اليهودية لجنة تضم ثلاثين خبيرا من علماء النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة لدراسة أفضل الوسائل للقضاء على هذه الظواهر التى تمثل الصحوة الإسلامية فى المنطقة، ووضعوا أمامهم أسئلة محددة كان من أهمها: ماهى الروح التى تجعل المسلم يفخخ نفسه بالحزام المتفجر فى مواجهة الدبابة. وهل تشير الدلائل الراهنة إلى ظهور نماذج تشبه صلاح الدين، وسيف الدين قطز وهى أفضل المناهج لمواجهة هذه الظواهر.

إن الذى يخيف هذه العصابة ليس امتلاك الأسلحة أو المعدات ولكن إحياء الروح الإسلامية هى أخطر ما يخشاه العدو، إن حاجتنا إلى امتلاك الأسلحة أمر ضرورى لا ينبغى التقليل من أهميته، ولكن الذى لابد منه هو إحياء روح العقيدة الإسلامية فى نفوس الجيل حتى تقوى الإرادة وتشتد العزيمة لنعد الجيل كله لكفاح طويل وصراع لا يعلم نهايته إلا الله، ولكن النهاية المحتومة - كما علمنا التاريخ - ستكون لمن يتسلح بالصبر والعزيمة وقوة الإرادة، لأن النصر دائما حليف للصبر، ولا ينبغى أن يتسرب اليأس إلى نفوس الناس أو تتسلل روح الشك إلى قلوب الشعوب لأن وعد الله بالنصر واقع لا محالة إذا توفرت أسبابه، وما على الشعوب إلا أن تأخذ فى توفير الأسباب **«ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله مالا يرجون»** وليس للأمة من سبيل فى هذا الطريق الشاق الطويل إلا سلاح الإيمان والصبر والثقة فى نصر الله، **«إن تنصروا الله ينصركم» ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾**.

الفزع الأكبر الذى يخشاه حاخامات إسرائيل هو إحياء روح العقيدة والجهاد لدى المسلمين

شارون الشرير

شعر: عمر موسى البرعى

شارون أنت العار يا شرير ... ولأنت شَرٌ فى البلاد خطيرُ
إن غرك الجيش الذى أعددته ... فعلى هزيمته الإله قديرُ
دنست أرض الطهر فانتفضت ولم ... تجبن وشبَّ بها لظى وسعير
وسلبتها غصبا وحولك عصبة ... حمقاء فيها للشرور نذير
فكم ارتكبت من المذابح فوقها ... ومضيت فى صلف وأنت فخور
يا باغيا عن غيه لايرعَوى ... أعماك من حق الشعوب غرور
أزرى بك التاريخ فى صفحاته ... فعليك منه اللعن والتحقير
جرت الدماء على يديك زكية ... تستنهض الأحرار وهى تفور
ليست فلسطين سوى وطن لنا ... والمرءُ بالوطن العزيز فخور
فاحذر لهيب الثأر إن شبابها ... أسد تذود عن الحمى وصقور
واردد لأهليها الديار فإنها ... لكمُ إذا عظم الفداء قبور
الانتفاضة أشعلت نار الوغى ... ولسوف يحرقك اللظى المسعور
فهى انتفاضة أمة تصبو إلى ... حقٍ وللحقِّ السَّليب زئير
يا ويل إسرائيل من أحجارها ... وحصونها من قذفهن جحور
لله أحجار تفوق مدافعا ... ترمى رؤوس جيوشها فتطير
سنذيقك البأس الشديد بعزمةٍ ... تفرى وعزم الثائرين مرير

فى ذكرى الإسراء والمعراج

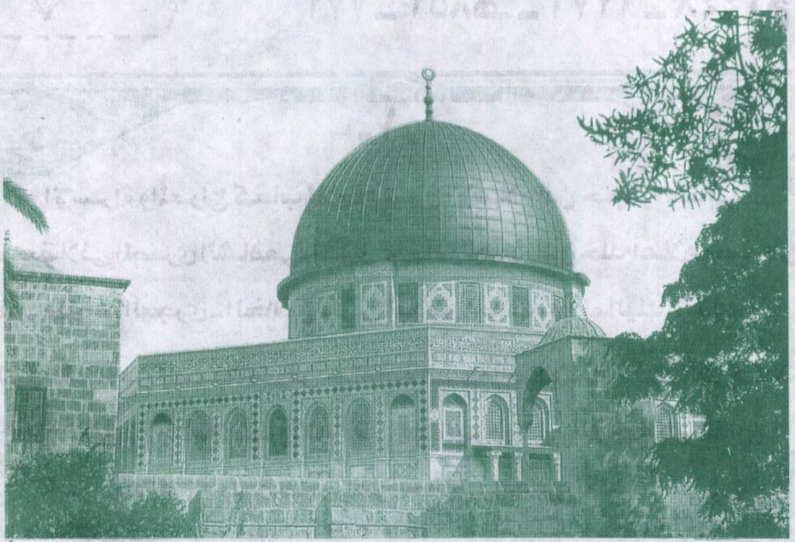

- الإسراء والمعراج للحافظ بن حجر العسقلانى
- أضــواء على الإســراء والمعــراج
- دروس من الإســـراء والمعــراج
- حـــول الإســـراء والمعـــراج
- هذا إسراؤه.. فـأين إسراء الأمـة؟!

من التراث الإسلامى

الإسراء والمعراج
للحافظ ابن حجر العسقلانى
٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ ـ ١٣٧١ ـ ١٤٤٨م

.١.

الإسراء والمعراج كتاب للإمام شيخ الإسلام ابن حجر الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى، أشهر علماء الحديث، وأخلد أعلام مصر فى القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى، فى عصر المماليك العظيم(١). ولد بالقرب من الفسطاط ومن جامعة الفسطاط الإسلامية، التى قامت وازدهرت فى جامع عمرو، ثم اعتراها الهرم والشيخوخة فى القرن الثامن بعد عصور زاهرة حفلت بالعلم والعلماء.

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

مات أبوه وهو فى الرابعة من عمره، وماتت أمه قبل ذلك بعامين، ورأى الحياة يتيما لا ستر له ولا حول، وتولى الوصاية عليه زكى الدين الخروبى، فرعاه طفلا صغيرا أحسن رعاية ووجهه شطر العلم والعلماء العلامة شمس الدين ابن القطان صديق والده الراحل.

حفظ القرآن وهو فى التاسعة من عمره وأدى العمرة مع وصيِّه الخروبى وهو فى الثانية عشرة، وصلى بالناس إماما بالحرم صلاة التراويح فى رمضان آنذاك.

وأقبل على كتب التراث الإسلامى يلتهمها التهاما، من مثل: عمرة الأحكام للمقدسى، والحاوى الصغير للقزوينى، ومختصر بن الحاجب فى الأصول، والتنبيه فى فروع الشافعية للشيرازى، ومنهج الأصول للبيضاوى، وألفية بن مالك فى النحو وملحة الإعراب للهروى، وصحيح

البخارى، وصحيح مسلم، والمسانيد والسنن، وغيرها، وقرأ مقامات الحريرى، وشعر حسان وغيره، من الشعراء الإسلاميين.

وكانت له عناية بالأدب والتاريخ، وجلس فى حلقات كبار علماء عصره، يستمع إليهم ويأخذ عنهم ويروى لهم، من مثل الفيروز أبادى مؤلف «القاموس المحيط» المتوفى عام ٨٠٧هـ، وإمام الشافعية شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وحين بلغ العشرين من عمره رحل إلى مدينة العلم والعلماء فى صعيد مصر «قوص» وكانت مركز الخليفة العباسى آنذاك ومقر إقامته، وفى الرابعة والعشرين من عمره زار الإسكندرية وأفاد من علمائها وفى مقدمتهم شمس الدين بن الجوزى، وفى السادسة والعشرين من عمره رحل إلى الحجاز، وزار اليمن وهو فى السابعة والعشرين، والتقى بعلمائها، وبأستاذه الفيروز أبادى، صاحب القاموس، وعاد إلى مكة المشرفة حاجا، وزار المدينة المنورة، كما زار دمشق والتقى بالعديد من علمائها وزار بيت المقدس أزال الله غربته، وكتب قصيدة عصماء فيه يقول منها:

إلى البيت المقدس حيث أرجو

جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا فى مسافته عقابا

وما بعد العقاب سوى النعيم

وكان ابن حجر عظيم الإقبال على الحديث وعلومه وصحاحه وسننه ومسانيده وأفاد من علم إمام أهل الحديث فى مصر زين الدين العراقى، حيث لازمه عشر سنوات وأجازه العراقى بتدريس علوم الحديث عام ٧٩٧هـ، فتولى تدريس الحديث فى المدرسة الجمالية الجديدة، كما تولى تدريس الفقه الشافعى فى المدرسة المؤيدية، وفى المدرسة الشيخونية، والمدرسة الصلاحية (بجوار ضريح الإمام الشافعى)، ثم تولى مشيخة المدرسة البيرسية.

وتولى الخطابة والفتوى فى مساجد القاهرة الكبرى وفى مقدمتها جامع عمرو، والجامع الأزهر الشريف، وبعد أن بلغ الرابعة والخمسين من عمره، تولى القضاء.

وأشهر مؤلفات ابن حجر شرحه لصحيح البخارى وهو فتح البارى، والإجابة فى تمييز الصحابة وتقريب التهذيب، وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان وغيرها.

ويقول فيه السيوطى فى كتابه «حسن المحاضرة»: كان إمام الحفاظ فى زمانه، وعانى الأدب، وقال الشعر، وبلغ فيه الغاية ثم طلب الحديث، وتخرج بالحافظ العراقى، وبرع فيه، وتقدم فى جميع فنونه.

وانتهت إليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها..

ويقول فيه تلميذه السخاوى: زادت تصانيفه، ومعظمها فى فنون الحديث، على مائة وخمسين مصنفا، رزق فيها السعد والقبول، خصوصا: فتح البارى بشرح البخارى الذى لم يسبق نظيره، ومن مؤلفاته فى علوم القرآن: الاتقان فى فضائل القرآن، وأسباب النزول؛ وفى التاريخ والتراجم؛ الإصابة فى تمييز الصحابة، و«الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة» ومختصر البداية والنهاية

لابن كثير، والفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة.

وترجمة العلامة عبدالحفيظ فرغلى لابن حجر ترجمة صغيرة مفيدة (مجلة الأزهر ـ ربيع الثانى ١٤٢١هـ).

٢ .

وكتاب ابن حجر «الإسراء والمعراج» كتاب صغير ولكنه عظيم الفائدة والأهمية فى الكلام على «الإسراء والمعراج» من كل نواحى هذا الموضوع الجليل.

فى هذا الكتاب يتحدث شيخ الإسلام ابن حجر عن أحاديث الإسراء والمعراج وعن فرض الصلاة فى هذه الليلة المباركة، وهل رأى رسولنا العظيم ربه فى هذه الرحلة الإلهية، ولماذا كان الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج إلى السماء، وهل كانا مناما أو يقظة، وهل كانا معا فى ليلة واحدة؟، ومتى تم المعراج، وكم مرة شق صدر النبى ﷺ.. كما يتحدث ابن حجر عن البُراق وأوصافه، وعن لقاء الرسول بالأنبياء فى السماء، وعن بكاء موسى لما رأى منزلة النبى ﷺ عند ربه.

كما يتحدث عن البيت المعمور، وسدرة المنتهى، وهل رأى الرسول ربه ليلة الإسراء وأقوال السلف فى ذلك، وينفى ابن حجر رأى من زعم تعدد الإسراء، إلى غير ذلك من الموضوعات الجليلة التى حفل بها هذا الكتاب.

٣ .

إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة إلهية كبيرة، اختص بها الله عز وجل نبيه الأمين، محمدا ﷺ وزاده تشريفا وتكريما.

هذه المعجزة الجليلة ثابتة ثبوتا قطعيا بالقرآن الكريم.

فالإسراء جاءت به الآية الأولى من سورة الإسراء، وبحسب الإسراء شرفا وتأكيدا وتوثيقا، أن سميت سورة من سور القرآن الكريم بالإسراء.

والمعراج ثابت فى الآيات ١ ـ ١٨ من سورة النجم. وفى الآيات ١٩ ـ ٢٤ من سورة التكوير.

وجاءت هذه المعجزة الكبيرة فى الأحاديث النبوية:

ـ فى مسند الإمام أحمد.

ـ وفى صحيح البخارى.

ـ وفى صحيح مسلم.

وفى جميع كتب الحديث من السنن والمسانيد وغيرها.

ويقول البيهقى: كان المعراج ليلة أسرى به ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مكة إلى بيت المقدس؛ ويقول ابن كثير فى ذلك: وهذا الذى قاله البيهقى هو الحق لاشك فيه ولا مرية.

وجمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى ﷺ وروحه بعد البعثة. وقد توارد على ذلك ـ كما يقول الإمام ابن حجر ـ ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل، ولو كان ذلك مناما أو بالروح

فقط لما كُذِّب رسول الله ﷺ، ولجواز وقوع مثل ذلك - الوقوع مناما أو بالروح فقط - وأبعد منه لآحاد الناس.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن طريق عبدالرحمن بن جبير عن أنس حديث الإسراء والمعراج، وكذلك الإمام مسلم عن أنس، وكذلك ابن مردويه عن طريق قتادة عن أنس مثل ذلك: وكذلك ابن ماجة والحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول»، وابن أبى حاتم وابن مردويه عن طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس. وكذلك البزار عن طريق قتادة عن أنس، وكذلك ابن مردويه عن نمرة بن جندب، وجاء كذلك فى رواية أبى سعيد الخدرى عن البيهقى، وكذلك البخارى عن طريق عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما -.

وكذلك أخرج أحمد والنسائى والبزاز والطبرانى والبيهقى وابن مردويه بسند صحيح عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وفى رؤية الرسول لربه ليلة الإسراء والمعراج أخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت ربى عز وجل؛ أى فى ليلة الإسراء والمعراج»** وأخرج الطبرانى فى «الأوسط»؛ بسند صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه كان يقول: بأن محمدا ﷺ رأى ربه مرتين: مرة ببصره، ومرة بفؤاده.

وأخرج أيضا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: نظر محمد إلى ربه، قال عكرمة: فقلت له: نظر محمد إلى ربه؟ قال: نعم، جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد ﷺ.

وأخرج البيهقى فى «كتاب الرؤيا: أن الله اصطفى إبراهيم بالملة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدا بالرؤية.

وأخرج الترمذى وابن مردويه عن طريق عبدالرحمن عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد اقرئ أمتك منى السلام».

هذه خلاصات لروايات السنة فى معجزة الإسراء والمعراج.

ويقول الإمام ابن حجر فى رؤية الرسول ﷺ لربه: أخرج الأموى فى مغازيه، عن طريق البيهقى عن محمد بن عمرو وعن أبى سلمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾** النجم: آية ١٣، **قال: دنا منه ربه.**

ـ٤٠ـ

قال الإمام ابن حجر : روى البخارى رضي الله عنه بسنده، عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ حدثه عن ليلة أسرى به، قال: بينما أنا فى الحطيم(٢)، وربما قال فى الحجر مضطجعا، إذ أتانى آت، فشق(٣) ما بين هذه إلى هذه، أى من ثغرة نحره إلى شعرته - فاستخرج قلبى، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا(٤)، فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة أبيض - هو البُراق - فحملت عليه ومعى جبريل فسرت، ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لى الأنبياء - عليهم السلام - فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم.

ثم صعد بى إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام.

ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام..

ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام.

ثم صعد بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها ادريس عليه السلام.

ثم صعد بى إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام.

ثم صعد بى إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام.

ثم صعد بى فوق سبع سموات، وأتيت سدرة المنتهى، فخررت ساجدا، فقيل لى: إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فقم بها أنت وأمتك، فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام.

أقول أنا: ويدور حوار بين رسول الله وموسى حول عدد الصلوات، ويسأل رسول الله ربه التخفيف مرارا فيقول الله عزوجل لنبينا ﷺ: إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات، فخمس بخمسين، فقم بها أنت وأمتك.. فأخذ بيدى جبريل عليه السلام.

-٥-

معجزة، ويالها من معجزة، إنها قدرة الله، إنها عظمته، إنها جلاله وإرادته.

ويضيق صدر زعماء الضلال فى مكة بما سمعوا من رسول الله ﷺ عن هذه الرحلة المباركة بعد أن أصبح الصباح، ويكذبونه ويصدقه أبو بكر الصديق، ويرتد أناس ممن آمنوا، ويثبت صادقو الإيمان على إيمانهم، فيزيدهم الله جلالا وخيرا ورحمة.

ويفيض ابن حجر فى حديثه عن الإسراء والمعراج، وفى الروايات التى رويت عن هذه الليلة المباركة، وفى الأحاديث التى وردت فى تفاصيل ليلة المجد والشرف الرسول الله ﷺ ولأمته، إفاضة بالغة، ويجمع الروايات، ويوفق بين بعضها والبعض الآخر، بما لا مزيد عليه، نافيا كل شبهة داعما الرأى الصحيح الصادق والوثيق، وابن حجر لا يجارى فى هذا الميدان، ولا يسابق فى هذا المجال، ولايعجز عن رد كل شبهة ونفى كل اعتراض.

-٦-

الرحلة من مكة إلى المسجد الأقصى، ومن الأرض إلى السموات العلا، إلى سدرة المنتهى فى جزء من ليلة مباركة، كيف كان ذلك، وكيف يكون..

ياأخى: إنها المعجزة، إنها قدرة الله وهيمنته وعظمته وجلاله.

يقول الباحث د. عبدالهادى مصباح (صحيفة الأخبار المصرية ١٩٩٩/١١/٥م) عن هذه المعجزة الخارقة:

رحلة الإسراء إلى بيت المقدس، ثم رحلة المعراج، كيف تم ذلك والليل على حاله، هذه رحلة تمت فى زمن قياسى، وما العجب فى ذلك؟ أليس

اختـراع د. زويل هذا الإنسـان الذى وصل إلى تقسيم الثانية الواحدة إلى ٣٢ مليون سنة من خلال «وحدة» «الفمتوثانية» واستطاع أن يرصد ما يمكن أن يحدث خلال الثانية الواحدة وكأنه دهر من خـلال الليزر، أيمكن أن يصدق العقل ذلك؟ إن الذين يريدون أن يفهموا ما حدث من خلال قدراتهم أو عقولهم، هم يحملون أنفسهم فوق طاقتها وهل يستطيع أحد أن يفهم كيف كان عيسى يحيى الموتى، أو كيف كلم الله موسى، أو كيف أوقف الخالق قانون الحرق بالنار، أو كيف تجلى الله سبحانه للجبل فجعله دكا؟

ومعراج الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى مخترقا السموات السبع والحجب راكبا البُراق الذى يقوده جبريل عليه السلام.. ووصل الرسول إلى الملأ الأعلى فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم عاد إلى جبريل ليصحبه فى رحلة العودة إلى الأرض وهو مكرم من رب العالمين، ويقول ﷺ: ولم أزل أنزل من سماء إلى سماء، فما مررت على شىء فى السموات إلا وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما انتهينا إلى السماء الدنيا إذا الليل على حاله لم يتقدم ولم يتأخر. وأتيت مكة ونزلت عن البُراق فودعنى جبريل، وقال: يا محمد إذا أصبحت فحدث قومك بما رأيت من العجائب فى هذه الليلة وبشرهم برحمة الله تعالى، فقلت: يا أخى ياجبريل إنى أخاف أن يكذبونى، فقال جبريل: إن كذبوك صدقك أبو بكر، فلا تبال بمن كذبوك بعده.

وحدث ما حدث فى مكة فى الصباح، وفى الصباح فى مجلس زعماء قريش كذبوه وصدقه أبو بكر، فسمى من يومئذ بالصديق وصدق جبريل، وصدق رسول الله ﷺ.

وصارت معجزة الإسراء والمعراج تروى على لسان الأيام والزمان والعصور، ولن تزال تروى كذلك إلى يوم القيامة، جيلا بعد جيل.

وصدق الله العظيم فيما يقول: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** النجم: آية ١١.. وفيما يقول: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** النجم: آية ١٨.

الهوامش:

١ ـ راجع حسن المحاضرة للسيوطى، وفى مجلة الأزهر عدد ربيع الثانى ١٤٢١هـ ترجمة له بقلم العلامة الشيخ عبدالحفيظ فرغلى القرنى.

٢ ـ هو الحجر ـ ووقع فى رواية الزهرى عن أنس عن أبى ذر: فرج سقف بيتى وأنا بمكة، وفى رواية الواقدى أنه أسرى به من شعب أبى طالب، وفى حديث أم هانئ أنه بات فى بيتها، والجمع بين هذه الأقوال ـ كما يقول ابن حجر ـ أنه نام فى بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبى طالب، ففرج سقف البيت، فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فأركبه البُراق.

٣ ـ شق صدره الشريف مرة وهو طفل فى بنى سعد، ومرة عند البعثة ـ كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل ـ ومرة عند الإسراء والمعراج.

٤ ـ وعن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى، ثم أطبقه، وعن شريك عن أنس: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة ـ أنه جاءه ثلاثة نفر وهو نائم فى المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم.

أضواء على الإسراء والمعراج

حادث الإسراء والمعراج حادث جلل وأمر له وزنه فى سير الدعوة الإسلامية وتاريخها، فقد جاء بعد امتحان عصيب لرسول الله ﷺ نفسيا وجسديا بعد الإيذاء الشديد من المشركين فى مكة مما دفعه للتوجه إلى الطائف عله يجد عند أهلها العون والسلوى، لكن الكفر ملة واحدة، فقد خذله أهل الطائف، بل إنهم أغروا به سفهاءهم وصبيانهم يسفهونه ويقذفونه بالحجارة حتى دميت قدماه، لكنه واصل مسيرته صامدا كالطود، متمسكا بحبل الله متضرعا إليه، منهيا تضرعه إلى ربه بقوله - عليه الصلاة والسلام - «إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، لك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

د/ حسين عباس الأنصارى

كما أن الظروف العصيبة قد تكاثرت على رسول الله ﷺ فى هذه الحقبة بعد موت زوجه خديجة - رضى الله عنها - والتى كانت سندا له فى دعوته، تخفف عنه صد المشركين عن الدعوة، وتسرِّى عنه أحزانه، وكذلك موت أبى طالب عمه وكافله، والذى كان يدفع عنه ويؤازره رغم بقائه على الشرك.

الجائزة الكبرى

هكذاجاء حادث الإسراء والمعراج فى هذه الأوقات العصيبة ليثبت قلب النبى ﷺ ويشد من أزره، وهو جائزة ما بعدها جائزة لم تحدث لنبى مرسل ولا لنبى مكرم سوى له - عليه الصلاة والسلام .

وحادث الإسراء والمعراج هذا كان امتحانا لقوة إيمان المسلمين ومدى تمسكهم بالدعوة وصاحبها، فقد ارتد كثير من ضعاف الإيمان حينما أخبرهم رسول الله ﷺ بذلك.

لكن المؤمنين الصادقين الصدوقين ثبتوا على إيمانهم وازدادوا يقينا على يقينهم.

وهاهو سيدنا أبو بكر ﷺ يقول للناس الذين أخبروه الخبر: لئن كان قاله فقد صدق.

وحينما أخذ رسول الله ﷺ يصف بيت المقدس لسيدنا أبى بكر يقول له: صدقت، وكلما وصف له جزءا من بيت المقدس يقول له: صدقت ومن يومها سماه رسول الله ﷺ «الصدِّيق».

معجزة بكل المقاييس

لقد كثر الكلام حول حادث الإسراء والمعراج، هل كان بالروح فقط أم بالروح والجسد معا؟

وبادئ ذى بدء فإننى أود أن أقول إن هناك أمورا جدلية لا يجدى الكلام حولها، حيث إنها أمور غيبية لا يمكن لنا أن نعرف كنهها مثل الجنة والنار وما فيهما، والعرش والكرسى والصراط إلى غير ذلك من الأمور التى يردُّ علم حقيقتها إلى الله سبحانه وتعالى.

ونحن كمؤمنين مطالبون بأن نعتقد بهذه الأمور دون الخوض فى حقيقتها، فمن صفات المؤمنين المفلحين أنهم يؤمنون بالغيب.

أما حادث الإسراء والمعراج وإن كنا مطالبين بأن نؤمن بأنه حدث فعلا لسيدنا محمد ﷺ مصداقا لقوله تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** الإسراء: آية ١.

إلا أننا نريد إلقاء بغض الضوء عليه تثبيتا لإيمان المؤمنين ولفتا لأنظار المكذبين أو المشككين بالحجة والبرهان.

إن حادث الإسراء والمعراج هو معجزة بكل المقاييس.

والمعجزة لا تكون عن طريق الرؤيا أو المنام، فهى لا تسمى فى هذه الحالة معجزة، فحادث الإسراء والمعراج حدث عيانا بيانا يقظة بالروح والجسد معا.

وهذا ما جعل المشركين يكذبون النبى ﷺ، وجعل بعض المسلمين ضعيفى الإيمان يرتدون عن الإسلام، ولو كانت مجرد رؤيا منامية ما استغربوا ذلك وما استنكروه.

وأى شخص يتخطى حواجز الزمن والمسافات وهو نائم، ويستطيع أن يخبر أنه ذهب إلى أمريكا مثلا وقضى بها شهرا كاملا وقابل الرئيس الأمريكى، وجلس معه، أما أن يصف طرقات البيت الأبيض وقاعاته واحدة واحدة وهو لم يره من قبل فهذا أمر غير وارد.

أما رسول الله ﷺ فقد وصف بيت المقدس ركنا ركنا وأبو بكر رضي الله عنه يقول له: صدقت لأنه يعرف بيت المقدس وتفصيلاته.

كما أن رؤيا الأنبياء حق، ولو كان الإسراء رؤيا منامية لكان من الواجب أن تتحقق عمليا، لكن رسول الله ﷺ لم يذهب إلى بيت المقدس بعد هذه الليلة أبدا.

رؤيا الأنبياء

أما رؤياه ﷺ المنامية بدخول المسجد الحرام هو وصحابته فقد تحققت عمليا فى عمرة القضاء لأن رؤيا الأنبياء حق كما أسلفنا.. **كما أن وصفه ﷺ للقافلتين القادمتين من الشام وصفا دقيقا وتصديق رجال القافلتين لكلامه ﷺ ووصولهما فى الموعد التقريبى الذى حدده النبى ﷺ كل ذلك يدل على أن هذه الرحلة كانت بذاته ﷺ خلال الليل لأن الذى أسرى به هو خالق الكون ورب الأرباب، من يقول للشئ كن فيكون ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** الإسراء: آية ١. كما أن حدوث خوارق العادات هو أمر طبيعى بالنسبة للأنبياء يؤيدهم الله بها فى صدق دعواهم، ويثبت بها قلوب المؤمنين، ويحرك بها مشاعر الإيمان فى نفوس غير المؤمنين كما حدث لسحرة فرعون **﴿وألقى السحرة ساجدين﴾ قالوا آمنا برب العالمين﴾ رب موسى وهارون﴾** الأعراف: الآيات ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، وهى مسافة تساوى أكثر من ضعف المسافة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى زمن طرفة عين - أى فى ثوان - معدودات وذلك بواسطة علم علمه الله أحد جلساء سيدنا سليمان فكيف بقدرة من علَّم هذا العلم.

والتطور العلمى الحديث فى أبحاث الفضاء حتى هذه اللحظة فقط يبين لنا أن المسافة بين مكة والشام تقطع فى ثوان معدودات بواسطة الصواريخ، فماهى الغرابة أن يسرى بالنبى ﷺ جسدا وروحا من مكة إلى الشام فى جزء من الليل؟!

كما أن التابوت جاء محمولا بواسطة الملائكة من مسافة بعيدة تأييدا لطالوت الذى بعثه الله ملكا لبنى إسرائيل لكنهم استنكروا ذلك. يقول رب العزة: **﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾** البقرة: آية ٢٤٨.

سدرة المنتهى

أما المعراج إلى السموات العلا، ثم إلى سدرة المنتهى، فقد تعرض لإنكار أشد أن يكون قد حدث للنبى ﷺ بالروح والجسد معا، لأن المسافة بين السماء المرئية والأرض تحتاج فى قطعها إلى آلاف

الملايين من السنوات الضوئية علما، بأن سرعة الضوء هى ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة ألف كيلو متر) فى الثانية الواحدة، فما بالنا بالمسافة إلى سدرة المنتهى حيث ليس لها منتهى فى حساباتنا نحن البشر.

ونحن المؤمنين نوقن بأن هذا حدث لنبينا ﷺ كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم، حيث لا حديث بعد حديث القرآن حيث يقول: **﴿والنجم إذا هوى ۞ ما ضل صاحبكم وما غوى ۞ وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلا وحى يوحى ۞ علمه شديد القوى ۞ ذو مرة فاستوى ۞ وهو بالأفق الأعلى ۞ ثم دنا فتدلى ۞ فكان قاب قوسين أو أدنى ۞ فأوحى إلى عبده ما أوحى ۞ ما كذب الفؤاد ما رأى ۞ أفتمارونه على ما يرى ۞ ولقد رآه نزلة أخرى ۞ عند سدرة المنتهى ۞ عندها جنة المأوى ۞ إذ يغشى السدرة مايغشى ۞ مازاغ البصر وما طغى ۞ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** النجم: ١ ـ ١٨.

ولغير المؤمنين بالله وبالقرآن الكريم نقول لهم إن العلم المادى الذى تؤمنون به لا يتعارض مع حادث المعراج، حيث تنص قوانين علم الطبيعة على أن حجم الجسم يتناسب عكسيا مع سرعته، بمعنى أنه كلما زادت سرعة الجسم، انكمش حجمه حتى يصل حجمه إلى الصفر وحينئذ يتحول الجسم المادى إلى طاقة، والطاقة لا تقف دونها حواجز ولا تحول بينها مسافات، فليس من المستغرب أن يحدث هذا للنبى ﷺ حتى بمقاييس العلم المادى.

حماية المقدسات الإسلامية

إن ذكرى الإسراء والمعراج يجب ألاَّ تمر علينا دون أن نأخذ منها العبرة والعظة. ومن هذه العبر والعظات بحسب فهمى ما يلى:

١ ـ أن المسجد الأقصى مسرى رسول الله ومتعبد الأنبياء السابقين هو جزء لا يتجزأ من مقدسات الأمة الإسلامية، ولا يجوز لغير أبناء هذه الأمة أن يتحكم فيه ولا حتى أن يشرف عليه حتى لا يصد الناس عن عبادة الله فيه كما يحدث الآن وهو واقع تحت أسر بنى صهيون، وعلى عاتق المسلمين يقع عبء تطهير أرض المسجد الأقصى من أيدى غاصبيه.

٢ ـ أن الإسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لخلقه، فهو عقيدة جميع الأنبياء السابقين، يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ آل عمران: آية ٨١.

ومسرى رسول الله ﷺ إلى مهبط الرسالات وصلاته إماما بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ فى تلك الليلة لهو إشارة إلى وجوب أن يعم الإسلام جميع أرجاء هذه الأرض، وهذا واجب العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وواجب الحكام المسلمين الذين جعلهم الله أمناء على مصالح خلقه.

من أحوال الآخرة

٣ ـ بين لنا رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة ما سيكون عليه أمر العباد فى الآخرة بناء على سلوكهم فى الدنيا وذلك بالنماذج التى وضحها لنا عن مصير بعض العباد ومنهم على سبيل المثال:

أ ـ أكلة أموال اليتامى ظلما والذين مُثل لهم بأناس يقذفون بكرات من نار فى أفواههم لتتجه نحو بطونهم وأمعائهم حتى تخرج من أدبارهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ النساء: آية ١٠.

ب ـ أكلة الربا الذين لهم بطون يقول رسول الله ﷺ عنها: «لم أر مثلها قط. يطأهم الناس بأقدامهم وهم لا يقدرون أن يتحولوا من مكانهم، لقد أتخموا بالمال الحرام، جمعوه كيفما اتفق متناسين أنهم سيحاسبون عليه حسابا عسيرا أمام رب العالمين. إلى غير هذه الصور والأمثلة التى يضيق عن ذكرها المقام والتى تعتبر مثلا مصغرا عن أحوال الآخرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهلا فكرنا فى ذلك ونحن نعرف عقابه وعاقبته؟!!

دروس من الإسراء والمعراج

محمد عبدالسميع شبانة

تعود ذكرى الإسراء والمعراج لتملأ الأرجاء بأريج النبوة وتشد قلوب المسلمين إلى التأمل فى هذا الحدث العظيم الذى كرم الله به نبينا محمدا ﷺ، فأذهب عنه الهم والغم وأكد مكانته عند ربه فعاد من الرحلة المباركة منشرح الصدر واثقا بأن الله ناصره ومتم نوره وأن الدائرة ستدور على الظالمين الذين أمضوا فى إيذائه ومحاربة دعوته والبطش بأتباعه.

فلقد بلغ العنت بأعداء الدعوة، أعداء الحق أن ضربوا حول رسول الله ﷺ والمسلمين حصارا اقتصاديا ضاريا فانقطع الطعام عن المسلمين واشتد بهم البأس ولم يجدوا ما يأكلونه بعد أن نفد ما كان عندهم من زاد فأكلوا الشوك حتى جفت حلوقهم وتقرحت شفاههم، ومع ذلك ظلوا أقوياء الإيمان لم تفت فى عضدهم حرب الطعام والشراب وصبروا على البأساء والضراء حتى قيض الله من حكماء قريش من فرق الحصار الظالم، وقد كان الإيمان زاد المسلمين فى هذه المحنة الضارية فخرجوا أقوى إصرارا على التمسك بدينهم ما لانت عريكتهم وما ضعفت مقاومتهم، وكذلك أصحاب المبادئ الصادقة وأتباع الحق يثبتون أمام الشدائد وتنصهر نفوسهم بالمحن.

وتمضى الأحداث ويبتلى رسول الله بموت زوجته خديجة، وقد كانت له قرة عين ورفيقة حياة صادقة يجد عندها السكن والمودة والرحمة تؤمنه من خوفه وتهدئ من روعه ويفيض قلبها حنانا عليه، تقول له فى إيمان: «**إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف والله لن يخزيك الله أبدا**»، فيحزن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لفراقها أشد الحزن ثم لم يلبث أن يموت عمه أبو طالب، وقد كان له السند القوى يرد عدوان قريش عنه ويدفع عنه غوائل جهلها وعنتها ورفض أن يتخلى عن رسول الله ﷺ أو يسلمه إليهم ، وبعد وفاته تجرأت قريش على رسول الله ﷺ واشتد إيذاؤها له وكانت لا تقدر على ذلك فى حياة أبى طالب.

ويتجه الرسول ﷺ إلى الطائف رجاء أن يجد فى أهلها من يهتدى بدعوته، ولكنها كانت أشد ضراوة من قريش فأغرت به سفهاءها وغلمانها يطاردونه ويرمونه بالحجارة حتى يستند إلى حائط بستان، وقد بلغ به الهم مبلغه فاتجه إلى الله يلوذ به يشكو إليه ما أصابه من قومه.. **«اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى؟! إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات أن ينزل على غضبك أو يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».**

الشأن مع الأنبياء وأصحاب الرسالات

هكذا كان الشأن مع الأنبياء وأصحاب الرسالات! يجدون العنت من قومهم ويتعرضون للعداوة والإيذاء وتطاردهم حملات الكراهية من السادة والكبراء ولكن النصر فى النهاية معهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾**.

ويقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾**.

إذن المعركة قديمة بين أصحاب الحق وأتباع الباطل، وبين الرسل وقومهم فلابد أن يحدث للرسول الكريم ما حدث للسابقين والرسول الكريم بشر والشأن أن يضيق صدره بتوالى الهموم عليه، ولكن تبقى الطمأنينة فى قلبه والثقة فى ربه، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾**، ويقول الله سبحانه وتعالى: **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾**، ويقول الله سبحانه وتعالى: **﴿فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾**.

وصدق الله العظيم فلم يمض وقت طويل على هذه المحن حتى أيد الله رسوله بالإسراء والمعراج وشرح الله صدره، وجعل له من الضيق فرجا، وكان الإسراء والمعراج حفل تكريم من الله لرسوله فى الأرض وفى السماء.

بشارة للرسول ﷺ بالنصر

كان الإسراء والمعراج شحنة إلهية تفرج عن الرسول ﷺ ما نزل به من هم.. كان بشارة للرسول ﷺ بأن الله لن يتركه وأن دعوته ستملأ الأرض ويعم نورها الآفاق، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾**.

ولقد تم الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة أسرى بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المسجد الأقصى وكان الأنبياء فى شرف استقباله عند قبة الصخرة، وصلى الرسول ﷺ بهم ثم عرج به ﷺ إلى السماء ورأى من آيات ربه ما رأى وغمرته الأنوار الإلهية، وتجلى الله لرسوله الكريم فرأى من عظمة الربوبية ما رأى يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** الإسراء: آية ١، ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النجم: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ﴿عند سدرة المنتهى﴾ ﴿عندها جنة المأوى﴾ ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** النجم: الآيات ١٣ ـ ١٨.

دروس من الإسراء والمعراج

إن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم أن يستلهموا من هذه المواقف الكريمة المعالم التى تنير طريقهم وتهديهم سواء السبيل بعد أن ضلت بهم الأهواء وأصبحوا أهواء وشيعا لا يتفقون على رأى لمواجهة المؤامرات التى تدبر لهم وإيقاف نزيف الدم الذى يسيل على أرض فلسطين من عدو غاشم غادر يقتل النساء والأطفال والشيوخ ويدمر البيوت فوق أصحابها ويخرب كل شىء فيها من منطلق ذكرى الإسراء والمعراج تأتى حاجة المسلمين إلى أن يوحدوا كلمتهم ويجمعوا صفوفهم ويعودوا متحابين متآلفين، فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾** الحجرات: آية ١٠، ينبغى أن نأخذ من ذكرى الإسراء والمعراج الدرس الذى ينقصنا فى مواجهة ما نحن فيه من مصاعب فعندما تشتد الأزمات يكون السبيل إلى الخلاص منها بالثقة فى الله ووضوح الرؤية وصفاء النفوس، واتباع ما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه، ولنجرب اللجوء إلى الله ونطهر نفوسنا من أدران الخطايا والعودة إلى القيم الإسلامية نتحلى بها ونتعامل بها فى كل معاملاتنا، وذلك هو المدخل إلى القضاء على المشاكل والتخلص منها، فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ الطلاق: الآيتان ٢، ٣، ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾** الطلاق: آية ٤.

من خلال ذكرى الإسراء والمعراج ينبغى أن نوجه شبابنا وأولادنا إلى إقامة الصلاة التى فرضها الله فى هذه الليلة المباركة ليلة الإسراء والمعراج، فالصلاة تسمو بصاحبها إلى الطهر والعفاف وتحول بينه وبين الخطايا. وعندما يتعود أولادنا على الصلاة منذ طفولتهم فإنها تظل أثيرة فى نفوسهم تعصمهم من الزلل كبارا، وتنمى فيهم روح التعاون والنظام والدقة والمساواة حيث تجمعهم الصلاة فى وقت واحد فى المسجد وراء إمام واحد وفى صفوف منتظمة لا ثغرة فيها، فتثبت هذه المعانى النابعة من الصلاة فى قلوبهم وتبقى فى حياتهم منهجا يتعاملون به.

فلتكن هذه المناسبة التى فرضت فيها الصلاة دافعا لأن يعود المقصرون فى صلواتهم عن تقصيرهم، فالصلاة عماد الدين وهى الصلة بين المرء وربه فما من إنسان حافظ على الصلاة وأداها فى خشوع إلا وجد فيها الأمن والراحة، وغرست فيه الخلق الكريم، فالرسول ﷺ يقول: «وجعلت قرة عينى فى الصلاة».

من منطلق هذه الذكرى الكريمة ندرك أن الشدائد فى كل زمان ومكان هى محك الرجال وأن الحق دائما هو الأبقى وأن العاقبة للمتقين.

تعلمنا أحداث الإسراء والمعراج أن مع العسر يسرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب.

ولقد بلغت الشدائد ذروتها وعندما تشتد الأحداث وتتأزم المواقف تكون المواجهة مع النفس أيسر الطرق لحلها ليتبين الخيط الأبيض مع الأسود، والرشد من الغىّ، لتكون المسيرة على هدى ونور.

وعندئذ يلوح الفجر وتشرق الشمس وينتشر الضوء ويستقيم الطريق، **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾** الروم: الآيتان ٤، ٥.

حول الإسراء والمعـــراج

على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان، والإسراء والمعراج يمثلان مجالا خصبا للتدبر والاجتهاد، فى استنتاج الغايات والمقاصد، واستنباط العبر والدروس، من ذاك الحدث الجليل، ومازال مجال النظر والتأمل متسعا حتى الآن، بل إنه سيظل موردا عذبا لاستجلاء الصور والمشاهد الواردة فيه، وإدراك معانيها وفقه أسرارها.

رجب عبدالمنصف

وفى هذه العجالة لمحة من هذه المقاصد، وشذرة من تلك الرموز والمعانى، مع شىء من التعريف بطبيعة الحدث مع العروج على مكانه وزمانه.

طبيعة الإسراء وملابساته

الإسراء والمعراج معجزة إلهية، ونعنى بالمعجزة أنها أمر خارق للعادة، خارج عن نطاق الأسباب والمسببات، مغاير للسنن الكونية والنواميس الطبيعية التى وضعها الله فى هذا الكون، لتسييره وفق ما أودع فيه.

وقد أدرك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذاك الملحظ بوعى ونفاذ بصيرة، فقال مقولته الشهيرة، التى أكسبته إياها ملكة الصدق - وكان بها جديرا -: «إنى لأصدقه فيما هو أبعد من هذا، أصدقه فى خبر السماء بين غدوة وروحة»(١)، ردا على استبعاد المشركين لهذا الحدث، عندما قال قائلهم: إن أمرك قبل اليوم كان هينا يسيرا غير قولك اليوم فهو يشهد أنك كاذب! نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا، ومنحدرا شهرا. أتزعم أنك أتيته فى ليلة واحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك! وما كان هذا الذى تقول قط!

فانبرى له أبو بكر الصديق رضي الله عنه قائلا له: بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبته، أنا أقول إنه صادق!

فقال رجال من قريش: أتصدقه فيما يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال أبو بكر الصديق: نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من هذا.. أى أنه مادام قد آمن به نبيا مرسلا من ربه، فهو صادق فى كل ما يخبر به أو يحدث عنه، ولا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى.

وقد غاب هذا المعنى الذى أدركه أبو بكر الصديق - فى سرعة بديهة ونفاذ بصيرة - عن كثير من المسلمين، حتى إن الأمر كان فتنة

لضعاف اليقين، فارتد بعضهم استبعادا للأمر واستنكارا له.

ومادام الإسراء معجزة إلهية تخترق حدود الزمان والمكان المتعارف عليها، فلابد وأن تكون بالروح والجسد يقظة لا مناما. وقد أطال كل من القاضى عياض وابن قيم الجوزية وغيرهما من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين فى تأكيد هذا المعنى والانتصار له(٢).

زمان الإسراء

اختلف المؤرخون وكتاب السيرة فى تحديد السنة التى وقع فيها الإسراء، ناهيك عن اليوم والشهر، وإن كان هناك ما يشبه الإجماع على أنه قد وقع قبل الهجرة بعام أو يزيد قليلا.

ولعل سائلا يسأل عن هذا الاختلاف ـ سواء فى العام أو الشهر أو اليوم ـ ما علته؟

والجواب: أن القرآن الكريم والرسول ﷺ قد أرشدا المسلمين إلى ما نسميه اليوم بـ«فقه الأولويات»، حيث الاهتمام ينصب على المضمون، وعلى موضع العبرة، وعلى الغاية من الأمر.

نلحظ ذلك واضحا جليا فى القصص القرآنى، حيث تغيب التفاصيل التى لا حاجة إليها، ويبقى المقصد وحده شاخصا، تستلهم منه العبرة، وتؤخذ عنه الفكرة، ومن هنا لم يهتم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بتسجيل يوم الإسراء أو شهره أو فى أى الأعوام وقع، فالأمر قريب والمقصد قائم فى تكريم المصطفى ﷺ ورفع مكانته.

بداية الإسراء

بينت الآية الكريمة بداية الإسراء، وأنه من المسجد الحرام، وأن غايته كان بيت المقدس، ونظرا لأنه قد جاء فى بعض الأحاديث المخبرة عن الإسراء أن إسراءه ﷺ كان من حجر إسماعيل، وفى بعضها أن الإسراء كان من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، حيث كان ﷺ نائما فى بيتها، وأن هذا قد يوهم خلاف ظاهر الآية، الأمر الذى يوجب بيان المقصود من المسجد الحرام أولا، ثم الجمع بين هاتين الروايتين.

أما عن المسجد الحرام فهو يطلق على أربعة مواضع:

الأول: الكعبة ذاتها، لقوله سبحانه وتعالى: **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾**.

الثانى: الكعبة وما حولها من المسجد.

الثالث: مكة جميعها **﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾**.

الرابع: الحرم جميعه، أى مكة وضواحيها التى يحرم الصيد فيها؟ **﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾**، والمقصود: الحديبية، حيث فيها صلح الحديبية.

فالإسراء كان من المسجد الحرام سواء كان من الحجر أم من بيت أم هانئ.

والظاهر أنه ﷺ نام أول الليل فى البيت الكائن فيما بين الصفا والمروة، ثم انتقل بعد ذلك إلى حجر إسماعيل حيث أسرى به، فالأمر من باب التغليب، أى أن الرواية التى أفصحت عن أن الإسراء كان من بيت أم هانئ نظرت إلى

أول نومـه، والرواية الأخرى سجلت الواقع القريب.

غاية الإسراء، ولم كان بيت المقدس؟

وكما بين القرآن الكريم، فقد انتهت رحلة الإسراء إلى بيت المقدس؟ لتتلوها بعد ذلك رحلة المعراج.

والمقصد فى خلوصها لبيت المقدس هو ما اختص به من بركة، على ما أخبر القرآن الكريم ﴿الذى باركنا حوله﴾، كما تميز كذلك بالقداسة لكونه نزل الأنبياء، ومعتكف الأولياء، كما أنه أحد المساجد الثلاثة التى يشد إليها الرحال، ويزاد فيها أجر الصلاة.

ولعل فى قوله ﷺ: إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالث: سأله حكما يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله: أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه.. قال النبى ﷺ: **«ونحن نرجو أن يكون الله أعطاه ذلك»**(٣).

على أن هناك إشارة أخرى تعنى انتقال ميراث النبوة من ولد إسحاق لولد إسماعيل، ممثلا فى محمد ﷺ. فالقدس هى مدينة الأنبياء كما أسلفنا، فعندما تستقبل محمدا ﷺ ويتمثل له الأنبياء جميعا، فيأتمون به، ويصلون بصلاته، إعلانا لوحدة الدين من ناحية، وإيذانا لنسخ الإسلام لسائر شرائعهم، وأن شريعته ﷺ هى الباقية، ومن هنا جاء قوله ﷺ: وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى.. وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلى.. وإذا إبراهيم قائم يصلى.. فحانت الصلاة فأممتهم.

تقديم الإسراء على المعراج

لعل الحكمة فى أن تبدأ رحلة التكريم الإلهى بالإسراء دون المعراج، هو تهيئة المصطفى ﷺ للقرب من الله تعالى، فجاء ذلك على سبيل الترقى.. هذا بالنسبة له ﷺ.

أما بالنسبة لقومه، فتعنى هذه البداية إقامة الحجة عليهم بعنادهم، وإصرارهم على الكفر. فهم يعرفون المسجد الأقصى حق المعرفة، لذا فقد طلبوا منه ﷺ وقد أخبرهم بإسرائه إليه ـ أن يصفه لهم، وسألوه عن أبوابه، فأجابهم ﷺ كأدق ما تكون الإجابة، وقد أقروا له بذلك، ومع كل هذا ظلوا على كفرهم وعنادهم.

وفى هذا يقول المصطفى ﷺ: لقد رأيتنى فى الحجر، وقريش تسألنى عن مسراى، فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربا ما كربت مثله قط، فرفعه الله إلى، انظر إليه، ما يسألون عن شىء إلا أنبأتهم به. فقالوا: أما النعت فو الله لقد أصاب.

بخلاف ما لو بدأ ﷺ بالمعراج، ثم جعل يحدثهم بما رآه فى معراجه، وليس لهم بالسماء عهد، ولذلك يقول الصالحى: استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولا، فلما ظهرت أمارات صدقه وصحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج (سبل الهدى والرشاد جـ٣ ص٣٢).

الحكمة من الإسراء

مما لا ريب فيه أن للإسراء مقاصد وغايات

وعللا وأسرارا، يستطيع المرء بشىء من التأمل والنظر أن يدرك بعضها دون أن يلم بها قاطبة، كل بحسب ما قدر له.

ومن هذه المقاصد ما مر بنا خبره، كإمامته ﷺ للأنبياء، إيذانا بتقديمه وفضله، وأن شريعته هى الناسخة لشرائع سواه من الأنبياء والمرسلين.

ناهيك عن المقصد الأول الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿**لنريه من آياتنا**﴾، ومن هذه الآيات التى رآها ﷺ بديع قدرته - جل شأنه - المتمثلة فى الإسراء ذاته، وما رآه من نعيم المتنعمين وبؤس المعذبين.

أيضا من مقاصد الإسراء وغاياته، الترويح عن المصطفى ﷺ وتثبيت قلبه، إذ أن الفترة السابقة على الإسراء كانت تسمى بعام الحزن، حيث فقد عمه أبا طالب الذى كثيرا ما كان ينافح عنه، ويرفع بمكانته كيد المشركين وأذاهم. كما انتقلت زوجه الرؤوم: خديجة بنت خويلد لجنة ربها، وكانت تزود عنه بجاهها وسطوتها فى قومها، الأمر الذى جرأ عليه المشركون بما كانوا لا يجرؤون عليه، فاتجه - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الطائف، عله يجد فيها الملاذ الآمن والنصير القوى، غير أن شيئا من ذلك لم يحدث، وهنا تجلت عناية الله فى الإسراء والمعراج، تثبيتا له، وطمأنينة بأن الله لن يخذله، إذ شاهد من عجائب قدرته وأسرار حكمته ما أعانه على مواصلة الرسالة وإتمام الدعوة، فكانت بمثابة المدد القوى، الذى يعين على بلوغ الغاية دون الاكتراث بالعوائق والعراقيل.

وقريب من هذا المقصد تهيئة المؤمنين وإعدادهم لمرحلة أخرى فى حياة الدعوة إعدادا ينفى الخبث ويميز الطيب، بحيث ينأى عن صفوفهم من ضعف يقينه، وقل زاده، ونظر إلى الحدث مجردا فى حد ذاته، دون أن يواكبه النظر لقدرة الله غير المتناهية.

وفى ذلك يقول ابن إسحاق: كان فى مسراه ﷺ بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب.. ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق، وكان من أمر الله على يقين.

أيضا من مظاهر الحكمة فى هذه المعجزة: رفع مكانته ﷺ وإعلاء منزلته، والتنويه بشأنه، وحشد الأنبياء له، وتسليمهم عليه، وترحيبهم به، ثم العروج به لسدرة المنتهى.. للقرب الإلهى.. ﴿ثم دنا فتدلى ❁ فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.. وعند هذا المقام تقف العبارة.. وتنطلق الإشارة.. ولا تثريب عليها حينئذ.

ومن الإشارات ذات المعنى فى هذا المقام، إذا ما قلنا: إن الضمير يعود على محمد ﷺ وحده، قول بعض الصوفية: دنا عبدا.. فتدلى فردا.. دنا مكيا.. فتدلى ملكيا.. دنا قرشيا.. فتدلى عرشيا.. دنا مجاهدا.. فتدلى مشاهدا.. دنا طالبا.. فتدلى واصلا.. دنا ومعه الرحمة.. فتدلى ومعه المرحمة.. دنا افتقارا.. فتدلى افتخارا.. دنا مناديا.. فتدلى مناجيا.. دنا مادحا.. فتدلى ممدوحا.. دنا شاكرا.. فتدلى مشكورا..

الهوامش:

١ - انظر طبقات ابن سعد جـ١ ص١٤٤ ط دار التحرير.

٢ - انظر زاد المعاد والشفاء.

٣ - رواه أحمد والنسائى والحاكم.

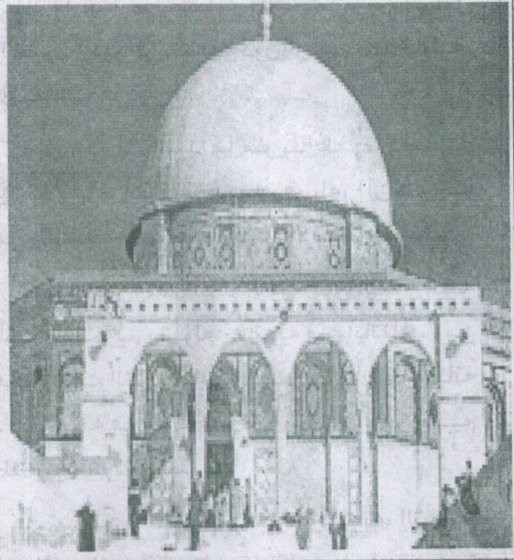

هذا إسراؤه.. فأين إسراء الأمة؟!!

الدكتور طه أبو كريشة:

التفريط فى المسجد الأقصى هو تفريط فى المسجد الحرام

تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان

ليست حادثة الإسراء والمعراج مجرد واقعة تتناولها الأقلام كحدث تاريخى مضى وانقضى عهده، أو معجزة لرسول انفصلت بزمانها عن واقعنا المعاش.

وانما هى معجزة حية باقية يتردد صداها عبر المكان والزمان وتستضىء القلوب بنورها الوهاج وسراجها المنير، فتسمو بذات المسلم وترتقى به وتفتح أمامه أبواب القرب من الله.

لقد كان الإسراء والمعراج جائزة كبرى لنبى صدق ما عاهد الله عليه وأبى إلا أن يقف صامدا شامخا أمام قلاع الكفر وعتاة المشركين ولاقى من الأذى مالا قبل لبشر غيره على تحمله حتى دميت قدماه.

وأطلق قولته التى زلزلت أركان الدنيا **«إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى»**.. أى عظمة تلك التى بلغت حد الفناء من أجل نصرة دين الله، وكانت الجائزة عظيمة بقدر عظمة العمل، إنها دعوة لكل مسلم أن يسلك الطريق القويم ويمضى على الصراط المستقيم، فأول الطريق فى معراج السالكين إلى الله يبدأ بتوبة وينتهى بالقرب من الله تعالى كأعظم ما تطمح إليه النفوس وتهفو إليه القلوب.

إنها تذكرة لكل ذى قلب نابض وعبرة لكل من

الدكتور عبدالعظيم المطعنى:

وسائل الردع السلمية قد تحقق مالا يحققه هدير المدافع

ألقى السمع وهو شهيد.

فهل مازالت أمتنا حية نابضة تستطيع أن تعى درس الإسراء والمعراج كى تهب لنجدة الأقصى الذى يستنجد بالمسلمين: هلموا فكوا قيودى؟!

الرابطة الروحية

فى البداية يثير الدكتور طه أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر - قضية على جانب كبير من الأهمية قد تغيب عن كثير من المسلمين وهى أن للمسجد الأقصى مكانة عظيمة فى الإسلام كمكانة المسجد الحرام؛ ذلك لأن هناك ارتباطا روحيا بينهما، أراده الله سبحانه وتعالى تقديسا وتعظيما وتشريفا لهذا المسجد المبارك، حين التقى فى إسراء الرسول ﷺ هذا المسجد مع أطهر بقعة على ظهر الأرض - المسجد الحرام ومكة المكرمة، وصلى فيه الرسول ﷺ إماما للأنبياء والمرسلين ليعلن للدنيا بأسرها عموم رسالته وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

فرسالة محمد ﷺ تجاوزت حدود الزمان والمكان، فكانت عامة إلى كل البشر، والربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى سورة الإسراء ومعراج الرسول إلى السموات العلا لخير دليل على ما نقول، ومن ثم فإنه إذا استقرت فى وجدان المسلمين تلك الحقيقة فلن يسمحوا بأن تداس حرمة المسجد الأقصى أو أن تدنس ساحته، بل سيرسخ فى يقينهم أن الدفاع عن هذا المسجد فرض على كل مسلم ومسلمة بشتى الوسائل المادية والمعنوية.

تفعيل الصمود

وعن كيفية الدفاع عن المسجد **يضيف نائب رئيس جامعة الأزهر قائلا: إن لدى المسلمين العديد من الوسائل الفعالة التى يمكنها الانتصار للقدس وللمسجد الأقصى ولإخواننا فى فلسطين ومنها إمدادهم بالمؤمن وبالمال الذى يمكنهم من مواجهة قوى البغى، ويُفعل صمودهم ويقوى من شوكتهم ويحميهم من تسخير اليهود لهم بالعمل تحت سخرتهم نظير قروش قليلة لا تغنى ولا تسمن من جوع**، وبذلك تضمن تقليص دورهم الفدائى الفذ لأنهم لا يملكون حتى قوت يومهم، ولذلك أهيب بكل المسلمين أن يمدوا يد العون لإخواننا فى فلسطين ماديا ومعنويا حتى تعود القدس وتعود الأرض السليبة إلى أصحابها الشرعيين.

الجائزة الكبرى

ويشير الدكتور عبدالعظيم المطعنى - الأستاذ بجامعة الأزهر - إلى أن إسراء الرسول ﷺ كان مكافأة له من ربه من جهة، وتثبيتا له من جهة أخرى، حيث لاقى من العناء والمشقة والمضايقات فى تلك الفترة التى سبقت الإسراء مالم يلاقه فى أية مرحلة أخرى من مراحل الرسالة، وذلك حين عودته من الطائف يدعو أهله إلى الإسلام فلم يجد منهم إلا الإيذاء والسخرية، وحين قفل راجعا إلى مكة لم يجد من أهلها إلا الصدود والتنكر لرسالته فتوجه إلى ربه بالدعاء من قلب مكلوم ونفس ملأها الأسى، ليصعد ذلك الدعاء المفعم بالرجاء لرضا ربه فى أجواء الكون، فكان الإسراء والمعراج أول خطوة فى سلم الصعود، وفيهما (الإسراء والمعراج) أرى الله رسوله الكريم أنه فتح له آفاق الكون كله، فطوى له أبعادها فى جزء

يسير من الليل ذهابا وعودة.

ورفعه مكانا عليا فى الفضاء الحاجز بين السماء والأرض والفضاءات الحاجزة بين سماء وسماء حتى أوطأ قدميه ساحة سدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى - فاطمأن قلب صاحب الرسالة إلى أن الله راض عنه، مؤيد له، وأراه فى رحلتيه الأرضية والسماوية آيات عظاما، لم يرها رسولا أو نبيا من قبله ولن يُرها أحدا بعده.

إسراء الأمة

ذلك كله إسراء الرسول، أما إسراؤنا نحن - والكلام لايزال للدكتور المطعنى - أعنى إسراء الأمة الواجب عليها، ففى استعادتها القدس الشريف ومسجده الأقصى إن كل احتفال يخلو من العزم والتصميم المقرون بخطوات إيجابية عملية لتحرير القدس من أدناس وأرجاس اليهود إنما هو كذب على النفس، والأمة تملك من الوسائل ما يكفل لها تحقيق الانتصارات على عصابة الحقد وسفاكى الدماء، وسائل سلمية لو صدقنا فى اتخاذها لحققت مالا يحققه هدير المدافع ولا أزيز الطائرات، ولا تفجير الصواريخ، وفى مقدمة هذه الوسائل توحيد كلمة الأمة، وتضييق الخناق على الجسم الغريب المغروس بيننا، وطرد ممثلى إسرائيل الدبلوماسيين، وتجميد كل العلاقات بين العالم العربى والإسلامى وبينها.

سلاح النصر بأيدينا!

ويستطرد الدكتور المطعنى قائلا: إنه مما يزيد من تضييق الخناق حول إسرائيل مواجهتنا لأمريكا بأن تتوقف فورا عن مساندة إسرائيل والانحياز السافر لها، فإن لم تستجب فليقف العالم الإسلامى كله وجها واحدا أمامها، مع مقاطعة كافة منتجاتها، وانذارها بقطع كافة العلاقات التى تربط بيننا وبينها، وإذا خسرت أمريكا العالم الإسلامى فلن تنفعها إسرائيل ولن ينفعها حلفاؤها المتآمرون معها على الأمة وعلى الشعب الفلسطينى الأعزل إلا من سلاح الإيمان بالله ورفض الركوع لمن سواه مهما عتا وتكبر، إن سلاح الانتصار الذى بأيدينا فى حاجة إلى قلوب شجاعة وسواعد قوية وأمة هيأ لها الله من أواصر الاجتماع والتوحد، مالم يهيؤه لأمة سواها.

إما العيش بكرامة وإما الشهادة

ويختتم الدكتور المطعنى حديثه بنداء من القلب - عله يصافح قلوبا مفعمة بالإيمان - قائلا: أيها المسلمون فى كل مكان: اسروا لتحرير القدس كما سرى رسولنا لتشريفها، تحفه الملائكة.

وليس أمامنا إلا أحد مصيرين: إما أن نعيش كراما، ونحن للقدس ما لكون، وإما أن نموت جميعا شهداء من أجلها ونحن لها فاقدون، **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾**.

بين الهجر والوصل

ويسطر لنا الدكتور محمد محمد أبو ليلة - أستاذ اللغات والترجمة بجامعة الأزهر - لمحات مضيئة من رحلة الإسراء والمعراج وما تنطوى عليه هذه الرحلة من أسرار كافة ومعجزات تكشف عنها الأيام فيقول: إن الإسراء والمعراج حدث فذ فى تاريخ النبوات والمعجزات، معجزة تتضمن معجزات وآية اشتملت على آيات مرت وانقضت شأنها شأن سائر المعجزات، لكنها باقية الأثر خالدة لأنها تتعلق بحياة الداعية الأعظم صاحب الدعوة الباقية والأمة النامية والدين الظاهر.

كانت المعجزة بين الهجر والوصل وبين الاعتساف والانصاف اعتساف أهل مكة وانصاف الله لرسوله الذى بلغ إيذاء الكفار له الغاية القصوى، ولقد بلغ الحصار برسول الله ﷺ حدا فاق كل حد خاصة بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجه الطاهرة السيدة خديجة.

الدكتور محمد محمد أبو ليلة:

التقاعس عن نصرة المسجد الأقصى جريمة فى حق الإسلام

لكن الله اللطيف الخبير عندما أمر رسوله بالصبر على أذى الكفار وصدودهم عن الحق، فقد كان يعد له الأجر الأعظم والرتبة الأسمى والعمل الأخلد والأبقى على وجه الأرض، ولتقرأ قول الله تعالى: **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون﴾ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** النحل: الآيتان ١٢٧، ١٢٨.

ومعنى ذلك أن من صبر على الأذى وتحمل المكاره صار من المؤمنين، ومن المحسنين، وكان الله معه ورفعه وبلغ به فى العلا مبلغه وفاز بالدارين.

جائزة الصبر

وجاءت آية الإسراء لتعلن عن جائزة الصبر، فكانت بحق أعظم جائزة ينالها نبى أو رسول ولكى تبين لنا كل شىء عن الرحلة فى إيجاز عظيم فحددت الزمان والمكان، ومن أجرى الرحلة، ولمن أجريت له وذلك فى قوله تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾** الإسراء: آية ١.

والفعل سبحان يتضمن إثبات الفعل وإثبات الفاعل وهو الله لذلك فهذا الفعل متفرد فى ذاته.

قواعد الانطلاق

ويبين الدكتور أبو ليلة أن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن تتم أعظم رحلة إلهية بين مسجدين - المسجد الحرام والمسجد الأقصى - تكريما لهما وتشريفا وتعظيما لشأنهما، إضافة إلى مافى ذلك من دلالة واضحة على ما للمساجد من أهمية وشأن عظيم عند الله تعالى، فالمساجد هى قواعد الانطلاق فى البدايات والنهايات، ومنها تنطلق التشريعات بإذن الله، وقد جعل الله الأرض مسجدا وطهورا للمسلمين، ففيه تقام الصلاة ومنه ينطلق المسلم ليعمر الكون ويبنى الحضارة، ولذلك فإن الواجب يحتم على الأمة الإسلامية أن تعيد للمسجد دوره الهام الذى ينهض بهذه الأمة ويفرز له الشباب الصالح الذى يكون عدتها وعتادها فى غدها ومستقبلها.

لقد كانت أولى صلوات الرسول ﷺ ببيت المقدس الذى أمّ فيه جميع الأنبياء والرسل وكان عروجه إلى السماء العلا من فوق قبة المسجد الأقصى.

بركات حول الأقصى

وإذا كانت البركات قد أحاطت بالمسجد الأقصى من حوله، فما بالنا بداخله، لقد صلى فيه الرسول ﷺ إيذانا بأنه سيكون للمسلمين إلى يوم الدين، ولذلك فقد زاره العديد من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وصلوا فى حرمه، وكان الحجاج إلى بيت الله الحرام يتخذونه ميقاتا لهم يحرمون منه بالحج أو بالعمرة، ولذلك فإن التقاعس عن نصرة المسجد الأقصى يعد جريمة فى حق الإسلام والمسلمين، وعلينا أن نعض على هذا البيت بالنواجذ مهما كلفنا الأمر من تضحيات.

وإذا كان الرسول قد عرج به فى السماوات حتى بلغ سدرة المنتهى وهى أقصى حدود السماء العلا، فإن ذلك كان إيذانا بأن هذه الرسالة الخاتمة ستبلغ مداها، وستبلغ المنتهى لتعم الأرض كلها.

المكانة السامية

ويستطرد الدكتور أبو ليلة فى ذكر أسرار الليلة

المباركة ودلالاتها ومغزاها الذى يجب على المسلمين أن يعوه وما تحمله من رسائل تذكر الغافلين وترسم الطريق القويم كى نصحح المسار اقتداء بإمام المرسلين، ومن ذلك ما روى من أن الرسول ﷺ حين دخل المسجد الأقصى تلقى الضيافة لبنا وعسلا، فشرب اللبن حتى عرق به جبينه (أى ارتوى منه) أى أنه لم يفرط فيما حباه الله والمسلمون أيضا لن يفرطوا فى هذا المسجد المبارك.

إن مكانة المسجد الأقصى من مكانة المسجد الحرام والمسجد النبوى وهو خالص للمسلمين وليس لليهود أى حق فيه أو فيما حوله حتى بعد أن أعلنوا دولتهم الباغية أو انبثقت معاهدات دولية أظهرت إجحافا بحقوق المسلمين.

الثور الأبيض

وفى هذه الذكرى العطرة ينبغى أن يكون احتفاؤنا بها بنصرة دين الله والوقوف صفا واحدا أمام قوى البغى حفاظا على بيت المقدس من دنس الصهاينة وبغيهم، ولا يظنن أحد من المسلمين أنه بمنأى عن الخطر فالكل فى مركب واحدة والخطر محدق بالجميع، وحتى لا يأتى اليوم الذى نقول فيه «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، علينا أن نفضح الدعاوى الصهيونية ونتعقبها فى كل مكان، وإظهار موقفهم المستهين بمقدرات الشعوب وأطماعهم التوسعية وزيف ادعاءاتهم وتضليلهم للشعوب، ومثل هذه القضية لا تؤخذ بالتفرق ولا بالشعارات، ولكن بدعوة صادقة إلى وحدة الصف العربى والإسلامى، وتجنيد كل طاقاتنا ودبلوماسيينا كى نبرهن للعالم على عنصرية إسرائيل وأكاذيبها، ولا يجب أن ننسى سلاح المقاطعة للبضائع الإسرائيلية فهو أحد أهم الأسلحة الماضية والمؤثرة.

دروس وعبر

ويشدد الدكتور محمد عبدالفتاح عليان - الأستاذ بجامعة الأزهر - على ضرورة استخلاص العبر والدروس من هذه الذكرى العطرة فهى - كما يقول - لم تكن مجرد معجزة تاريخية حدثت للرسول الأعظم محمد ﷺ وانقطعت صلتها بالحاضر، وإنما هى علامات مضيئة لأمتنا الإسلامية تحوى من الدروس ما يكفل لها العزة والسيادة ويضمن لها البقاء قوية كريمة لتكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد لها رب العزة..

ومن هذه الدروس المستفادة: أن النبى ﷺ كان هو اللبنة الأخيرة التى تحكم البناء للأنبياء.

ولقد رأى الرسول ﷺ فى هذه الرحلة المباركة من آيات الله الكبرى، ما أزال عن نفسه أوجاع الإيذاء والصدود لرسالته ومنحه طاقة إيمانية وشحنة معنوية هيأته ليرتاد رحلته القادمة إلى يثرب بثبات ورسوخ قدم فى مرحلة تتطلب مواجهة قوية مع قوى الشرك لإقامة النواة الأولى لدولة الإسلام العظيمة التى اتسعت لتنشر ضياءها إلى كل ربوع المعمورة.

كذلك كان الإسراء تنقية لصفوف المسلمين من ضعفاء الإيمان قبل أن يبدأ الرسول ﷺ مرحلة جديدة من الكفاح، تكون الهجرة أولى خطواتها العملية والتى قطعها وأقدم عليها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

المحطة الأرضية

إن حكمة الله اقتضت أن يمر الرسول خلال معراجه بمحطة أرضية هى بيت المقدس - كى يبشر الرسول ويبشر المؤمنين بانتصار يؤدى إلى عالمية الإسلام وتغلغله فى أكثر المناطق صراعا بين الحق والباطل.

لقد كتب الله على بنى إسرائيل أن يفسدوا فى الأرض مرتين وأن يعلوا علوا كبيرا وقد بعث عليهم من يجوس خلال الديار ويمزقهم، وسيبعث عليهم فى المرة الأخيرة عبادا للمؤمنين صالحين ليطردوهم ويمزقوهم ويطهروا المسجد الأقصى من رجسهم، ولعل السر فى ذكر قضية بنى إسرائيل والأقصى فى مثل هذا الوقت الذى لم يكن فيه لليهود وجود فى فلسطين، يكمن - والله أعلم - فى إشعار النبى ﷺ بأن عليه وعلى أمته من بعده أن يعدوا أنفسهم ليحسموا قضية الصراع المرتقب فى فلسطين وأن هذا المسجد وما حوله مرتبط بعقيدتهم وبمعجزة رسولهم وهى القرآن، ويرتبط أيضا بالمسجد الحرام وبمعجزة الإسراء، والمسجد الحرام هو بداية الرحلة والتفريط فى المسجد الأقصى تفريط فى بداية الرحلة وهو المسجد الحرام، وتفريط فى نهايتها وهى الجنة التى أعدت للمتقين.

إعلاء قيمة الجهاد

من الدروس المستفادة أيضا ما شاهده الرسول ﷺ من أن قوما يزرعون ويحصدون فى ذات اليوم وكلما حصدوا عاد ما كان ولما سأل عن ذلك جبريل عليه السلام أخبره بأنهم المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وفى هذا دعوة عظيمة لترسيخ قيمة الجهاد فى النفس وهى أحوج ما نكون له اليوم ونحن نواجه عدوا متغطرسا يسلب أرضنا ويستبيح حرماتها ومقدساتها.

أيضا رؤية الرسول ﷺ لأنهار أربعة عند سدرة المنتهى منها اثنين باطنين فى الجنة، واثنين ظاهرين هما النيل والفرات، وفى ذلك إشارة إلى هذين النهرين اللذين يحيطان بالأقصى وبشرى للرسول بأن على المسلمين أن يتحملوا ضريبة الدفاع عن الأقصى وما حوله.

صيحة الحق

أما الدكتور طه عبدالسلام خضير - أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر - فيرى أن ما أصاب المسلمين اليوم من هوان لم يكن لقلة عدد أو ضعف العتاد وإنما لضعف الوازع الدينى وتشتت كلمتهم. وكما يقول فإننا لو اعتصمنا بحبل الله وتمسكنا بتعاليم رسوله ﷺ ونبذنا الفرقة بيننا ووقفنا على قلب رجل واحد ما استطاعت إسرائيل أو حتى أمريكا أو تفرض كلمتها أو أن تنساق وراء إسرائيل وتقف خلفها تدعمها بالمال وبالسلاح بالتأييد المعنوى فى المحافل الدولية.

فهذه الدول تنظر دائما إلى حيث توجد مصلحتها ولا يمكن لها أن تفرض فى مصالحها مع العرب من أجل عيون إسرائيل إلا لوشعرت أنهم عاجزون عن تهديد مصالحها.

فلو أطلق المسلمون صيحة واحدة لصموا آذان أمريكا وربيباتها.

إن الله يدعونا لأن يكون تعاملنا مع أعدائنا من منطلق القوة والعزة **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾** آل عمران: آية ١٣٩.

إن أمتنا تمر اليوم بمرحلة من أحرج مراحل حياتها فإما تتوحد كلمتها فيعود لها مجدها وسؤددها وإما أن تتكالب علينا الأمم كما تتكالب الأكلة على قصتها، ولا تقيم لنا الأمم وزنا.

■ وبعد.. فإن المسجد الأقصى السليب يستصرخنا هبوا لنجدتى.. أفيقوا من سباتكم العميق!!

إن الواجب يحتم أن نثوب لرشدنا ونطرح خلافاتنا جانبا لنعيد للأمة مجدها وكرامتها وحتى لا نكون المعنيين بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ إبراهيم: آية ١٩..

الإسلام والانتماء الوطنى والقومى

الإسلام هو فكرة الأمة - «أيديولوجيتها» - أنه جامعة عقيدتها وشريعتها وحضارتها، ومنهجه هو الموجه لفكرها وعملها فى كل الميادين.. فهو الرابطة الأم، وله الانتماء الأول والولاء الذى لا يعلو عليه سواه.

وإذا كانت النبوة والرسالة والوحى - أى الإسلام - هى التى ميزت النبى ﷺ عن البشر الآخرين، فإن موالاته ونصرته والانتماء إليه، ونطاق أهله وبيته، جميعها تعنى الموالاة والانتماء إلى هذا الإسلام الذى بلّغ الرسول رسالته إلى العالمين.. وفى ضوء هذه الحقيقة، حقيقة انتماء المسلم إلى الإسلام وولائه له، نفهم معنى الآية الكريمة ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم..﴾ الأحزاب: آية ٦.

أ.د/ محمد عمارة

رابطة الإسلام.. الأقوى:

فالمسلمون بالإسلام هم آل النبى وأهله، لأنهم آل الإسلام وأهله.. رابطة وجامعة تعلو على روابط وجوامع الأنساب والأعراق والأموال والأوطان.. الخ.. الخ.. ولقد حدثنا القرآن الكريم عن المعنى الإلهى لمصطلح «الأهل»، عندما عرض لقصة نوح مع ابنه الذى عصى **﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** هود: الآيتان ٤٥، ٤٦.

وفى ضوء هذه الحقيقة نفهم معنى الآية الكريمة **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾** التوبة: آية ٢٤.

وفى ضوء هذا المعنى نقرأ قول رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»** رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد.

ونقرأ جواب رسول الله ﷺ على سؤال الصحابى «أبو رزين العقيلى»، عندما سأله:

- «يارسول الله، ما الإيمان؟

- قال: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تُحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذى نسب لا تحبه إلا لله عز وجل، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان فى قلبك كما دخل حب الماء للظمآن فى اليوم القائظ»** رواه النسائى وابن ماجة والإمام أحمد.

ذلك هو مقام جامعة الإسلام فى فكريته، وتلك هى درجة انتماء المسلم وولائه لهذه الجامعة إنها الجامعة الأم، والانتماء الأول، والولاء الذى لا يعايش النقيض.

❖❖❖

الإسلام يهذب الواقع:

لكن.. هل من مقتضيات ذلك ألا يكون للمسلم ولاء آخر ولا انتماء لشىء آخر غير الإسلام وجامعته؟ بمعنى هل كون الولاء للإسلام والانتماء إليه هو الأول والأعلى يقتضى أن يكون هذا الولاء والانتماء هو الوحيد فى حياة الإنسان المسلم والجماعات المسلمة؟؟ حتى ولو لم تتناقض هذه الولاءات مع الولاء للإسلام والانتماء إليه؟

على طبيعة الإجابة عن هذا السؤال يتحدد موقف المنهج الإسلامى من العلاقة بين ولاء الإنسان «للوطن» و«للقوم» - وأمثالهما من الرموز التى يمنحها الناس ولاءهم وإليها ينتمون - وبين ولاء الإنسان للإسلام.

الإسلام لا ينكر الولاء للوطن والعشيرة مادامت تحكمه المعايير الإسلامية

ونحن نعتقد أن الإسلام - وهو دين الفطرة **﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾** الروم: آية ٣٠ - بما له من شمول لدنيا الناس وأخراهم، هو دين يتعامل مع «الواقع» فلا يتجاهله، ولا يقفز عليه، وإنما يهذبه ويعيد صياغته. على نحو دائم حتى تظل الشريعة هى المغيار الذى يحكم حركة هذا الواقع وتطوره فى دنيا المسلمين..

والإسلام إنما يتعامل مع «الواقع» من خلال «الإنسان» الذى لا يستطيع أن يحيا فى الواقع ويتعامل معه إلا إذا أقام بينه وبينه شبكات متعددة، بل ومعقدة من العلاقات، فهو يحب ويكره، ويحبذ ويرفض، ويقيم ويهاجر، وينتمى وينعزل.. إلى آخر العالم المتشابك والمعقد الذى يمثل تفاعل النفس الإنسانية مع الواقع الذى تعيش فيه.

حب الأهل والأقربين.. من الفطرة:

وإذا نحن احتكمنا إلى الفطرة التى فطر الله النفس الإنسانية عليها، فستجد هذا الإنسان - وذلك «ثابت» من ثوابت حياته، عبر الزمان والمكان والحضارات والمعتقدات - يمنح خاصة أهله الأقربين درجة أخص من الحب والولاء والاهتمام.. ويمنح محيطه الأقرب، التى هو وعاء

ذكريات نشأته وتكوينه، درجة خاصة من الحب والولاء والاهتمام. وأن اللغة التى يتحدث ويقرأ بها هذا الإنسان، تتيح له مع من يشاركونه فيها مستوى خاصا من التلاحم فى العادات والتقاليد والأعراف، وفى الانصهار فى بوتقة الثقافة والتراث المكتوبين والمنطوقين بهذه اللغة.. إذن، فنحن بإزاء الولاء والانتماء.. فهل فى شىء من ذلك ما يتعارض ويتناقض مع حقيقة أن الولاء والانتماء الأول، بالنسبة للمسلم، هو للإسلام وجامعته؟

إن جواب هذا السؤال لا تصلح فيه: «نعم» أو «لا» مطلقة، دون ضبط وتقييد!.. فالإسلام هو جامعتنا الأولى.. لكنه ليس الجامعة الوحيدة، وتحت مظلة الإسلام وفى أحضان محيطه يحفل الواقع الإسلامى برموز عديدة يمنحها الإنسان المسلم مقادير ودرجات من الولاء والانتماء.. والتعايش بين ولاء المسلم لإسلامه وبين ولائه لأهله وعشيرته وشعبه وقومه، أمر جائز وممكن، بل وحقيقة واقعية قائمة، ولكنه مشروط بانتفاء التعارض والتناقض بين مضامين هذه الرموز من دوائر الولاء ودرجات الانتماء وبين المضمون الأعم والأشمل - الإلهى - الذى يعنيه رباط الإسلام وجامعته بالنسبة لكل من دان بهذا الدين.. أى أنه مشروط باتساق دوائر الانتماء الجزئية مع إطار الانتماء الأول والأعظم والأشمل - الإسلام - اتساق اللبنات الجزئية فى البناء الواحد والمكتمل، دون تنافر أو تناقض أو تضاد.

● فولاء المسلم لوالديه، ولأسرته، إذا كانت المعايير الإسلامية هى الحاكم له والقاضية فيه، كان لبنة من لبنات الولاء الأعظم للإسلام.

● وحب المسلم لوطنه - بالمعنى الإقليمى - الذى هو جزء من الواقع المعاش - إذا حكمته شريعة الإسلام، التى تدعو هذا المواطن المسلم إلى أن يخص الأقربين منه بمعروفه، وإلى أن يرتقى بعمران محيطه، تحقيقا لرسالته كخليفة عن الله فى هذا المحيط.. وإلى أن يجاهد لحماية بيضة هذا الثغر الإسلامى الذى يقيم فيه.. إذا حكمت شريعة الإسلام حب المواطن المسلم لوطنه الإقليمى وانتماءه له وولاءه لمصالحه المشروعة، كان ذلك، أيضا، لبنة من لبنات الولاء الأعظم والأشمل لجامعة الإسلام.

الإخاء الإسلامى.. أعم وأشمل:

● وإذا جمعت اللغة - بما تمثل من وعاء للفكر والتكوين النفسى - وبما تعنى من أداة للتخاطب والتفاعل وتحقيق المشاركة والاتساق القومى. وإذا جمعت اللغة بين الإنسان المسلم وبين قومه على الولاء والانتماء لمهام نضالية فيه خدمة الإسلام وأهله، وبها يقترب المسلم - المنطلق من دائرة «الوطن»، وعبر «الدائرة القومية» - يقترب من الإخاء الإسلامى الأعم والجامعة الإسلامية الأشمل.. فنحن ولاشك بإزاء لون من الانتماء القومى و الآخر لبنة فى البناء الأعظم الذى تتمثل فيه جامعة الإسلام.

تعدد رموز الانتماء.. حقيقة:

، فتعدد رموز الولاء والانتماء - فوق أنه حقيقة من حقائق الواقع الإنسانى - لا تعارض ولا تناقض بينه وبين حقيقة أن الولاء الأول والانتماء الأعلى للإنسان المسلم إنما هو إلى جامعة الإسلام، طالما كانت مضامين هذه الرموز متسقة مع الخيوط الجامعة لرابطة الانتماء الإسلامى.. وطالما كانت

أحب الرسول مكة كوطن فعلمنا ألا يكون حب الوطن معوقا للانتماء للإسلام

هذه الولاءات الأدنى بواعث للجهاد الذى لا تغفل عيون فرسانه عن الغاية الأعم والهدف الأسمى: أن تكون جامعة الإسلام هى السياج الذى يحتضن كل دوائر ورموز الولاء والانتماء الصغرى والجزئية والمرحلية فى دنيا المسلم وعالم الإسلام.. وأن تكون هذه الدوائر الصغرى والدنيا درجات سلم ترتقى بالجهاد الإسلامى إلى الغاية الكبرى: عز الإسلام، ووحدة أمته، واستقلال دياره، وتجديد شبابها بالنهضة الإسلامية المنشودة.

الرسول ﷺ جمع الولاءين فى قلبه:

لقد علمنا رسول الله ﷺ أن نميز بين «حب الوطن» وبين تحول هذا الحب إلى النقيض المعوق للانتماء الأعظم لرسالة الإسلام وجامعته.. لقد **أحب مكة - كموطن - رغم شرك أهلها، واضطهادهم الدعوة إلى حد الحصار - حتى لقد خاطبها لحظة فراقه لها عند الهجرة، فقال: «إنك أحب أرض الله إلىّ، ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت»؟! وهو حب عميق ودائم التدفق، كان يعاوده ﷺ بالمدينة** حتى لقد كان يدعو ربه أن يحبب إليه المدينة حبه لمكة.. فيقول فى دعائه: **«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد»** رواه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ والإمام أحمد.

وذلك حتى يقاوم أو يعادل هذا الحب والحنين.. كما كان يدعو الذين يهيجون ذكريات مكة فى قلبه أن يتوقفوا، حتى «تقر القلوب» فلا يزيد حزنها!.

فجمع ﷺ بين هذا الحب العظيم لموطنه، وبين الولاء الأول والانتماء الأعظم للإسلام.. بل ووظف حبه لمكة طاقة تحرك الشوق لفتح الإسلام إياها.. فكان حب الموطن - حتى وهو مشرك الأهل - **حلقة** فى سلسلة الانتصار لجامعة الإسلام!.. وغير خافية دلالات تقلب وجهه، ﷺ **فى السماء، داعيا** ومتمنيا أن تتحول القبلة إلى مكة، **حتى قبل أن** يدخل أهلها فى دين الله أفواجا!

لا ولاء للعصبية الظالمة:

كذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نميز بين الولاء الحق والحب العادل للقوم، وبين العصبية الظالمة فى هذا الانتماء.. فالأول مقبول، لا لأن الإسلام لا يعارضه، فحسب، وإنما لأنه حلقة فى سلسلة، وخطوة على طريق جامعته الكبرى، ولبنة فى بنائه الأعظم.. فلقد نهى رسول الله ﷺ عن عصبية الجاهلية الممزقة للشمل، والمؤسسة على العرق والدم، والتى لا تميز بين المضمون العادل وغير العادل لاجتماعها وحميتها، فقال: **«دعوها فإنها منتنة»** رواه البخارى والترمذى، طبعة دمشق. بل وعلمنا أن رابطة القوم إنما يجب أن تتأسس على المعايير «المختارة» إنسانيا، وليس على المعايير التى لا يد فيها للإنسان.. فاللغة والثقافة هى معيار رابطة القوم وجامعتها، وبها صار بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى عربا، عندما اختاروا العربية لغة ومنحوا فكرها الإسلامى الولاء والانتماء.. علمنا الرسول ذلك، عندما خطب فقال: **«أيها الناس. إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى»** (تهذيب

تاريخ ابن عساكر) جـ٢ ص١٩٨، وعندما سأل الصحابى واثلة بن الأسقع رسول الله ﷺ عن موقف الإسلام من حب الإنسان قومه؟ وهل يدخل ذلك فى عصبية الجاهلية التى نهى عنها الإسلام؟ كان تمييز الرسول بين ألوان الحب للقوم تبعا للمضمون.. مضمون الحب والولاء، فلقد سأله واثلة:

ـ «يارسول الله، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟»

ـ فأجاب الرسول: **«لا، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»** رواه ابن ماجة والإمام أحمد.

❖❖❖

الحب العادل:

إن هذا الحب الذى يمنحه الإنسان لقومه، إذا ما تأسس على المعايير والمضامين العادلة، فانتفى التناقض بينه وبين معايير الإسلام وروابطه وقيمه ومبادئه، هو رابطة انتماء بشرية وواقعية، بل وفطرة إنسانية، لا يتجاهلها الإسلام، ولا ينكرها أو يستنكرها، بل إنه يستثمر طاقاتها وإمكاناتها فى إقامة دولته وتوحيد أمته وتطبيق شريعته، ومن هنا نستطيع أن نقول إن «العصبية القومية» ـ بهذا المعنى، الذى لا يتناقض مع فكر الإسلام وغاياته ـ هى لون من طاقات «الواقع الإنسانى» وأسلحة «الإمكانات البشرية»، على الإسلاميين أن يوظفوها لخدمة فكرية الإسلام ووحدة أمته وجامعة دياره، لا أن يهدروا طاقتها وأسلحتها، فضلا عن أن يهدروا الوقت ـ والجهد فى الصراع ضد هذه الطاقات والإمكانات؟!

بين العصبية القومية والانتماء الإسلامى:

وإذا كانت هذه القضية ـ قضية العلاقة بين «العصبية القومية» كدائرة انتماء خاصة ـ وبين «الجامعة الإسلامية» ـ كسياج الانتماء الأول والأعم لأمة الإسلام ـ وهى واحدة من القضايا التى أثارت وتثير الجدل الفكرى والصراع السياسى بين «الإسلاميين» وبين عامة «القوميين»، فى واقعنا الفكرى والسياسى.. فإننا أحوج ما نكون فى هذا المقام ـ مقام تحديد هذه السمة من سمات المنهج الإسلامى ـ إلى الضبط والتحديد ـ وأيضا التذكير ـ لعدد من المفاهيم، وبعدد من حقائق الفكر ووقائع التاريخ..

الإسلام يضبط.. ولا يتجاهل:

● إن شمول الإسلام، الدين، لكل شئون الدنيا، لا يعنى الإلغاء والتجاهل لشئون الدنيا هذه، وإنما يعنى ضبطها بمعاييره وحكمها بمبادئه وتوظيفها لخدمة مقاصده فى الحياة والعمران..

وإن كون الإسلام دين الجماعة ورسالة الأمة، لايعنى التجاهل ولا الإلغاء لذاتية الفرد أو الأسرة أو القبيلة أو العشيرة أو الشعب، وإنكار ما لهذه الكيانات الجزئية والداخلية من خصوصيات وتمايزات، وإنما يعنى توظيف كل هذه الوحدات فى إطار البناء الأعم والأشمل، بناء الأمة والجماعة، كلبنات متسقة فيه البنيان الواحد المرصوص..

وكذلك حال أمة الإسلام الواحدة، المؤسسة على معيار الاعتقاد الإسلامى الواحد، كذلك هو حالها مع اللبنات التى تضمها، لبنات الشعوب والقبائل.. فإذا كانت مضامين هذه الانتماءات الجزئية، وتوجهات أصحابها متسقة مع الفكرية الإسلامية، موظفة لبناء وحدة الأمة وتحقيق نهضتها وعزتها، فإنها تصبح طاقات إسلامية فاعلة لمصلحة الهدف الإسلامى العام..

نظمت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة مؤتمراً عالمياً لمكافحة العنصرية والتمييز والكره وغيرها من أشكال التعصب، وذلك فى دربان بجنوب أفريقيا فى الفترة من ٨/٣١-٢٠٠١/٩/٧.

ولاشك أن مؤتمراً من هذا القبيل يأتى فى وقته المناسب، حيث تتنامى مظاهر العنصرية والتمييز فى كثير من ربوع العالم.

ولاشك أيضاً فى أن أية دولة تعارض هذا المؤتمر، أو تسعى إلى فرض أو حذف موضوعات بعينها من أجندة المؤتمر، مسألة تلقى بظلال من الارتياب فى موقف هذه الدولة، ويجعلنا تلقائياً نعدها ضمن الدول الراعية للعنصرية والتمييز. بل إن الموقف فى حد ذاته - وبخاصة إذا اتصف بممارسة الضغوط على سائر الدول - هو موقف عنصرى بغيض، لأنه يعكس ببساطة شعور هذه الدولة بتميزها وتعاليها وهيمنتها على سائر الدول.

أ.د محمد جلاء إدريس

الصهيونية والعنصرية (١)

ويبدو أن الولايات المتحدة تصر على مواقفها العنصرية المخزية بصورة وقحة فى عيون العالم بأسره. فبعد أن فقدت أمريكا عضويتها فى لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة عن طريق الاقتراع السرى الديمقراطى - مما يعنى عدم أهليتها للمشاركة فى مثل هذه الهيئة الدولية - نراها تسارع فى الاعتراض على القضايا المعروضة فى أجندة مؤتمر مكافحة العنصرية وذلك من خلال إصرارها «العنصرى» على رفض إدراج مسألة الصهيونية كحركة استعمارية عنصرية إرهابية، وكذلك مسألة العبودية كحالة تستوجب جبرها بالتعويض المادى.

وإذا كان موقف الولايات المتحدة يقضى على كل اعتقاد لدى السذج والبسطاء فى رعاية هذا العملاق لحركات التحرر الإنسانى، فإن ما يعنينا هنا هو أن نوضح حقيقة العلاقة بين الصهيونية والعنصرية، فى محاولة لتبصير المخدوعين بحقيقة هذه الحركة التى قامت بموجبها دولة إسرائيل فى قلب منطقتنا من جانب، ولإزالة الغشاوة عن أعين هؤلاء الذين يعتقدون بإمكانية قيام الولايات المتحدة بدور ما فى حل الصراع القائم بيننا وبين إسرائيل - حليفتها - من جانب آخر.

تعريف المصطلحات:

نحن هنا بصدد مصطلحين رئيسين: الصهيونية والعنصرية، وقد يحدث لدى الكثيرين غبش فى رؤيتهم لمفهوم المصطلحين وواقعهما، ومن ثم أصبح من الأهمية أن نوضح بداية معنى كل منهما.

الصهيونية:

الحديث عن الصهيونية لا يخلو من «اللامعقول» حيث تمتزج الأساطير البالية مع

تطلعات الدول الاستعمارية فى مركب مستهجن، يستغل الواقع الإنسانى المتخبط لتحقيق أهداف خاصة، لا منطق لها على الإطلاق.

وللصهيونية وجهان : فهى حركة سياسية «تهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية تدين بالدين اليهودى وتتميز بالعنصر اليهودى وبالثقافة اليهودية وبإرادة بعث مملكة داود، وقد نشأت فى أواسط القرن التاسع عشر على يد هرتزل»(١).

وهى كحركة دينية - فكرية، أو تمدنية شاملة : «تهدف إلى تمكين العنصر اليهودى من أداء رسالته، وتتفهم هذه الرسالة كتملك لأرض الميعاد، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية فى صهيون. وهى فكرة قديمة، قديمة جداً»(٢).

العنصرية :

هناك أكثر من مفهوم لكلمة «عنصرية»، الأمر الذى يجعل البعض ينكر - عن حسن نية - العلاقة بين بعض الحركات - كالصهيونية - وبين العنصرية.

فهناك مفهوم لا يرى فى العنصرية إلا وجه المجابهة بين السود والبيض، ومن ثم لا يرى فيه مؤيدوه ما ينطبق على الصهيونية.

وهناك مفهوم ثان وهو مفهوم بيولوجى، بمعنى أنه يحدد العناصر والأجناس طبقا لتركيبها البيولوجى، ويرى أتباعه أنه لا ينطبق على اليهودية.

وثمة مفهوم ثالث يعتبر اليهود عنصراً أو جنساً

وفى هذه الحالة من الواضح أن الصهيونية تشكل حركة عنصرية(٣).

وتعتبر منظمة اليونسكو العنصرية «معتقدات وأعمالاً مناهضة للمجتمع ومبنية على نظريات باطلة مؤداها أن العلاقات التميزية بين المجتمعات، تقوم على أسس بيولوجية»(٤).

وقد ورد فى القرار (٢١٠٦) الذى اتخذته الجمعية العامة فى ١٩٦٥/١٢/٢١ أن التمييز العنصرى يشمل أى «تمييز أو استثناء أو قيد أو تفضيل مبنى على الجنس أو اللون أو الوراثة أو القومية أو الأصل العرقى»، وجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد امتنعت عن إبرام هذا الميثاق، أما إسرائيل، فقد اتخذت قراراً رفضت فيه هذا الميثاق(٥).

اليونسكو تعتبر العنصرية معتقدات وأعمالا مناهضة للمجتمع ومبنية على نظريات باطلة

أما الميثاق الأوروبى لحقوق الإنسان، والمعقود عام ١٩٥٠، فلا يشمل شيئاً محدداً عن التمييز العنصرى كعامل من عوامل تهديد السلام العالمى، بالإضافة إلى أن الأطراف الموقعة عليه لم تلزم نفسها بأية سياسة أو دور تسهم به فى الصراع العالمى الناشب ضد التمييز العنصرى بوجه عام(٦).

وجدير بالذكر أن الدراسات العرقية والسيكولوجية على المستوى العلمى العالمى قد توصلت إلى حقيقة واحدة هى : أن جميع الأجناس البشرية الحالية متكافئة من حيث التركيب العضوى (الفسيولوجى)، كما أنها كلها قادرة على إيجاد قيم ثقافية وتراث فكرى(٧).

وبناءً على ادعاءات الصهيونية العرقية

العنصرية التى سنوضحها فى ثنايا هذه الدراسة، اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم (٣٣٧٩) الصادر فى العاشر من نوفمبر ١٩٧٥، والذى يقضى بأن الصهيونية هى شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى.

وقبل الخوض فى تفاصيل العلاقة بين الصهيونية والعنصرية، تجدر الإشارة إلى أن العنصرية تنقص من قدر الإنسان، فهى تنكر على البعض المساواة فى الكرامة والحقوق والوضع الإنسانى، وهى تعطى للبعض الآخر كرامة أكبر، وتمنحهم وضعاً أعلى، وتهبهم حقوقاً أعظم ومزايا خاصة، ويتم تحديد الخطوط العريضة بين المتميزين والمحرومين على أساس انتمائهم لجماعة ما على أساس القيمة العرقية.

وتكفى سوءات العنصرية السابقة لتجعل منها حركة بغيضة تستأهل من كل الشرفاء أن يقاوموها ويحاربوها بكل قوة، وهو ما نحاول السير فى طريقه بما نملك من سلاح وحيد يتمثل فى الكلمة الصادقة، والرأى العلمى المحايد، وعلى من يملك أكثر من ذلك أن يواصل المسيرة.

علاقة الصهيونية باليهودية:

على نحو ما عرفنا الصهيونية فى البداية، فإن ثمة صلة بينها وبين اليهودية، وهؤلاء الذين يبحثون عن هذه الصلة يرون فى الحركة الصهيونية رمزاً لمفهوم «نهاية الآلام» ويرون فيها تحقيقاً للتحرر من حياة المنفى ونهاية لحياة التجوال وبداية للاستقرار. ففكرة الصهيونية فى رأيهم : امتداد للفكر الخلاصى فى اليهودية. ولاشك أن زعماء الصهيونية أرادوها حركة خلاص علمانية لكنهم استغلوا فكرة دينية لها ثقلها فى التراث الدينى اليهودى - وأعنى فكرة الخلاص والمسيح المخلص - وحاولوا تنفيذ هذا المعتقد بوسائل علمانية استفادت من الظروف السياسية المحيطة باليهود(٨).

ولما كانت الصهيونية الحديثة تختلف عن سائر الحركات القومية الأوروبية التى نشأت بين ظهرانيها فى افتقادها إلى أهم مقومات الحركات القومية من وجود أرض ولغة، فقد جعلت هذه الحركة أول أهدافها إنشاء الوطن القومى لليهود وإحياء اللغة العبرية(٩).

الصهيونية ترتبط بمكونين رئيسين: العنصر اليهودى والأرض

وهكذا فإن الصهيونية ترتبط بمكونين رئيسين لا غنى عنهما لقيامها وهما : العنصر اليهودى، والأرض، ومن ثم وجدت هذه الحركة ضالتها فى الكتاب المقدس لدى اليهود (العهد القديم)، فهو الوثيقة الوحيدة التى توفر لها هذين المكونين، والتى تضمن لها فى نفس الوقت الاستمرارية والحياة من جانب، وتأييد الغرب المسيحى المؤمن بهذا الكتاب من جانب آخر.

ويرى الدكتور جورجى كنعان : «أن بذور الصهيونية مطمورة فى كتاب العهد القديم وما شق أرض التاريخ عن هذه البذور غير العهد القديم. وما جمّع الصهاينة وأعادهم إلى فلسطين إلا كتاب العهد القديم، وما القلب الذى يدفق دم الحياة فى جسد الصهيونية المحلية فى فلسطين والعالم، غير كتاب العهد القديم»(١٠).

والبحث عن الدعامة الأولى للصهيونية الحديثة، وأعنى العنصر اليهودى واستحقاقه بما لا يستحقه غيره من حق فى الحياة وحق فى

الأرض لا لشئ معقول، ولا لمنطق مقبول، سوى أنهم يهود، نراها متجسدة فى فكرة «الاختيار الإلهى» لهذا العنصر منذ بدء الخليقة. والقارئ لأسفار العهد القديم منذ بداية سفر التكوين لا يجد أثراً للعنصرية حتى الإصحاح الحادى عشر، وهى الإصحاحات التى تتناول قصة خلق الكون وآدم وزوجه وهابيل وقابيل، ولايمكن لنا أن نعد التفضيل الإلهى لهابيل على قابيل من بذور العنصرية التى تأسست عليها الحركة الصهيونية لأن هابيل قد أصبح أباً للجميع وليس لشعب واحد.

والتفضيل الثانى فى كتاب اليهود المقدس هو تفضيل نوح وأبنائه من خلال قصة الطوفان وإهلاك كل شىء حى، وهو تفضيل غير عرضى - كتفضيل هابيل - وإنما يقوم على أخلاقية نوح، وفساد البشر آنذاك (سفر التكوين، الإصحاح السابع).

ويفاجئنا سفر التكوين فى الإصحاح التاسع ببدايات التفرقة العنصرية بين أبناء نوح بناءً على قصة من ضروب «اللامعقول» مفادها أن نوحاً قد سكر حتى الثمالة وانكشفت عورته أمام حام ابنه، بينما أخذ أخواه سام ويافث الرداء وسترا عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها. فكانت اللعنة من قبل الأب - الذى أودى به سكره إلى فقدان الوعى والاتزان - لا على حام ابنه، بل على كنعان حفيده، ابن حام، دون تبرير لاختيار الملعون سوى أن أبناء كنعان قد سبقوا اليهود فى مضمار الحضارة وأعطوا العالم الروح والمحبة والحكمة، وأنهم - كذلك - أصحاب الأرض التى فكر العبريون فيها: «فقال (نوح) ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لاخوته. وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم» (سفر التكوين ٨/٢٥-٢٧)

لماذا يعاقب الحفيد (كنعان) على فعلة فعلها الأب (حام) نتيجة خطأ من الجد (نوح)؟

ولماذا تمت خصخصة الإله هنا (إله سام)، ولماذا ألحق يافث على قوة سام (فى مساكنه) ولم ينفرد ببركة من أبيه وهو الذى ستر عورته مع أخيه؟

العنصرية وراء عمليات الاستئصال البشرى والتطهير العرقى التى قام بها يوشع بن نون بعد دخوله الأرض المقدسة ثم من تلاه من قضاة بنى إسرائيل

وتبدأ عملية «تصفية الأنساب» حتى نصل إلى أبرام (إبراهيم) حيث يطالعنا الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ببؤرة العنصرية اليهودية التى اعتمدت عليها الصهيونية الحديثة: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض». (١-٣)

الاختيار الإلهى لأبرام (إبراهيم) على نحو ما نرى ليس له وحسب، بل لأبنائه وسلالته، دون مبررات إلهية على الإطلاق.

المسيحيون - كما يقول جورجى كنعان - يرون فيه قصداً إلهياً لا يحتاج لمبرر، ويعجزون عن تفسير هذا القصد(١١).

واليهود يقولون بأن هذا التفضيل «هو عقد دخل فيه الإله فهو ملزم إلى الأبد. وأفضلية اليهود أزلية لن تتغير، والعقد الذى دخل فيه الإله ذو اتجاه واحد، فهو عهد لا عقد فى المعنى القانونى لأنه يلزم جانباً واحداً هو جانب الإله المتعاقد»(١٢).

لكن ما هو تبرير الاختيار الإلهى لبنى إسرائيل ولأبرام من قبلهم ؟

هناك تبريران يهوديان لاختيار أبرام (إبراهيم)، أحدهما يعتمد على أخلاقية الرسالة اليهودية والثانى يعتمد على التوحيد.

فالتبرير الأول مفاده أن الله قد اختص اليهود بالرسالة لتحقيق سيطرة القانون الأخلاقى المطلق فى العالم، لكننا نرى رسالة اليهود فى التاريخ عكس ذلك تماماً، بل إن سفر التثنية ينفى هذا التبرير : «اسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ... ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب. فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة». (٦٠١/٩)

أما التبرير الثانى لليهود بشأن مسألة اختيارهم فهو التوحيد الذى التزمه ابراهيم مع إلههم «يهوه» والحقيقة أن توحيد إبراهيم وتحطيمه للأوثان لم يذكر فى أسفار العهد القديم، وإنما ذكره القرآن الكريم فقط، وأقدم الروايات اليهودية القائلة بذلك نجدها فيما يسمى بالمدراش (التفسير) الكبير (هامدراش هاجادول) الذى اكتشف فى اليمن فى أواسط القرن التاسع عشر والذى تشهد محتوياته على تأليفه بعد القرن الثالث عشر الميلادى.

ولقد كان الكنعانيون، واليبوسيون سكان أورشليم من الموحدين قبل ابراهيم، ويتضح ذلك مما ورد فى سفر التكوين : «وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلى وباركه (أى ابرام) وقال مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك». (١٨/١٤ - ٢٠).

مفكرون يهود يعترفون: فكرة تفضيل شعب بعينه على شعوب العالم تنطوى علي العنصرية والتعصب الشديدين

هكذا كان للاعتقاد فى اختيار اليهود دوره البارز فى بناء اليهودية كدين، هذا الدور الذى اهتز من جراء التناقض الصهيونى، فمن المعروف أن الخلاص الذى تسعى إليه الصهيونية الحديثة يتمثل فى إزالة التوتر القائم بين اليهودى والعالم المحيط به، وإعطاء اليهودى مكاناً طبيعياً فى هذا العالم، ومساواته بغيره من البشر. هذه الأفكار تتعارض جذرياً مع فكرة الاختيار.

وقد حاول قادة الصهيونية الأوائل وأربابها التوفيق بين الاختيار والمساواة عن طريق تحديد دور جديد يلعبه اليهود فى العالم ويضمن لهم - فى نفس الوقت - الأفضلية على سائر العالم(١٣)

يحدد الصهيونى موشى هيس هذا الدور فى أن يكون اليهود نقلة الحضارة والمدنية إلى شعوب العالم، وأن تتحمل الجماعة اليهودية مسئولية الرقيب الأخلاقى.

أما الصهيونى «أحد هاعام» سيؤكد على استمرارية مبدأ الاختيار، لأن عصر الخلاص عنده هو عصر تزدهر فيه الأخلاقيات اليهودية فى مجتمع قومى فى فلسطين، فيعيش حياة أخلاقية تكون مثالاً يقتدى بـه العالم.

وقد أدت مثل هذه المحاولات التلفيقية إلى ازدياد حدة التعصب للعنصر اليهودى على نحو يفوق الفلسفة العنصرية التى تستند إليها عقيدة الاختيار ذاتها.

لكن فريقاً من المفكرين اليهود لم يعد يقبل هذه الفكرة العنصرية، إذ يرى «ول هربرج» صعوبة التمسك بمفهوم الاختيار حديثاً من الناحية الفكرية وعلى المستوى الأخلاقى. فعلى المستوى الفكرى الفلسفى هناك اعتراض على تفضيل إله البشرية جمعاء لجماعة على بقية الجماعات البشرية، فالله إله الجميع، أما على المستوى الأخلاقى، فإن مفهوم الاختيار فى رأى هربرج يؤدى إلى الشعور العنصرى الذى يجعل جماعة من البشر تشعر أنها مركز العالم(١٤).

كما يعتقد المفكر اليهودى موردخاى كابلان أن فكرة اختيار شعب بعينه من بين سائر شعوب العالم هى فكرة غير معقولة وتنطوى على تعصب شديد(١٥).

وتتوالى عمليات الاختيار الإلهى وفقاً للمنطق التبريرى المرفوض عقلاً ومنطقاً، فيتم اختيار اسحق دون اسماعيل وهما ولدا إبراهيم، كما يتم اختيار يعقوب (إسرائيل) دون عيسو وهما ولدا اسحق، ليتم تركيز عملية الاختيار فى النهاية فى عنصر واحد ونسل شخص واحد من نسل ابراهيم، ألا وهو يعقوب وذريته من بعده، الذين حملوا ذلك الاسم السحرى «بنو إسرائيل»، والذى لم تجد الدولة الصهيونية الحديثة أكثر تجسيداً للعنصرية منه، فاختارته اسماً لها.

قلنا إن الصهيونية الحديثة قد ارتبطت بمكونين رئيسين، أولهما العنصر اليهودى، وقد أبرزنا عقيدة الاختيار الخاصة به وعدم صلاحيتها أخلاقياً ومنطقياً، أما المكون الثانى لها فهو الأرض. وما أكثر النصوص التوراتية المقدسة التى تؤكد على تخصيص الإله «يهوه» أرض الأمم والشعوب لبنى إسرائيل.

ولهذه الأرض حدود : حسية ومعنوية. أما الحسية فنجدها فى مثل هذه الفقرة : «لنسلك (والخطاب لإبراهيم) أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات» (سفر التكوين ١٨/١٥).

وقد انحصر مفهوم النسل من خلال عمليات «التنقية» التى مر بها جيل الآباء، فى نسل يعقوب - إسرائيل - وحده.

وأما الحدود المعنوية فنجدها فى العديد من الفقرات، نحو : «وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم، يخدمونك. ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم، لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم» (إشعياء ٦٠/١٠).

«يجمع الرب منفيى إسرائيل. ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بنى المشرق معاً» (إشعياء ١١/١٢).

«ويقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون» (إشعياء ٦١/٥).

هكذا يطغى العنصر اليهودى ويصبح تأثيره

«ممتد المفعول» ليشمل الأمم جميعاً دون أن ينحصر فى مجرد أرض فلسطين.

لقد تبنت الصهيونية الحديثة إذن تحقيق النبوءات وتنفيذ رؤى الخلاص، «فالصهيونية قائمة فى جذور الديانة اليهودية، والديانة اليهودية قومية تجسدت فى الحركة الصهيونية»(١٦).

وحتى لا نتهم بمحاولة التلفيق لإيجاد صلة مفتعلة بين الصهيونية الحديثة والتراث الدينى اليهودى، دعونا نستشهد باعترافات آباء الصهيونية من أمثال بن جوريون حيث يقول: «لقد آمنا طوال آلاف السنين بنبوءات أنبيائنا، وبيننا أشخاص يؤمنون بمجىء المسيح الذى سيجمع يهود العالم، أمواتاً وأحياءً فى الأرض المقدسة»(١٧).

الدراسات العرقية والسيكولوجية تؤكد أن جميع الأجناس البشرية الحالية متكافئة وقادرة على إيجاد قيم ثقافية وتراث فكرى

كما يرى بن جوريون أن العقيدة اليهودية لا يمثلها الإيمان بالتوحيد فقط، بل يلازمها دوافع إقليمية وقومية هى التى أدت إلى ارتباط اليهود ارتباطاً روحياً عميقاً بأرضهم القديمة، حتى أثناء إقامتهم فى المنفى»(١٨).

ولكن بن جوريون - على ما يبدو - لايعرف توراته المقدسة جيداً، وهى التى تنبئنا فى أكثر من موضع بأن هذه الأرض إنما هى أرض كنعان (التكوين ١/١٢) وأرض الفلسطينيين (التكوين ٣٤/٢١) التى كان إبراهيم فيها غريباً حسب نص سفر التكوين: وتغرب إبراهيم فى أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة».

وجاء فى بيان مجلس الحاخامين الأعلى عام ١٩٣٧ قولهم:

«إن أرضنا المقدسة منحها لنا سيد الكون بميثاق أبدى حتى نطبق عليها قوانين التوراة ونحيا بروحها، ومن ثم فإن الشعب اليهودى ليرتبط بهذه الأرض إلى الأبد.

ولما كنا قد أبعدنا عن أرضنا نتيجة خطايانا، فقد وعدنا الرب على لسان أنبيائه بتحريرنا مرة أخرى عن طريق المسيح، وهذا الإيمان بالوعد الإلهى هو أحد أعمدة العقيدة اليهودية وأسسها.

وعليه، فإن حق الأمة اليهودية فى أرضها المقدسة تضرب جذوره إلى توراتنا المقدسة، كما نجده فى ضمانات الأنبياء كرسل الرب لنا(١٩).

لقد استقت الصهيونية الحديثة أسس قيامها من نبوءات الأنبياء فى العهد القديم، فقد جاء فى سفر حزقيال: «هكذا قال السيد الرب: عندما أجمع بيت إسرائيل من الشعوب الذين تفرقوا بينهم وأتقدس فيهم أمام عيون الأمم. يسكنون فى أرضهم التى أعطيت لعبدى يقعوب». (٢٥/٢٨)

وجاء أيضاً: «وأقيم عليهم راعياً واحداً فيرعاها عبدى داود. هو يرعاها وهو يكون لهم راعياً وأنا يهوه أكون لهم إلها وعبدى داود رئيساً فى وسطهم». (١٢/٣٤)

مثل هذه النبوءات، هى التى جعلت الحاخام غودمان - وأمثاله كثيرون - يقول لهرتزل: «كأننى أرى موسى بلحمه وعظمه. وربما كنت ذاك الذى اصطفاه الله»(٢٠).

ومثل هذه النبوءات، هى التى جعلت زعماء المسيحية المتهودين يسيرون على نفس النهج، إذ بعد أن فرغ القس واليم هتشلر من قراءة كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» اقتحم عليه مكتبه قائلاً: أنت هو الذى كنت أنتظره. أنت المسيح المنتظر».

وكان الأب اغناطيوس (١٨٣٧ - ١٩٠٨) من أشد الناس حماسة للصهيونية، وكان دائم الحديث عن بعث مملكة يهوذا، وقد وصف هرتزل بقوله: «هو يوشعكم الجديد الذى جاء لتحقيق نبوءة حزقيال. إن الصهيونية هى تحقيق لكلمات حزقيال النبى». وقال: «اليهودية هى الصهيونية والصهيونية هى يهودية الله»(٢١).

وهكذا نجد الصلة قوية بين الصهيونية والتراث الدينى اليهودى، الأمر الذى يجعلنا نتفق مع جورجى كنعان فى تعريفه للصهيونية بأنها «حركة دينية ودعوة قومية قطعت على نفسها عهداً بتحقيق العهد الأول الذى قطعه (الله) لبنى إسرائيل، وتحقيق الرؤى الدينية والآمال اليهودية»(٢٢).

وقبل أن نعرج إلى قضية أخرى من قضايا دراستنا الموجزة هذه، لا يفوتنا أن نشير سريعاً إلى أن أسفار العهد القديم مليئة بمظاهر «العنصرة» الإسرائيلية التى بدأت واضحة بعد الاختيار الإلهى ممثلة فى رفض الاندماج الإسرائيلى من قبل يعقوب وأبنائه مع شكيم بن حمور، وعملية التطهير العرقى التى قام بها أبناء إسرائيل لسكان المدينة الذين تجرأوا على طرح فكرة الاندماج مع الإسرائيليين. (انظر سفر التكوين، الإصحاح ٣٤)

وكانت العنصرية وراء عدم اندماج الإسرائيليين فى الشام مع الأمم الأخرى التى صدر الأمر الإلهى اليهوى بعدم الاندماج معهم بعد الخروج من مصر للمحافظة على نقاء العنصر ونقاء العقيدة، مع أن التاريخ الإسرائيلى يشهد بعكس ذلك تماماً.

وكانت العنصرية سبباً فى خروج العبريين من مصر الذين كان من بينهم جماعة حنيفية خرجت من أجل عبادة الله الواحد.

الصلة القوية بين الصهيونية والتراث الدينى اليهودى تؤكد أنها قطعت على نفسها عهدا بتحقيق الرؤية الدينية والآمال اليهودية

وكانت العنصرية وراء عمليات الاستئصال البشرى والتطهير العرقى التى قام بها يوشع ابن نون بعد دخوله الأرض المقدسة، ثم من تلاه من قضاة بنى إسرائيل.

هذا كله مثبوت فى التراث اليهودى الذى أصبح مصدر إلهام رئيسا للحركة الصهيونية الحديثة.

ولقد جمع لنا الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى(٢٣) عناصر الدين اليهودى الذى تشكل فى بابل بعد النفى عام ٥٨٦ ق.م فى النقاط التالية:

١- اختار الله العنصر العبرى باختياره شخص ابراهيم ليكون له شعباً كغيره من الشعوب.

٢- أعطى الله ميثاقه لهذا العنصر، عهداً أزلياً لا ينقض.

٣- تنفيذاً لهذا الميثاق، أخرج الله العنصر العبرى من مصر وأنقذه من فرعون ومن أهل فلسطين من أجله، وأسكنه فلسطين وملكه إياها.

٤- اختار الله داود ودفعه إلى ما هو تحقيق

للميثاق، إلى انشاء الدولة الداوودية، وجدد الله له العهد، لهذا جعل الله للعنصر المختار ملكاً وأرضاً ودولة.

٥- انحراف العنصر العبرى عن الطريق العبرى فأفلت منه الملك.

٦- على العنصر العبرى أن يتطلع إلى استرجاع هذا الملك بكل عقله وقلبه.

٧- ولابد أنه سيرجعه، لأنه لم ينحرف كله، فهناك بقية صالحة، وبهذا يصدق عهد يهوه بأن مُلك العنصر العبرى - الذى هو ملكه - لن يزول.

٨- جاء النبى إشعياء يتغنى بأمل العودة ويعمل بجد وتخطيط.

وهكذا يستخلص الفاروقى من نفس المواد التوراتية العقدية السابقة أسس الصهيونية الحديثة، مما لايدع مجالاً للشك فى العلاقة الأصولية بينهما.

وعلى نحو ما أسلفنا نكون قد بينا بالشواهد التوراتية أسس الصهيونية فى التراث اليهودى، وكيف أن هذا التراث قد أمد الصهيونية الحديثة بمكونيها الرئيسين المتمثلين فى الاختيار العنصرى، والأرض، هذان المكونان اللذان بنى عليهما التاريخ الإسرائيلى برمته كما سجلته لنا أسفار العهد القديم.

(وللحديث بقية)

الهوامش

١- اسماعيل راجى الفاروقى، أصول الصهيونية فى الدين اليهودى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨، ص٧.

٢- المرجع السابق.

٣- ل. همفرى والز، «الصهيونية والعنصرية : اختلاف كبير بشأنهما فى المفاهيم والرؤية» فى : الصهيونية حركة عنصرية : أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ٢٤ - ٢٨ تموز ١٩٧٦، ترجمة : عدنان كيالى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤.

٤- المرجع السابق، ص ٢٥.

٥- أنيس القاسم، «العنصرية والسلام العالمى»، فى : الصهيونية حركة عنصرية، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.

٦- المرجع السابق.

٧- ستيفان غورانوف، «العنصرية مبدأ أساسى فى الصهيونية»، فى : الصهيونية حركة عنصرية، مرجع سبق ذكره، ص٢٤.

٨- Hertzberg, Arthur, (ed.) The Zionist Idea : A Historical Analysis and Reader, New York, 1971, p. 16.

٩- Katz, Jacob, "The Jewish National Movement : a Sociological Analysis" in : Jewiesh Socity Through the Ages, by : Ben Sasson, H. and Ettinger, S., Schocken Books, New York, 1973, p. 268.

١٠- جورجى كنعان، وثيقة الصهيونية فى العهد القديم، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٧.

١١- المرجع السابق، ص ٢٩ - ٣٠.

١٢- اسماعيل راجى الفاروقى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

١٣- محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية (٤)، القاهرة، د.ت، ص ٢٥ ومابعدها.

١٤- Herberg, Will, "The Chosenness of Israel and The Jew of Today" in : Arguments and Dectriness, (ed.) by Cohen, Arther, p. 280.

نقلاً عن : محمد خليفة حسن، مرجع سبق ذكره، ص٢٩.

١٥- Bamberger, Bernard, The Story of Judaism, Schacken Books, New York, 1965, p. 444.

١٦- جورجى كنعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١.

١٧- الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل ١٩٦٧.

١٨- "Ben Gurion Looks Back" In Talks with Moshe Barlman, N.Y., 1965. نقلاً عن : جورجى كنعان، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩.

١٩- Halperin, Samuel, The Political Word of American Zionism, 1961, p. 321.

٢٠- نقلاً عن جورجى كنعان ، ص ١٢٩.

Alex Bein, Theoder Herzl, 1945, p. 150.

٢١- نقلاً عن جورجى كنعان، ص ١٢٩.

Alex Bein, Op. Cit., p. 282.

٢٢- مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

٢٣- مرجع سبق ذكره، ص ٧١ - ٧٢.

مؤتمر الحوار الإسلامى ـ المسيحى فى زيوريخ

دفاع عن الإسلام ضد التضليل الإعلامى

١٨٠ ألف مسلم فى مجتمع سويسرى محايد

تظل الأقليات المسلمة فى أرجاء العالم، أشبه بطلائع الفتوحات، ليست العسكرية ولا السياسية فقط، وإنما الفكرية والثقافية والعقائدية التى يمكن لها ـ لو أرادت وتوحدت كلمتها ـ أن تغير من رؤية الآخرين لنا ولديننا.

ومن ثم تفتح أبواب العالم على مصاريعها أمام انتشار الإسلام وعدالة النظر إلى قضايا الأمة الإسلامية.

من بين هذه الأقليات، الأقلية المسلمة فى سويسرا، الدولة المشهورة بحيادها ومسالمتها.

حوار:
بدر الدين السيد

«منبر الإسلام» التقت سيدة سويسرية مسلمة من أصل مصرى أمضت قرابة الثلاثين عاما بين ألمانيا وسويسرا مع أسرته ـ حصلت خلالها على الماجستير فى الدراسات والعلوم التربوية. أوقفها مصادفة موقف الدفاع عن الإسلام ورؤيته لقضايا المرأة ونشطت فى هذا الاتجاه مستعينة بدراستها حتى عرفت به فى الوسط المحيط بها فى ألمانيا ثم فى سويسرا التى اختيرت فيها عضوا فى اللجنة الفيدرالية السويسرية لمكافحة العنصرية ثم نائبة للرئيس ثم رئيسة للجنة السويسرية للحوار الإسلامى ـ المسيحى فى «زيوريخ».

● سألت السيدة سامية حسين عن بداية نشاطها المدافع عن الإسلام فى أوروبا فأجابت:

ـ خلال إعدادى رسالة الماجستير فى ألمانيا قمت بعمل بحث عن تعليم المرأة فى الإسلام

الجيل الثانى من المسلمين فى سويسرا متطورون ومدافعون عن الإسلام

وتزامن ذلك مع عقد مؤتمر دولى دعى إليه البروفيسور المشرف على بحثى، ولما كانت بالمؤتمر ورش عمل إحداها عن المرأة فى العالم الإسلامى، فقد طلب البروفيسور منى مرافقته للمؤتمر، وهناك رأيت ممثلين لدول عديدة ولم أر ممثلا لدولة إسلامية، بل كان المتحدثون فى جلسة عمل «المرأة فى العالم الإسلامى»، خمسة ألمان قيل إنهم خبراء بالشئون الإسلامية، فكل منهم كان ممثلا للمنظمة الألمانية للتبادل العلمى فى دولة إسلامية أو بها جالية إسلامية وهى: الأردن، ساحل العاج، الكاميرون، موزامبيق، تنزانيا، وقد هاجموا كلهم الدين الإسلامى واعتبروه سببا رئيسيا فى إفشال خطط عملهم المستهدفة فى تلك الدول«!!» وكنت أسجل خلال كلماتهم نقاطا، فطلب البروفيسور إعطائى الكلمة للتعقيب باعتبار أن ما أثير يتصل بموضوع بحثى عن المرأة فى العالم الإسلامى، وكانت فرصتى للرد على كل ما أثاروه حتى أننى شرحت لهم مقابلا من الأوساط المحافظة فى المجتمع الألمانى - وقتئذ - لكل انتقاداتهم لمجتمعاتنا المسلمة.

• تقصدين مقابلا لحالات التمسك بالقيم فى مجتمعاتنا؟

نعم.. ففى ألمانيا منتصف السبعينات كان لايزال هناك محافظون. قلت لهم لو كانوا ينتقدون تحديد المسلمين حريات بناتهن، ففى ألمانيا أسر محافظة تفعل نفس الشىء، وإن كانوا ينتقدون أن ميراث المرأة المسلمة نصف ميراث الرجل، ففى ألمانيا - وقتئذ - الفلاح يورِّث الأرض كلها لأبنائه الذكور ويكتفى بتعويض بناته تعويضا ماديا، بينما الإسلام يعطيها نصف الميراث ويلزم الرجل بنفقتها وكفالتها فلا يتركه حرا.

• وماذا عن رئاستك اللجنة السويسرية للحوار الإسلامى - المسيحى؟

- تأسست عام ١٩٩٠م بعد أعمال مكثفة من فريقين من المسلمين والمسيحيين، والحقيقة أن أول من دعا لها قس سويسرى أراد أن يغير مفهوم الناس هناك - وكان غير جيد - عن المرأة المسلمة وعن الإسلام والمسلمين وهو ما حمسنى للتعاون معه.

• أليس غريبا أن يهتم قس بذلك؟

هناك سبب هو أنه كان قد سافر لعدة دول عربية ووجد التعايش بين أهل الديانتين أمرا يوميا معتادا فتأثر به جدا، ولقد تزامن ذلك مع توتر المنطقة العربية وبداية أزمة الغزو العراقى للكويت.

• كيف كانت رؤية الناس هناك لأحداث تلك الأزمة؟

- يكفى أن تعرف موقف الإعلام هناك منها، وهو دائما ضد العالمين العربى والإسلامى، لقد كان يضخم المشكلات ويضلل الرأى العام. كان التليفزيون يعرض صورا للمصلين فى المساجد، وما أن ينطق الإمام عبارة «الله أكبر» بادئا الصلاة حتى تتوالى مشاهد الحرب والدمار والقتلى فى لقطات متتالية، ولا تتصور كم كنا نعانى من تلك الإساءات الإعلامية.

● وكيف كنتم تواجهون هذه الإساءات المضللة؟

ـ الحقيقة أن القس السويسرى نفسه دعا لمؤتمر كبير حضره ما يربو على الألف شخص أغلبهم من السويسريين المسيحيين. أوضحنا فيه كثيرا من مواقف اللبس والغموض المتراكمة بفعل وسائل الإعلام. لقد كانوا يسألوننى عن معنى عبارة «الله أكبر» وهل هى تعنى الحرب والقتل؟!

● ما هو نشاطكم على وجه التحديد فى لجنة الحوار الإسلامى ـ المسيحى ـ بزيوريخ؟

ـ لدينا مؤتمر عام سنوى مفتوح للجميع ـ أعضاء وغير أعضاء ـ وتم عقده العام الماضى بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس الجمعية، وقد وفقت فى اختيار د. سيد الشاهد لإجادته الألمانية الفصحى وكان نظيره الألمانى بروفيسور «كوشيل» وهو من أكبر الشخصيات الألمانية المهتمة والنشطة فى مجال حوار الأديان وكان له بحث رائع فى المؤتمر باسم «إرث إبراهيم» يركز فيه على كيفية تعايش أحفاد إبراهيم عليه السلام فى ظل تحديات العصر الحديث باعتبار أن الأديان السماوية الثلاثة منبعها واحد وهو يشبهها بنهر تفرع لثلاثة أفرع.

● هل يمكن أن تتوفر الموضوعية فى شخصيات مسيحية أوروبية فى تعرضها لهذه المسألة؟

ـ لقد كان الرجل موضوعيا جدا، بل إنه وجه نقدا شديدا للفاتيكان ـ الذى هو يتبعه ـ وللتيار المتجمد فى أوروبا الذى يعوق مسألة التقارب بين الإسلام والمسيحية، وأعلن أن هؤلاء قد آن الأوان لكى يعترفوا بأخطائهم فى حق المسلمين ولكى يفتحوا صفحة جديدة طيبة مع العالم الإسلامى.

● هل تتلقى لجنة الحوار التى ترأسينها دعما حكوميا؟

ـ لا. بل هى تعتمد على اشتراكات أعضائها وأغلبهم سويسريون مسيحيون.

● والمسلمون؟

ـ المسلمون المهاجرون فى سويسرا أغلبهم أناس بسطاء الحال وكثيرا ما يفتقدون إتقان إحدى اللغات الرسمية السويسرية والإلمام بكيفية التعامل مع المجتمع السويسرى ولا تثير هذه الأمور اهتمامهم.

● وهل كل الجالية هناك بهذا الوصف.. ألا يوجد مثقفون؟

ـ لا.. ولكن المثقفين المهاجرين قلة، ومشغولون بكسب العيش، لذلك فهم قليلون للغاية فى لجنة الحوار والأكثرية من السويسريين المتحمسين لهذه القضية!، هذا طبعا بالنسبة لأجيال الآباء من المهاجرين.

● وماذا عن الأبناء.. أعنى المولودين فى المهجر؟

ـ أبناء الجيل الثانى فى سويسرا أكثرهم رائعون، ومتميزون أخلاقيا ومتمسكون بإسلامهم رغم أنهم يعيشون حياة مجتمعاتهم الجديدة وفى ظروف تختلف عن تلك التى يعيش فيها شباب مجتمعاتنا الإسلامية. بحق هم متطورون فكرا وعلما وينتظر منهم الكثير فى المهجر مستقبلا، وحين تلتقى بهم الصحف السويسرية يقولون إنهم بحكم ولادتهم سويسريون لكن من جذور إسلامية. لقد كتب عنهم صحفى سويسرى قبل عام كتابا بعنوان: «مسلمون.. سويسريون»، وقد لا تصدق أن بعضا منهم شباب وفتيات وهم جامعيون أو فيما بعد المرحلة الجامعية يديرون ندوات تقام للتعريف

المسلمون فى سويسرا.. جالية فقيرة.. وأبناء متفوقون

بالإسلام والعالم الإسلامى، إنهم مثقفون جدا. وعلى سبيل المثال أنا لدى ابنتى حاصلة على ليسانس فى الأدب الانجليزى والدراسات الإسلامية والدراسات السياسية ثلاثة تخصصات فى ليسانس واحد رغم أن كل تخصص من كلية مختلفة.

أنا متفائلة بالجيل الثانى من المهاجرين المسلمين فى سويسرا.. متفائلة جدا، فهم مع تمسكهم بتقاليدنا وبالدين، أبناء تلك المجتمعات ويعرفون كيف يخاطبون الناس هناك.

• هل تعتقدين أن انتشار الإسلام بين السويسريين سهل؟

- اسمع، فليقدم المسلمون فى أى مجتمع القدوة الحسنة وعندها سيقبل الناس على اعتناق الدين الإسلامى.

• ما عدد الجالية المسلمة هناك؟

- بين ١٥٠ و١٨٠ ألف مسلم من المهاجرين والسويسريين الأصل معا.

• هل توجد إحصائية دقيقة للمسلمين من أصل سويسرى؟

- لا.. فمازال من الصعب عليهم الحديث عن المتحولين للدين الإسلامى.

• أى قطاعات المجتمع السويسرى يستأثر بأكبر عدد من معتنقى الإسلام هناك؟

- يمكننى بثقة التأكيد على جانب النوع وليس الفئة الاجتماعية، فالنساء السويسريات يمثلن أغلبية السويسريين من معتنقى الإسلام وكثيرا ما يكون ذلك نتيجة التزاوج بمسلمين، أما الإقبال المجرد على اعتناقه فمازال قليلا حتى الآن.

• وماذا عن المرأة المسلمة فى سويسرا من حيث التعليم والحالة الاقتصادية؟

- المستوى التعليمى للمسلمات المهاجرات فى سويسرا غالبا ما يكون متواضعا للغاية، فهن زوجات المهاجرين من عمال وخلافه، وعليه فالمستوى الاقتصادى - أيضا - بسيط، وهو ما يتسبب فى تقوقع الزوجة المسلمة هناك بين جدران بيتها وعدم قدرتها على مواجهة متغيرات المجتمع وسرعة الحياة.

• ولم لا نعتبر ما تسمينه تقوقعا فى البيت تفانيا فى خدمة الأسرة فى ذلك المجتمع الغريب؟

- لا أستطيع التسليم بذلك، لو أن كل نساء الجالية الإسلامية - المهاجرات - فى سويسرا متعلمات ومثقفات ويتقن اللغة السويسرية لقام أكثرهن بخدمة الإسلام ودافعن عن قضاياه.

• يا سيدتى مسألة خدمة قضايا الإسلام فكرة لا تطرأ على ذهن سيدة عادية غير متعلمة، فهى درجة عالية من التفكير تصل إليها المرأة المثقفة، وبالتالى فالبديل لدى السيدة العادية هو التفانى فى خدمة الأسرة.. أليس كذلك؟

- إذن فنحن وفقا لكلامك - كأمة إسلامية - تنقصنا الثقافة والوعى.

• أنا أتحدث عن النساء المسلمات زوجات المهاجرين فى سويسرا؟

- وهؤلاء جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية.

• قد يكون موقفهن من الاندماج فى الحياة راجعا لإحساسهن بالاغتراب أو التوجس من متغيرات المجتمع السويسرى؟

- المجتمع السويسرى يقدم للعمالة المهاجرة فرص كورسات لتعلم اللغة السويسرية وللأسف لا يحضرها أحد، ومع أن سويسرا بها أربع لغات رسمية هى الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانية. وهى - فيما عدا الأخيرة - لغات حية، لو تعلمت السيدة المسلمة واحدة منها لأثبتت وجودها هناك أو على الأقل لعرفت كيف تتعامل مع المجتمع السويسرى.

• ولكن مهاجرى المغرب العربى يعرفون الفرنسية، وماذا عن بقية مهاجرى الجالية؟

- الحقيقة أن البعض لا يريد أن يدرك أهمية إتقان لغة المجتمع الذى يعيش فيه.. وهذا مؤسف.

• ماهو مدى التآلف بين جنسيات الجالية المسلمة هناك؟

- الجالية المسلمة فى سويسرا حالها يشبه كثيرا حال الدول التى هاجرت منها والعلاقات بينها، وسلة صراعاتها السياسية والمذهبية والعرقية والاجتماعية القائمة فى عالمنا الإسلامى. كل هذا انتقل إلى هناك بحذافيره.

• ألا ينعكس ذلك على رؤية المجتمع السويسرى للجالية المسلمة؟

- بالتأكيد، فالآخرون لهم عيون ترى، وعقول تفكر فيما تراه.

• هل يمكن أن تعطينا صورة من صور تلك الصراعات؟

- نعم.. بمجرد اختيارى نائبة لرئيس لجنة الحوار الإسلامى - المسيحى، عرضت على السلطات مطلبين: **أولهما:** إقامة مسجد فلم يكن هناك سوى مسجد واحد فى مدينة جنيف بناه المغفور له الملك فيصل - يرحمه الله -.

وثانيهما: إقامة مقبرة خاصة بالمسلمين.

فطلبت السلطات هناك صرف النظر عن موضوع المسجد متعللين بأن الوضع شائك جدا - وكان ذلك وقت أزمة الغزو العراقى للكويت وتداعياتها - ووافقوا فقط على النظر فى مسألة المقابر، وتولى الاجراءات رئيس لجنة الحوار - القس السويسرى - لكنه فوجئ ببعض جنسيات الجالية تذهب إليه وكل منهم يشترط عدم تولى جنسية أخرى لموضوع المقبرة وإلا فلن يشارك فيها - هذا رغم حاجة الجميع للمقبرة الإسلامية.. وتكرر ذلك من أكثر من جنسية مما أحدث ارتباكا لدى القس السويسرى.

• وكيف عالجتم هذه التناقضات؟

- اتصلت بشخصية عربية مرموقة هناك هو «د. اسماعيل أمين» أستاذ اللغات الشرقية بجامعة زيوريخ والذى قضى ٤٠ عاما فى سويسرا ليتولى الأمر، واقترح القس السويسرى على المتصارعين اسم د. إسماعيل مؤكدا أنه لا تفاوض مع أفراد وإنما د. إسماعيل هو الذى سيتولى المسألة، وخاض د. إسماعيل معركة إعلامية شرسة ساندته فيها الأحزاب المعتدلة والهيئات الشعبية ورئيس الحكم المحلى فى زيوريخ، وتمت الموافقة الكاملة على تخصيص المقبرة رغم أنف الأحزاب اليمينية التى استغلت تناقضاتنا وأزمة الخليج انتخابيا لتمنع الموافقة.

• نعود للسويسريات اللائى اعتنقن الإسلام ماهى رؤيتك لهن ولمدى تمسكهن بمبادئه؟

- هناك منهن من اعتنقنه باقتناع تام وتعايشن مع مبادئه تعايشا سليما، وأخريات ملكيات أكثر من الملك، وهؤلاء الأخيرات - بل والسويسريون من معتنقى الإسلام - يأخذنه من الزاوية المتشددة الصارمة جدا.

بل إن بعض السويسريات اللاتى أسلمن يرددن فى وسائل الإعلام أنهن أفضل منا نحن المسلمات المهاجرات لسويسرا، لأنهن أسلمن بعد اختيار إرادى واقتناع ولم يولدن مسلمات بالوراثة مثلنا.. بالله عليك انظر لنزعة الاستعلاء الأوروبية حتى فى الدين.

• ألا ترين معى أن فكرتهن هذه على قدر من الموضوعية؟

- كيف؟!

• الواقع يقول إن كثيرين ممن يولدون أو تولدن مسلمين ومسلمات، يصبح الأمر بالنسبة لهم ولهن روتينيا، ممارسة تلقائية تفتقر كثيرا لروح العقيدة والوعى بها، أما المتحول للإسلام بعد اقتناع فتكون حماسته أشد ومعايشته تعاليم الإسلام أكثر حيوية والتزاما؟

- لا.. لا.. رأيى أنه لا إكراه فى الدين، فأنا مثلا ولدت مسلمة ولكن بإرادتى استمر إسلامى.

• ذكرت لى أن نظام الحكم فى سويسرا أقرب لنظام الشورى فى الإسلام. ما وجه التقارب؟

- نعم فالقرارات فى سويسرا تصعد من القاعدة للقمة، وحتى الحكومة تصعد من القاعدة للقمة مرحلة بعد أخرى فى تصعيد مستمر حتى تصل لمرحلة اختيار سبعة أعضاء يكونون مجلس الحكام أو المجلس الحاكم.. «البوند سرتين» وهؤلاء يتناوبون الرئاسة سنويا.. وهكذا كما ترى فهو نظام مختلف حتى عن الأنظمة الأوروبية الأخرى.

الإعلام الغربى يستغل صراعات المسلمين للإساءة للدين الإسلامى

بل حتى فى قضية مقابر المسلمين، طلبت السلطات طرح المسألة على استفتاء شعبى فى المنطقة التى نعيش فيها، فلكى يتم المشروع لابد أن يوافق عليه الشعب وموافقة الهيئات السياسية لا تعنى أبدا تجاهل موافقة القاعدة وهو ما دفعنا خلال خمس سنوات لتكييف حركتنا من مدينة لأخرى ومن قرية لأخرى ومن مدرسة لمدرسة نشرح عدالة مطلبنا للناس.

• وكيف تقاوم الأسرة المسلمة هناك أسباب الذوبان فى قيم المجتمع الأوروبى؟

- بالحرص والتنبه والقدوة الحسنة، فقد حدث فى بعض حالات الزواج المختلط، وأقول بعضها - ان اكتشف الأب المسلم بعد سنوات أن الأم كانت تصحب أبناءها إلى الكنيسة وتقوم بتعميدهم وأحيانا يقر أبناء مثل هذه الأم - حين يكبرون - الزواج فى الكنيسة، بل وربما تمضية شهر العسل فى إسرائيل.

وبالمقابل هناك حالات مشرفة كثيرة، أعرف مهندسا شابا سويسريا تزوج من إحدى بنات الأسر المسلمة المهاجرة بعد اعتناقه الإسلام عقب دراسة وتعمق فيه، هذا الإنسان دائم الحرص على اصطحاب أبنائه كل يوم سبت للمركز الإسلامى لتعليمهم القرآن، بل إنه كان لشدة شغفه وتعمقه فى الدين يؤم المصلين، والحقيقة أن المرأة المسلمة فى سويسرا أثبتت صلابتها وحافظت على أبنائها، وكثيرات من بنات الأسر المسلمة تزوجن من سويسريين أسلموا وعشن محافظات على آداب ديننا الحنيف وتراهن دائما مدافعات عن القضايا الإسلامية ويربين أولادهن على ذلك.

السويسريات المسلمات يتفاخرن علينا بإسلامهن الإرادى وليس الموروث

• ولكنك ذكرت أن المسلمات هناك غالبا ما يكن متقوقعات فى البيوت؟

- أنا أتحدث الآن عن المسلمات المثقفات، أما الأخريات غير القادرات على التعامل مع المجتمع السويسرى وفهمه، فأولادهن ضحايا صراعات البيوت ومتاعبهم كثيرة وتجدهم مشتتين بين البحث عن جذورهم وضرورة تكييف أنفسهم مع المجتمع الجديد، فهذه مسألة تحتاج إلى أسرة مثقفة تتفهم الواقع وكيفية التعامل السليم معه.

• هل يمكننا القول أن وضع مسلمى سويسرا أفضل من حالة مسلمى فرنسا حيث يبدو المجتمع كأنه لا يتقبلهم؟

- نحن نحاول أن نتعلم من أخطاء الجاليات الإسلامية فى البلدان الأخرى، وبشكل عام فمن خلال مشاركاتنا فى الهيئات الشعبية - غير الحكومية - كلجنة مكافحة العنصرية، ولجنة الحوار الإسلامى - المسيحى، نحاول أن نسير بخطى متقدمة، والحمد لله الاتجاه العام فى سويسرا يعترف اليوم بالوجود الإسلامى وبالمسلمين كجزء من نسيج المجتمع وليس كطفرة غريبة فيه.

• هل هناك اعتراف بالإسلام كأحد الديانات الرسمية فى سويسرا؟

- الحقيقة أن ذلك لم يحدث، ولكن حتى اليهودية لم يعترف بها فى سويسرا كدين رسمى إلا فى مقاطعات بعينها، فالنظام هناك كما قلت فيدرالى، ولايفرض من أعلى أو من سلطة مركزية.

• هل لكم كلجنة حوار بين الإسلام والمسيحية تأثير فى الشارع؟

- لقد بدأت تنتشر لجان صغيرة للحوار الإسلامى - المسيحى فى المدن الصغيرة والقرى.

• هل يعنى ذلك أن المسلمين فى سويسرا انتشروا حتى فى القرى؟

- لا.. ليس شرطا، فيمكن أن يكون فى القرية عائلة مسلمة واحدة وتشكل بها لجنة حوار، فالمسألة تستهدف تغيير الفكر المتوارث عن الإسلام والمسلمين، ونحن نبذل فى ذلك جهدا مكثفا.

المقاطعة الاقتصادية أهى سلاح ذو جدوى؟

المقاطعة الاقتصادية أسلوب تقوم به الدول والمجتمعات كأحد الأسلحة الهامة فى المعارك، وعلى مر التاريخ كسبت بعض الدول معاركها من خلال المقاطعة الاقتصادية والتى تأخذ صورا عديدة منها إلغاء التعامل بيعا وشراء كما حدث فى مقاطعة قبائل مكة لبنى هاشم للضغط عليها كى تثنى رسول الله ﷺ عن دعوته للدين الجديد وكتبت ذلك فى وثيقة أودعتها جوف الكعبة ولقد أوجعت تلك المقاطعة بنى هاشم وجاءت عناية الله حينما أخرجت الصحيفة من جوف الكعبة فوجدت أنها تآكلت ما عدا اسم الله عز وجل، ومن صور المقاطعة أيضا ما حدث فى الهند بزعامة غاندى بمقاطعة السلع الإنجليزية، أو منع تصدير سلعة مهمة للعدو كما حدث فى استخدام سلاح البترول عام ١٩٧٣ وكان أحد أسباب النصر حينها، بل إنه وعلى مدار الفترة من بداية الخمسينات وحتى توقيع اتفاقية السلام مع اسرائيل، كانت المقاطعة العربية للشركات العالمية التى تتعامل مع اسرائيل من الإجراءات التي عانت منها هذه الشركات.

أ.د. محمد عبدالحليم عمر

واليوم وقد تبين عدم صدق اسرائيل فى مسيرة السلام واستمرارها فى سياسة العدوان الغاشم على الشعب الفلسطينى وعدم اكتراثها بقرارات الأمم المتحدة أو الاتفاقات التى وقعتها، وفى ظل استبعاد الحل العسكرى الشامل فى صورة حرب جديدة بين العرب واسرائيل، فإنه لن يردعها سوى المقاطعة الكاملة لها ولمن تقف وراءها من الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الشركات العالمية، وهذا ما أكده اجتماع القمة العربية فى شرم الشيخ عام ٢٠٠٠ الماضى واتخذ قرارا بالمقاطعة الاقتصادية لاسرائيل ومن يناصرها، ولقى هذا القرار ترحيبا هائلا من الشعوب العربية والإسلامية، إلا أنه للأسف لم يأخذ طريقه للتطبيق بصورة شاملة، وللأسف مرة ثانية وجدنا بعض السياسيين والكتاب يقللون من أهمية المقاطعة بدعوى أن العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والإسلامية وبين اسرائيل قليلة ولن تؤثر مقاطعتها بإضعاف الاقتصاد الإسرائيلى، كما أن العرب والمسلمين يحتاجون للتعامل الاقتصادى مع أمريكا أكثر مما تحتاجه

أمريكا وبالتالى فالمقاطعة معها سوف تضعف اقتصاديات الدول العربية والإسلامية ولن تؤثر فى اقتصاديات أمريكا.

وهذا كلام مردود عليه بأن سلاح المقاطعة نجح فى السابق فى توجيه ضربات موجعة لأمريكا واسرائيل وأنه بالعكس فإن السوق العربية الإسلامية تحتل أهمية كبيرة للاقتصاد الأمريكى بدليل تكالبها على التواجد فى المنطقة العربية بكل السبل، كما أن اسرائيل تتمنى وتخطط لأن تفتح أمامها الأسواق العربية كاملة.. وبالتالى فإنه يجب استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية فى معركتنا الدائرة مع اسرائيل وأمريكا.

وتستند المقاطعة المطلوبة من المسلمين لاسرائيل وأمريكا دينيا إلى قول الله تعالى: ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ الممتحنة الآية ٩، والموالاة تعنى النصر ومدهم بأسباب القوة التى من أهمها القوة الاقتصادية، وبالتالى فإن من يتعامل مع العدو يكون مواليا له ويتحقق فيه الظلم المنهى عنه شرعا، وإذا كانت اسرائيل تمارس العدوان بالفعل بقتل المسلمين وإخراجهم من ديارهم، فإن أمريكا تظاهرهم على ذلك بإعانتهم بالمنح المالية والمعدات العسكرية وإجهاض القرارات الدولية التى تدين العدوان الإسرائيلى فى مجلس الأمن، بل إنها تعتبر نفسها راعية لحقوق الإنسان وتتدخل بهذه الصفة لمعاقبة بعض الدول التى ترى أنها تنتهك حقوق الإنسان، ومع ذلك تغض الطرف على الممارسات الإسرائيلية المتعددة ضد حقوق الإنسان العربى المسلم، وفى آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد** ﴾ التوبة الآية ٥، حيث جاء فى نص «واحصروهم» أى اضربوا عليهم الحصار بسد الطرق ونحوه مما يؤدى إلى إضعافهم والتضييق عليهم والمقاطعة الاقتصادية من أساليب الحصر.

ولقد تناول فقهاء المسلمين قديما حكم التعامل التجارى من أهل الحرب أو ديار الحرب، وهم الذين يحاربون المسلمين مثل اسرائيل وأمريكا، ويتفق جميع الفقهاء على أنه يحرم التعامل التجارى والاقتصادى مع الحربيين إذا كان ذلك يؤدى إلى تقويتهم حيث جاء «ولا يجوز الاتجار مع الحربيين فيما فيه تقوية لهم على المسلمين» وإن كان الفقهاء اختلفوا حول نوع السلع التى يتم منع الاتجار فيها فيرى الحنفية تحديد ذلك بما يقويهم من السلاح والآلات والمواد التى يصنع منها السلاح، بينما يرى المالكية منع التصدير من بلادنا ومتاجرة المسلمين فى بلاد الحرب لأن فى تصدير أى شىء لهم أو استيراد شىء منهم تقوية لهم على المسلمين، ويشاركهم الشافعية فى هذا الرأى بمنع التجارة مع الحربيين فى أية سلع لأنهم يزدادون قوة بذلك.

وبناء على ذلك فإنه يجب على المسلمين شرعا مقاطعة أمريكا واسرائيل لأن هذا التعامل نوع من الموالاة المنهى عنها فى الآية الكريمة، كما أنه ضد

الحصار المطلوب من المسلمين تنفيذه على المحاربين، وذلك بصرف النظر عن مدى الآثار التى تنتج عن هذه المقاطعة، فإن كانت آثارا ضارة بأمريكا واسرائيل فهذا هو المطلوب، وإن لم تؤثر المقاطعة فيهما إلا قليلاً حسب ما يدعى البعض زورا، فإن الآية الكريمة نهت عن الموالاة على الإطلاق، ونستطيع التأكيد على أن هذه الآثار لن تكون ضارة لاقتصاديات الدول العربية والإسلامية، فإنه فى ظل العالم المفتوح الآن يمكن نقل التعامل الاقتصادى من أمريكا واسرائيل إلى دول العالم الأخرى مثل اليابان وبعض دول أوروبا، وحتى إذا وجدت أضرار نتيجة المقاطعة على اقتصاديات العرب والمسلمين فإن الله سبحانه وتعالى بوعده الصادق سوف يعوضنا عنه حيث إنه لما خاف المسلمون من منع المشركين من الحضور إلى مكة طمأنهم الله فى قوله تعالى : **﴿ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾** التوبة الآية ٢٨، وجاء فى تفسيرها «وإن خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم فإن الله سوف يعوضكم عن هذا».

ومن هنا فإنه يجب على كل مسلم استجابة لهذه الآية الكريمة مسئولية شخصية بمقاطعة اسرائيل وأمريكا والشركات الدولية التى تناصرهما، وتأخذ هذه المقاطعة الشعبية أساليب عدة منها :

أولاً : عدم شراء أى منتجات أمريكية أو اسرائيلية خاصة وأنه فى ظل العولمة توجد بدائل عديدة لهذه المنتجات سواء من الصناعة المحلية أو من الدول الأخرى والمؤسسات.

ثانياً : على مسئولى الشركات والمؤسسات المحلية عدم استيراد سلع من أمريكا أو اسرائيل والتحول إن كان الأمر ضرورة إلى الاستيراد من الدول الأخرى، وكذا البحث عن أسواق بديلة لتصدير السلع المحلية.

ثالثا : عدم قيام الحكومات والمؤسسات الوطنية باستثمار جزء من مدخراتها فى شراء سندات خزانة أمريكية كما يحدث كثيرا الآن.

رابعاً : على المدخرين والمستثمرين المسلمين عدم التعامل فى بورصات أمريكا أو شراء الأوراق المالية الأمريكية والاسرائيلية والشركات المناصرة لهما من أى بورصة فى العالم.

خامسا : العمل على سحب الودائع العربية والإسلامية من بنوك أمريكا.

سادسا : تحول الحكومات من ربط عملتها المحلية بالدولار الأمريكى وعدم الاحتفاظ بالاحتياطى النقدى الأجنبى لديها بالدولار، وعدم قصر المعاملات الدولية لها بالدولار والتوجه نحو سلة من العملات الدولية الأخرى كاليورو والين.

سابعا : امتناع شركات السياحة عن استقدام سواح من اسرائيل وعدم تنظيمها لرحلات سياحية لاسرائيل.

ثامنا : التجميد المؤقت للعلاقات والاتفاقيات التجارية والسياسية مع اسرائيل بالنسبة للدول التى لها علاقة رسمية معها مثل مصر والأردن.

تاسعا : قيام الأفراد باستخدام تقنيات الاتصال الحديثة مثل الانترنت ومن خلال البريد الالكترونى بتوجيه رسائل إلى الشركات والأفراد والمسئولين فى أمريكا لبيان مغبة تورطهم فى مساندة العدوان الاسرائيلى والتهديد بمقاطعة شاملة لهم، وكذا إرسال رسائل إلى الجمعيات والمنظمات غير الحكومية وبعض الأفراد فى الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية وأمريكا اللاتينية لتوضيح أبعاد الاعتداء الاسرائيلى الغاشم على الفلسطينيين والقدس الشريف وأثر ذلك على السلم العالمى، وأيضا توجيه رسائل مماثلة إلى المنظمات الدولية السياسية مثل الأمم المتحدة ومنظماتها النوعية مثل منظمة التجارة العالمية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى واليونسكو.

عاشرا : كتابة مقالات ورسائل إلى بريد القراء بالصحف المحلية وبعض الصحف العالمية للتعريف بما يتعرض له الفلسطينيون من اعتداء صهيونى غاشم ومطالبتهم بالمشاركة فى المقاطعة الاقتصادية على نطاق واسع واظهار غضبهم على الأمريكان والاسرائيليين.

حادى عشر : الاتصال الشعبى من خلال التليفونات والفاكس والبريد الالكترونى والبريد العادى لنشر الوعى بين المواطنين بضرورة المقاطعة لأمريكا واسرائيل.

ثانى عشر : إرسال رسائل إلى السفارات الأمريكية بكل دول العالم الإسلامى لإظهار غضب الشعوب العربية والإسلامية من موقف أمريكا المعادى للعرب والمسلمين والمنحاز إلى اسرائيل.

ثالث عشر : مواجهة الغزو الثقافى الأمريكى الذى حل بديار المسلمين وذلك بمقاطعة مطاعم المأكولات السريعة الأمريكية مثل سلسلة مطاعم ماكدونالدز وبيتزاهت وومبى لأن الشركات التى تتبعها هذه المطاعم ترصد جزءا من أموالها لتقديم المساعدات لاسرائيل، وكذا عدم مشاهدة الأفلام الأمريكية التى تعرض فى دور السينما، وعدم تكالب أصحاب المدارس والمعاهد والجامعات الخاصة على عقد اتفاقيات مع المؤسسات التعليمية بأمريكا.

رابع عشر : إن جزءا كبيرا من قوة الدولار الأمريكى فى مواجهة العملات المحلية ناتج عن تكالب بعض الأفراد على الاحتفاظ بالدولار كمخزن للقيمة، وطلب بعض المؤسسات المحلية تسديد مستحقاتها بالدولار الأمريكى مثل المدارس والجامعات الخاصة والفنادق، وهذا كان أحد أهم الأسباب التى أدت إلى الضغط على الجنيه المصرى وما ترتب عليه من زيادة سعر صرف الدولار أخيراً ليصل إلى ٤,٢٥ جنيه وأدى إلى الإضرار بالاقتصاد المصرى، ومن أجل ذلك يجب على المسلمين الامتناع عن هذه الممارسات لأن فيها تقوية لأمريكا وإضعافا للاقتصاد المحلى.

فيأيها المسلمون إن المقاطعة لأمريكا وإسرائيل فريضة دينية وواجب وطنى من أجل إعلاء كلمة الله وردع العدوان على إخوانكم الفلسطينيين والانتهاك الصهيونى للمسجد الأقصى فهيا استجيبوا لله ورسوله ولنداء الوطنية.

الإسلام والآخر

من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟

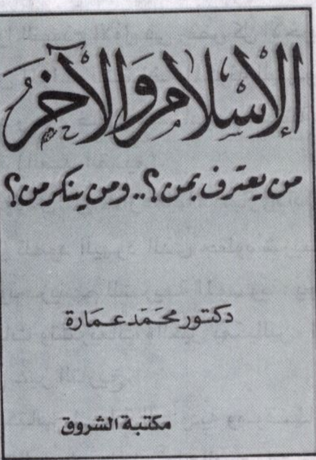

تأليف الأستاذ الدكتور: محمد عمارة
عرض: حسن أحمد خليل

يؤمن المسلمون بكل النبوات والرسالات.. ويعظمون كل الرسل والأنبياء.. بينما توراة اليهود وتلمودهم يدعوانهم إلى: «أكل الشعوب الأخرى»!! وإبادة غير اليهود!! وكذلك الغرب الذى يسعى إلى إزالة الإسلام من الوجود، فالنزعة المركزية للحضارة الغربية تهدف إلى تغريب العالم وإلغاء الآخر وصب العالم - بالعولمة - فى قالب النموذج الغربى. ومع كل هذا.. نرى الكَذَبَةَ من غلاة العلمانيين يتهمون المسلمين بالضيق بالآخر، ورفض التعايش مع الآخرين!!

ولتتبع علاقة الإسلام بالآخرين.. وموقف الآخرين من الإسلام - فى الثقافات الدينية والمدنية - كشفا للحقائق.. وفضحا للأكاذيب نعرض لهذا الكتاب:

يبدأ المؤلف كتابه موضحا أن المسلمين - وأحيانا الإسلام - متهمون فى الكثير من دوائر الفكر الغربى وكل دوائر الفكر العلمانى بالتعصب المقيت وإنكار الآخر، وتكفير الآخرين، ولقد شاعت وتشيع هذه الاتهامات على ألسنة وأقلام غلاة العلمانيين فى بلاد الإسلام.

لذا فإن تحديد المصطلحات والمفاهيم أمر ضرورى، لأنه الطريق الآمن لأى حوار حقيقى، بل ولاكتشاف مساحات الاتفاق والاختلاف بين مختلف الفرقاء، ومن المصطلحات التى تحتاج إلى تحديد لها مصطلح «التكفير» فإن كل مؤمن بشىء هو كافر بنقيض هذا الشىء وجاحد ومنكر له، فكل إنسان هو فى الحقيقة مؤمن وكافر فى ذات الوقت، فالكفر ليس سبَّة، ولا نقيصة بإطلاق وتعميم، ولكن المعيار هو: كفر بماذا؟، وكذلك الإيمان ليس بميزة وإيجابية بإطلاق وتعميم، وإنما العبرة فيه هى: الإيمان بماذا؟

فالمؤمن بأن عزيرا عبدالله كافر ومنكر لعقيدة أن عزيرا ابن الله والعكس صحيح، والمؤمن بالفاشية والنازية كافر بالديمقراطية والعكس صحيح.

العالم فى التصور الإسلامى:

فى هذا الفصل من الكتاب يعرض المؤلف للرؤية الإسلامية العقدية والفكرية التى ترى أن الأصل والسنة والقاعدة والقانون هو التنوع

والتمايز والاختلاف.. فالواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، ومن عدا وما عدا الذات الإلهية يقوم على التعدد والاختلاف.. ذلك هو القانون التكوينى الذى يسود ويحكم كل عوالم المخلوقات، فى الإنسان والحيوان والنبات والجماد وفى الأفكار والفلسفات والأيديولوجيات وفى الشرائع والملل والديانات.

فقد بدأت الإنسانية أمة - جماعة - واحدة ثم صارت شعوبا وقبائل، ليتم بينها التسابق والتدافع والتعارف، قال تعالى: **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** الحجرات: آية ١٣.

وهذه الصورة الإسلامية للوجود بعوالمه المختلفة، والقائمة على التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف والتعارف والتعايش لم تقف الموقف «النظرى» الذى يعترف بالآخر على مضض، والذى يضيق بواقع التعدد والاختلاف مع التسليم بوجوده، وإنما بلغت وتبلغ هذه الصورة الإسلامية فى التحضر والرقى - حد العدل والإنصاف لهذا الآخر، على اختلاف ألوان هذا الآخر.

الإسلام واليهودية: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟

فى هذا الفصل يتساءل المؤلف ماهى المقومات المكونة للثقافة اليهودية، وعلاقتهم بالآخر.

فالثقافة هى مفتاح شخصية الإنسان، فالثقافة الإسلامية هى مفتاح لشخصية المسلم، والثقافة العلمانية هى مفتاح لشخصية العلمانى، وكذا الثقافة اليهودية مفتاح لشخصية اليهودى.

ويوضح المؤلف أننا نخدع حين نتوهم أن اليهودية شىء والصهيونية شىء آخر، فاليهودى هو من يولد لأم يهودية، فقد حولوا الديانة اليهودية إلى ديانة عنصرية، جعلتهم يحولون اليهودية عن روح الدين الإلهى إلى «نسق فكرى عنصرى» جعلهم يرفضون الآخر، كل الآخر على مر تاريخهم الطويل.

ثم أخذوا يتغذون من هذه اليهودية التلمودية العنصرية؛ فغدوا النموذج الأول فى رفض كل الآخرين.

وقد عرض المؤلف للثقافة المكونة لليهودية الرافضة للآخر من خلال مصادرهم الممثلة فى التلمود والتوراة (العهد القديم).

حرمة الدم اليهودى.. وإهدار دماء الأغيار وإبادتهم:

فالناظر فى تلمود اليهود الذى جعلوه شريعتهم بعد نقضهم وتحريفهم للشريعة الموسوية؛ يجده طافحا بسياسات وتشريعات «الكيل بمكيالين» التى صارت ديدنهم عبر التاريخ.

فقد جاء بكتاب «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهودى» تأليف إسرائيل شاحاك حديث موثق عن حرمة الدم اليهودى: «فاليهودى الذى قتل غير اليهودى مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التى لا تعاقب عليها المحكمة، أما التسبب فى موت غير اليهودى بطريقة غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبدا.. وإذا وقع القاتل غير اليهودى تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه، سواء كانت الضحية يهودية أو لا، ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية، واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب».

علاج المريض اليهودى، وتحريم علاج المريض غير اليهودى:

فمن جوانب المقومات الثقافية للشخصية اليهودية فى تعاملها مع الآخر يوضح المؤلف أن الشريعة التلمودية تقول: «لا تهمل دم أخيك، وغير اليهودى ليس أخا» لذلك يحظر على الطبيب اليهودى خصوصا معالجة غير اليهودى، فعلاجه حرام، حتى لو كان مقابل أجر، ولكن يمكن معالجته بأجر إذا خشى عداوته، ويحرم على الطبيب اليهودى القيام بذلك دون أجر.

العفة مع المرأة اليهودية.. والزنا بنساء الأغيار:

ففى دائرة المعارف التلمودية: «من يقيم علاقة جنسية مع زوجة غير اليهودى لا يتعرض لعقوبة الموت؛ لأنه مكتوب «زوجة أخيك لا زوجة الغريب، فجميع غير اليهوديات عاهرات».

تحريم سرقة اليهودى واستحلال سرقة الأغيار:

فالسطو محظور بشدة إذا كانت الضحية يهودية، أما السطو على غير اليهود فغير محظور.

وإذا عثر اليهودى على شىء يحتمل أن يكون صاحبه يهوديا فإنه يحض على بذل جهد كبير لإعادته والإعلان عنه، خلافا لذلك يجيز التلمود والمراجع الحاخامية المبكرة لليهودى الذى يعثر على شىء فقده غير اليهودى أن يحتفظ به لنفسه بل ويمنعه فعليا من إعادته لصاحبه.

تحريم الربا بين اليهودى ووجوبه عند إقراض الأغيار:

فتقديم قرض بلا فائدة ليهودى يعتبر عملا من أعمال الإحسان، ولكن فى حالة المقترض غير اليهودى هناك إلزام باستخلاص أكبر قدر ممكن من الفائدة.

تحريم ولاية الأغيار على اليهود:

حسب الهالاكاه - الشريعة - يجب ألا يسمح اليهود - إذا كان باستطاعتهم - لغير اليهودى بولاية أى منصب يمارس فيه سلطة مهما كانت ضئيلة - على اليهود.

لعن الأغيار؛ لأنهم كلاب، والدعاء عليهم بالدمار

فإذا شاهد اليهودى المتدين حشدا من اليهود؛ ينبغى أن يشكر الرب، وأما إذا شاهد حشدا من غير اليهود فينبغى أن يلعنهم، ويتعلم اليهودى منذ شبابه، ومن خلال دراساته المقدسة، أن غير اليهود يقارنون بالكلاب، وأن الثناء عليهم خطيئة، لدرجة أن الكاتب اليهودى «عجنون» من استوكهولم بعد عودته وتسلمه جائزة نوبل فى الآداب أثنى فى مقابلة مع راديو إسرائيل على الأكاديمية السويدية، لكنه سارع للقول: «لم أنس بأنه لا يجوز الثناء على الأغيار، ولكن يوجد الآن سبب خاص لثنائى عليهم الآن».

الإسلام والنصرانية: من يعترف بمن؟.. ومن ينكر من؟

وفى هذا الفصل يستعرض المؤلف موقف الإسلام من الديانة المسيحية موضحا موقف الرسول ﷺ من نصارى نجران، وعموم المتدينين بالمسيحية المتمثل فى قوله ﷺ: **«لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين».**

والرسول ﷺ تحدث عن عيسى عليه السلام فقال: **«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وليس بيننا نبى».**

والإسلام لا يجبر أحدا ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام، قال الله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** العنكبوت: آية ٤٦.

لقد جعل الإسلام «الآخر النصرانى» جزءا من «الذات» ذات الأمة الواحدة والرعية المتحدة فى حقوق وواجبات المواطن مع حرية التعدد والاختلاف فى الدين دون أدنى تمييز أو إكراه.

ثم استعرض المؤلف فى ذات الفصل كيف أمّن عمرو بن العاص البطرك «بنيامين» واستدعاه واستقبله وأكرمه وأعاده إلى كرسى كنيسته معززا مؤيدا.

ثم يوضح المؤلف أن الحضارة الغربية حولت الديانة النصرانية عن طبيعتها المسالمة، وأخرجتها عن رسالتها التى وقفت عند «خلاص الروح ومملكة السماء، وطوعتها إلى النزعة «الصراعية الدنيوية» التى سادت نظريات وممارسات تلك الحضارة المادية.

وقد اختتم المؤلف كتابه بطائفة من الوثائق والمعاهدات التى أقرها الإسلام مع أهل الكتاب وهى تنطق بما لا يدع مجالا للشك بأن الإسلام قبل الآخر ورعاه وأعطاه من الحقوق ما للمسلمين.

فما على الذين يريدون المقارنة بين صورة الآخر فى الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية والوجدان الإسلامى - ليدركوا هول البون الشاسع والتناقض الفاحش بين هذه الصورة وبين صورة الإسلام والمسلمين فى ثقافة الآخر غير المسلم - ما على هؤلاء إلا أن ينظروا إلى صورة الآخر فى ثقافة الإسلام والمسلمين.

من غرائب الخُلُق الصابر

مُثل تاريخية نادرة

- ١ -

أدى عمر بن الخطاب صلاة الفجر ذات مرة ثم تطلع إلى مَن وراءه من الناس فوجد المصلى حاشدا يموج بالراكع والساجد والمسبح والمرتل، ونظر غير بعيد فلمح متمم بن نويرة يجلس فى زاوية هادئة وقد وضع رأسه بين يديه كمن يفكر فى شجن مرير، فنهض أمير المؤمنين من مكانه ودنا منه، فحياه فى تواضع وأخذ يسأله عن نفسه ومعاشه وبيته، واستنشده آخر ما قال فى رثاء أخيه مالك، فاسترسل الشاعر فى إبداعه، وعمر الأديب الراوية يهتز للمعنى الجيد، ويهش للتعبير الصادق، ويلمس بإحساسه الأدبى ما وراء هذه الزفرات المنظومة من مشاعر لاهية تذوب أسى وتغتلى اضطراما، ثم انحدرت دمعتان ساخنتان على خد الخليفة العادل، فتطلع إليه الشاعر وسأل متعجبا: «ما يبكيك ياأمير المؤمنين؟! فقال له عمر فى صوت تخنقه العبرة وتعوقه الزفرة.. وددت أنى كنت شاعرا فأرثى أخى زيد بن الخطاب.

د. محمد رجب البيومى

وكنا كندمانى جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا

على طول وصل لم نبت ليلة معا

فتطلع إليه متمم متحيرا ثم أسعفه خاطره المؤمن:

هنيئا لك ياأمير المؤمنين أن رزق أخوك الشهادة فى سبيل الله فلقى الجنة راضيا مرضيا، ولو مات أخى مالك على مثل ما مات عليه زيد بن الخطاب لما رثيته ببيت واحد، إذ راح ينعم برضوان الله.

فانطلق بالبشر وجه الفاروق سريعا وزال عنه ما جلله من كآبة الشجن، وصاح متهللا: والله ما عزانى أحد بمثل ما عزانى متمم، فالحمد لله رب العالمين.

الحقيقة الغائبة

هذه القصة الصغيرة تحمل من ورائها معنى كبيرا، فعمر الصارم الجاد الذى كان يستجيب لعاطفته الرحيمة حين تهب عليه لوافح الذكرى القاسية فليستشعر لهيب الحزن يندلع فى صدره ثم يستروح برد التأسى حين يجلس إلى شاعر مفجوع فيسمعه أصدق العواطف الحزينة فى

الرثاء، وبريق بين يديه عبرات الشجى الضارع، حزينة النغم، دامية الرنين، ويود لو كان شاعرا يفصح عن ذاته لينطلق أواره الحبيس فى قافية مجلجلة ذات تصوير وتمثيل، ولكنه يفاجأ بحقيقة سارة لا يدرى كيف غابت عنه على وضوحها البارز، وصدقها الأكيد، فأخوه الشهيد ينعم برضوان من الله أكبر، ومهما انسدل بينهما حجاب الغيب الآن فسيأتى يوم يرفع فيه الستار، وسيتطلع الأخ الصابر ليجد أخاه مع الذين قتلوا فى سبيل الله حيا يرزق! وإذن ففيم الأسف الجازع والشجى المرير!! إن هذا المعنى المؤمن يتراءى له فجأة فينزل على صدره المحروم نزول الندى الماطر على الزهرة الملتاحة، فتتبسط أساريره بعد انقباض، ويصيح صوته منطلقا بعد احتباس: ما عزانى أحد بمثل ما عزانى متمم! الحمد لله رب العالمين!

اللقاء القريب

ليس الفاروق وحيدا فى بابه، فنحن نشاهد عشرات المصابين، تفجؤهم الكارثة الصاعقة يطيش لها اللب الحازم، ويتزلزل تحتها الفؤاد الراسخ، ولكنهم يثوبون إلى نفوسهم المؤمنة، فيعلمون أن اللقاء قريب، ويرون فى أحلامهم الهادئة أطياف الحبيب النازح يفتر ثغره، ويشرق جبينه، فيتأكدون أن قبره روضة من رياض الجنة، وأنه فارق موطن البلاء فى الحياة ومنعق الشقاء فى الدنيا، لتهدأ روحه الناعمة بين أشجار وحدائق وحور وولدان، ثم يرسلون إلى روحه هدايا عبقة تفوح فى آى من الذكر الحكيم، ولايزالون كذلك يرونه فى الحلم ليلا ويستمطرون عليه الرحمة نهارا، فهو القريب البعيد، والغائب الحاضر، ولن يصعب رحيل إنسان يبعده القبر ويدنيه الإيمان!

حين يتغلغل الإيمان فى النفوس تهون المصائب ويتبدد الشجى المرير

لن أقف عند هذا الحد، فأقرر أن الإيمان الصادق المخلص يهون المصيبة عند وقوعها، بل أتجاوز ذلك فأقرر أن من مزايا هذا الإيمان المخلص أنه يهون المصيبة على نفس الصابر الخاشع قبل أن تقع، فهو يوطن نفسه بادئ ذى بدء على احتمال المكروه وتوقعه فى دنيا محفوفة بالمكاره الكارثة، حتى إذا حانت ساعته المحتومة صادفت قناة صلبة تهب عليها الريح من كل مكان، فما تقدر أن تزحزحها قليلا عن مطمأنها الثابت فى مستقر الأرض، وإذ ذاك يصير الكارث المذهل رغم فداحته القاصمة مما لايكاد يؤبه به من الأشياء!

ـ ٢ ـ

ظمأ الآخرة من يرويه؟

قال محمد بن خلف: كان لإبراهيم الحربى ابن، وكان له احدى عشرة سنة، قد حفظ القرآن، ولقنته من الفقه شيئا كثيرا، فمات، فجئت أُعزِّيه، فقال لى: كنت أشتهى موته، قلت: يا أبا اسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبيك وقد نبه، ولقنته الفقه والحديث! فأسند رأسه إلى

الحائط وأطرق قليلا ثم قال: لقد رأيت منذ عام فى النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم القلال فيها الماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم حارا شديد الحرارة، فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، فنظر إلىّ ثم قال: لا، لست أبى فسألت: أى شىء أنتم؟ فقال قائلهم: نحن الأطفال الذين متنا فى الدنيا وخلفنا آباءنا، نقوم اليوم فنستقبلهم بالماء، قال إبراهيم: فلهذا تمنيت موت الغلام!!

المعجزة النادرة قلبت الخنساء من نائحة جزوع إلى واثقة صبور

رجاء المؤمن وجزع الجاحد

ونحن نتساءل فى ضوء هذه الحادثة: كم يكون جزع الوالد على ولده الذكى النجيب، إذا بدت عليه مخايل العبقرية فى سن مبكرة، فحفظ القرآن، وروى الحديث، ودرس الفقه ثم تخطفه الموت من بين أحضان والده، وقد تعهد عوده الناضر بالرى حتى كاد أن يورق، كم يكون جزع هذا الوالد إذا لم يجر الإيمان بالله مجرى الدم فى عروقه، وكم تسود الحياة فى عينه فلا يرى فى ضياء الشمس، ونور القمر بصيصا من شعاع، ولكن الله قد لطف به، فرزقه الأمل وهو شىء كثير.

تصور هذه الحادثة بخيالك، ثم امض فى سبحاتك إلى إنسان جاحد بالله، منكر للغيب، كافر ودع الموت يفجعه فى نجل عزيز، أو أخ حبيب، وقل لى بربك: كيف يستشعر الراحة فى مصابه، ولا أمل عنده فى لقاء آجل، ولا ثقة لديه فى رب قادر، إنه من شجونه الدامسة فى ليل مطبق، بطىء الكواكب، وإن اليأس الجهم ليضاعف عليه نكبته، ويرميه فى أمواج من السخط والقلق والفجيعة، وإذا كنا نعرف أنه لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة، فلا حياة هادئة لهذا التعس المعذب، وقد فقد الأمل وسدت بعينيه منافذ الرجاء!

إن كنت فى شك من ثمرة الإيمان فأخذت تنكر علاجه النفسى، ودواءه الروحى، وتظن موضوعنا هذا كلمات تنمق، وخيالات ترص! إن كنت فى شك مما أؤكد من القول، فسأضع أمامك صورة ناطقة لشخصية مشتهرة، ذاع حديثها فى الناس، وتناقل الدارسون أخبارها المتواترة جيلا بعد جيل، ثم ضرب بها المثل السائر، هذه الشخصية تنهض دليلا صادق البرهان لما نقول، وأنت أمام تاريخها المشهور وشعرها الذائع لا تملك أن تشك فيما نقذف به من دليل.

-٣-

الشاعرة الملتاعة

لقد فقدت الخنساء الشاعرة الودود أخاها صخرا فى الجاهلية، فلم تتحمل كارثة الموت بفقده، واندفعت تصل الليل بالنهار فى نواح متصل، وشعر دامع، ثم ارتدت ثياب الحداد، فآلت على نفسها أن تظل عالقة بها، ما تردد فى صدرها نفس، وكانت ذات إحساس شاعر، فليست ممن تهون لدى نفوسهن كارثة تحيق، بل تتغلغل فى

هيهات بين ظلام يطبق على صدر جاحد بالله ونور يسطع فى قلب مؤمن صادق

الأعماق، غائرة اللذع، مشبوبة الالتياع، فهى تذكر فقيدها النازح عند طلوع الشمس وعند غروبها، وتتلمس العزاء لدى المفجوعات من أترابها، مع ما تعتقد فى قراراتها من بعد الفارق الشاسع بين مصاب ومصاب.

وما يبكون مثل أخى ولكن

أعزى النفس عنه بالتأسى

هذا الأخ الفقيد، كان على ما تروى المأثورات، بارا بأخته، فهو يؤثرها على بيته وأهله، ولم يكن ذلك مستغربا من بدوى شهم يرعى الأحدوثة ويهتز للحمد، وقد وجد من معارضة زوجته ملاما جعله دبر أذنه، ويظهر أن الأريحية كانت طبعه الأصيل فأشعار الخنساء فيه تضعه موضع البارز، فهو صخر الندى، كثير الرماد، نحار إذا تشتو البادية:

حمال ألوية هباط أودية

شهاد أندية للجيش جرار

لا جرم، مثل هذا الرجل الشهم كان يروع الغريب بمآثره، ويبده البعيد بأياديه، فما ظنك بأخت قريبة تسمع ثناء الناس عليه، وتزهى به أمام زوجها وأولادها، وترى الضيفان يؤمون ساحته فى السلم، والشجعان يحتمون برايته فى الحرب، فمن أى نواحيه جثته وجدت الفتوة الماجدة، والمروءة المهتزة، والشمم الرفيع.

قد يقول قائل: إننا نعمد فى أوصاف صخر على ما ذكرته أخته فى معرض الرثاء، ولعلها اندفعت فى مغالاة عاطفية تجعل السفح قمة والسراب ماء، ونحن نقول: إن الشاعرة تعرضت إلى فجيعة أخرى فى أخ شقيق هو معاوية، فرثته رثاء معقولا دون أن تتزيد، فلو كان ديدنها المبالغة لوضحت فى رثاء الشقيق قبل الأخ غير الشقيق!

ثم إن الشعر العربى لعهدها يسلك مسلك الإغراق، بل كان فى أكثره فطريا يعكس مايجول فى النفس، وكفى، وقد تناول الرواة حديثها عن صخر، فما شفعوه بنقد، وهى بعد فنانة لها منافسون أقوياء حراص على أن يرتفعوا بأشعارهم عن مستواها دون أن يرزقوا عاطفتها الثائرة، فكان أن غلبت الفحول!

التحول العظيم

هذه الشاعرة الجازعة تعرضت فى شيخوختها الواهنة إلى نكبة أكثر هولا، وأعظم فجيعة من نكبتها فى صخر، وكان الظن بها أن تصوغ قصائد الرثاء لاهبة كاوية، فالنكبة نكبة أربعة من أولادها المغاوير، كانوا فى معية الشباب، وعنفوان الرجولة ثم تخطفتهم السيوف الكافرة فى يوم واحد، وهى نكبة أكبر من أن توصف، ولكن ظروفها الزمنية جعلتها محتملة، لأن الخنساء المؤمنة فى الإسلام غير الخنساء المشركة فى الجاهلية وسنعرض من أقوالها ما يجلو هذه الحقيقة، لتكون بروعتها المؤثرة أثرا طيبا من آثار اليقين المخلص، وثمرة شهية من ثمار الإيمان.

لقد زحفت الجيوش الإسلامية لحرب الفرس فى القادسية ونهض الشباب من أشبال العرب

وأبطال المسلمين يؤدون ضريبة الدين، فى فتح خالد، يزلزل عروش البغى ويعلى منار العدالة والحرية والمساواة ورأت الشاعرة المؤمنة أشبالها الغضاريف يتسابقون إلى النصر مستبشرين، فهزتها أريحية البطولة، وسرها أن تسهم بأفلاذها الأربعة فى نصرة دين عزيز يجمع الناس على المودة والتعاطف والإيمان، ثم دفعتها لوذعية الأدب وعبقرية الذكاء وجلال اليقين أن تخطبهم خطبة جهيرة فتقول: أى بنى: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، فاعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية، فاصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالكرامة والغنم فى دار الخلد والقيامة.

ثم يمضون إلى القتال.. وتمر الأيام فتتلمس الأنباء متطلعة، فيعود الظافرون إلى الخنساء فيخبرونها بانتصار الإسلام واستشهاد جميع الأبناء ما بقى منهم أحد، فترد فى صوت خافت تقطعه الشيخوخة الواهنة: **(الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وانى لأرجو أن أجتمع وإياهم فى مستقر رحمته)** ثم لا تزيد.

الإيمان يصنع المعجزات

أى معجزة قلبت الخنساء من نائحة جزوع إلى واثقة صبور. هل كان خطب الأخ مهما عظمت به الكارثة وتضاعف فيه الشجن، أكثر فداحة من نازل محيق يعصف بأربعة من الشباب البسلاء أرضعتهم دماءها، وأطعمتهم حياتها، ومنحتهم رجاءها، ثم غابوا مستشهدين، وتركوها فريدة وحيدة، تجالد الشيخوخة البائسة، والعمى المظلم، والضعف الراعش، ثم تتلمس النصير فلا يعين.

لم يكن المصاب القديم أفدح من الرزء الطارئ دون جدال، ولكنه صحب اليأس وجافاه الأمل، فبدت كارثته على احتمالها شديدة لا تطاق، أما مصاب الأبناء فقد هونه الإيمان ويسره الرجاء، فرجعت الأم إلى دينها القوى، فأخبرها أن اللقاء قريب، وأن أفلاذها الأبطال فرحون بما آتاهم الله من فضله، ليستبشرون بنعمة من الله، ورأتهم بإيمانها الشاعر يطيرون فى آفاق الفردوس، تعبق دماؤهم الشذية بأريج الاستشهاد، وتتألق أسرتهم الوضيئة ببريق المثوبة، وإذ ذاك قالت فى ثقة المؤمن وعزيمة الأمل: **(الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وانى لأرجو أن أجتمع بهم فى مستقر رحمته).**

اليأس الجم يضاعف نكبة المحزون ويرميه فى أمواج السخط والفجيعة

إن بيت القصيد فى هذه العبارة هو كلمة (أرجو) وبها وحدها صار البعد قربا، والقبر جنة، والمحنة منحة، وهى وحدها التى جعلت إبراهيم الحربى يحلم بالحوض المشهود يوم يقوم الناس لرب العالمين، كما أهابت بالفاروق فصاح: (والله ما عزانى أحد بمثل ما عزانى متمم).

فيا لحلاوة الرجاء، ويا لعذوبة الآمال.

الحضارة والعلوم

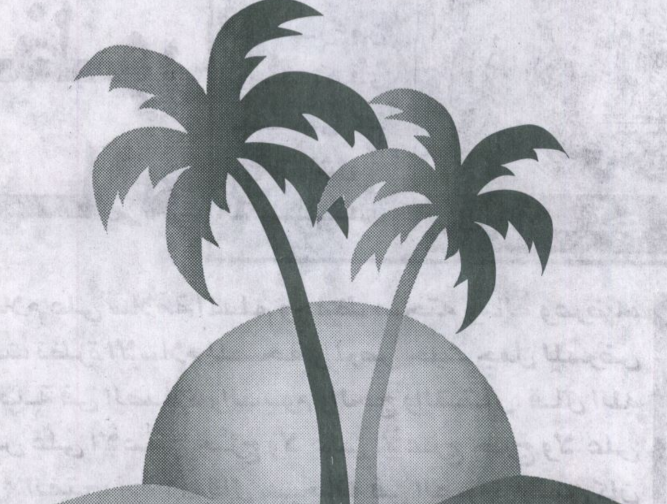

- الصحة والمرض فى منظور الإسلام
- الشمس فى القرآن الكريم

الصحة والمرض فى منظور الإسلام

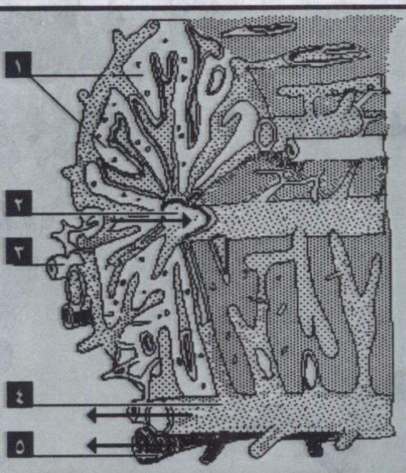

١ـ خلايا الكبد ٢ـ الوريد المركزى، ٣ـ القناة الصفراوية بين الأفصاص، ٤ـ فرع من الوريد الكبدى البابى، ٥ـ فرع من الشريان الكبدى

التركيب المجهرى للكبد

أ. د/ عبدالمعبود عمارة

حرص الإسلام على سلامة المسلم وحفظ صحته وماله وعرضه، ومن ذلك كانت نظرة الإسلام للصحة والمرض حيث جعل للمرض أحكاما خاصة فى الصلاة والصوم والحج والقتال، قال الله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ الفتح: آية ٦، وقال سبحانه فى الصوم: ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ البقرة: آية ١٨٤.

وفى الحج: **﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾** البقرة: آية ١٩٦.

وفى الجهاد يقول الله تعالى: **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون من ينفقون حرج﴾** التوبة: آية ٩١.

وحرم الإسلام كل ما يفسد صحة الإنسان أو بيئته، فحرم الأكل المحرمة كالميتة والدم ولحم الخنزير وحرم كل مسكر ومفتر كالخمر والمخدرات والتدخين، كما حرم الممارسات الجنسية غير الشرعية كالزنا.

كما وجهنا الإسلام إلى عدم الإسراف فى الحلال ولا نملأ بطوننا بالأطعمة التى تفسد الصحة **«ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه»**.

ومن نعمة الله تعالى أنه خلق النوم راحة للأبدان، فقال الله تعالى: **﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾** النبأ: آية ٩. أى أن النوم جعله الله تعالى راحة للأبدان وقاطعا للأشغال ومشقة العمل بالنهار وهذا من نعم الله تعالى على الإنسان، وجعل الله القرآن الكريم شفاء للقلوب المؤمنة **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾** فصلت: آية ٤٤، ذلك لأن الإنسان روح وجسد، وسلامة الروح تنعكس على سلامة الجسد، فكل منهما مكمل للآخر.

فالصحة والمرض، كما قال الدكتور عبدالقادر أبو غدة فى المسلم المعاصر العدد ٣٥ الكويت «إن الصحة والمرض ليسا من خصائص الأجسام العضوية، بل هما مما يطرأ على النفوس والأرواح أيضا انطلاقا من أن الإنسان ليس جثة ناطقة فحسب، بل هو نفس عاقلة».

وللإسلام أثر واضح فى سبيل الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع، ولقد توفرت النصوص الصحيحة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ تتناول الصحة والمرض، مما كان له أعظم الأثر فى إحياء الطب الحديث. وقد ترجم الكثير إلى لغات أخرى مما أفاد الكثيرين فى مشارق الأرض ومغاربها.

من ذلك نرى أن الإسلام تناول صحة الإنسان ومرضه روحا وجسدا، حتى الحياة الجنسية تعرض لها كجزء هام من حياة الإنسان ووضع لها آدابها والهدف من ورائها وربط الإسلام بين الصحة والمرض فى العبادات والطهارة وقواعد الغذاء والشراب والنوم وإماطة الأذى عن الطريق والحفاظ على البيئة من التلوث، كالتبول فى الماء مثلا.

ولنأخذ مثالا واحدا للأمراض التى تصيب الإنسان حينما يتبول فى الماء، وهى ظاهرة نجدها فى بعض القرى حين يقضى الفلاحون حاجتهم فى الماء. والنتيجة كما يعرفها الجميع وتتناولها أجهزة الإعلام كل يوم هى الإصابة بالبلهارسيا التى تحطم الكبد تحطيما وتدمره تدميرا، وتنقل الإنسان، وهو فى سن الشباب، من الصحة إلى المرض، فيصبح عالة على غيره فى الطعام والشراب والعلاج. وكم من العشرات يموتون كل يوم نتيجة الفشل الكبدى بعد أن يكونوا قد أضاعوا أجمل أيام العمر فى المرض والعجز. ومن الناحية الاقتصادية فهى خسارة قومية رهيبة، حيث تكلف هذه الأمراض ميزانية الدولة ملايين الجنيهات كل عام بجانب فقد القوة المنتجة من الشباب.

وحرصا على تمام الفائدة من هذا المقال فلنشر إلى أحد أمراض تلوث البيئة، وهو تليف الكبد، فالكبد عضو ملحق بالجهاز الهضمى ويقع فى الجهة اليمنى من أعلى البطن تحت الحجاب الحاجز وتوجد به الحوصلة المرارية، وتتلخص وظائفه فى:

إن الكبد هو مصنع الجسم الكيميائى، وهو يقوم بالمئات من الوظائف الحيوية المعقدة اللازمة للحياة والنمو، وإمداد الجسم بالطاقة اللازمة بصورة سريعة وحسب الحاجة، وتكوين بروتينات الدم والتى إن قلت إلى الحد المرضى تورم جسم المريض. كما يساعد الكبد فى هضم الدهون وذلك بإفراز مادة الصفراء. ويعتبر الكبد أهم الأعضاء التى تخلص الجسم من السموم التى تدخل إلى جسم الإنسان مع الأطعمة أو الأدوية أو غيرها، ويقوم الكبد بتخزين السكريات لوقت الحاجة إليها، وكذلك تخزين الفيتامينات والمعادن والحديد، ويحافظ الكبد على توازن الهرمونات بالجسم، وإفراز المواد التى تساعد الجهاز المناعى فى مقاومة الأمراض.

ويعتبر الكبد من الأعضاء الصامدة التى تتحمل ولا تشكو أو تتأثر إلا بعد أن يتحطم معظمه بالمرض كالبلهارسيا أو فيروسات الكبد المعروفة وهما فيروسا (سى) و(بى)، أو الكحوليات كالخمر. والمعروف أنها كلها أمراض تأتى من التلوث سواء تلوث ماء الترع أو تلوث البيئة.

والإصابة بفيروس (سى) أو (بى) تأتى عن طريق الحقن الملوثة أو نقل الدم الملوث، أو أحد مشتقاته من مريض مصاب بالفيروس، أو عن طريق وسائل الإدمان، ولا تنتقل العدوى عن طريق المعاملة اليومية، مثل دورات المياه أو أدوات المائدة أو الملامسة العادية كالسلام باليد مثلا.

أعراض الإصابة بمرض الكبد

يبدأ المريض بالإحساس بالتعب السريع والضعف عند مزاولة نشاطه اليومى مع فقد الشهية والقىء أو الميل إليه ونقص الوزن والهزال. ومع ارتفاع نسبة الصفراء فى الدم فإن بياض العين يصفر وقد يميل المريض إلى الحكة الجلدية مع تورم فى الأطراف السفلى وتجمع مائى فى البطن (الاستسقاء).

ويعانى المريض من ألم من أعلى جدار البطن من الناحية اليمنى، وضعف التركيز، وقد يعانى من رعشة فى اليدين وارتفاع فى درجة الحرارة ويصاب بالأنيميا.

ومع تليف الكبد وتضخم الطحال قد يحدث قىء دموى (دوالى المرىء)، وقد يصاب المريض بالغيبوبة الكبدية.

ويجب عند الشعور بهذه الأعراض، أو بعضها، استشارة الطبيب والذى يستطيع أن يحدد نوع المرض وحدته وطرق علاجه تبعا للتحاليل والأشعات وعينة الكبد وعمل المناظير على المرىء والشرج.

ويجب البعد كل البعد عن الوصفات البلدية والتى يقوم بها العطارون أو من على شاكلتهم، والبعد عن نصائح المرضى لبعضهم بحجة أن فلانا قد أخذ هذا الدواء وشفى. فلكل داء دواء فعلاج البلهارسيا يختلف تماما عن علاج الفيروسات.

وقد يسأل سائل عن الوقاية من أمراض الكبد:

والإجابة: هى فى اتباع المنهج الإسلامى فى أسلوبنا اليومى للحياة:

أولا: تجنب قضاء الحاجة فى المياه وخاصة مياه الترع والمصارف، وأن يكون كل واحد منا حارسا أمينا مرشدا لأبنائه وذويه.

ثانيا: علاج المرضى بالبلهارسيا فى وحدات وزارة الصحة المنتشرة فى ربوع مصر باعتبارهم المصدر الرئيسى للعدوى، والكشف الدورى على الفلاحين وأولادهم.

ثالثا: عدم استخدام الحقن «السرنجات» المستخدمة قبل ذلك مهما كان السبب، وإلقاء المستخدم منها فى مكان أمين بعيدا عن المواطنين، وذلك حتى لا يتعرض أحد لوخزة الإبرة الموجودة فى المحقن، فقد تحمل معها خطر الإصابة بالفيروسات الكبدية.

ويجب عدم استخدام أدوات الحلاقة الخاصة بالغير، ويجب استخدام شفرة خاصة بكل شخص عند الحلاقين، والاهتمام بالتعقيم الطبى المعروف لدى أطباء الأسنان وغيرهم، وكذا عدم استخدام فرش الأسنان ومقصات الأظافر الخاصة بالغير.

كما يجب فحص المتبرعين بالدم ومشتقاته والتأكد من خلوهم من فيروسات الكبد والإيدز، كما يجب محاربة الإدمان والمخدرات والبغاء.

رابعا: العرض على الطبيب المختص عند ظهور أى عرض من أعراض مرض الكبد والراحة التامة أثناء العلاج، وعدم تعاطى أى دواء مهما كان إلا بإذن الطبيب، ويجب أخذ الحذر من نزلات البرد وتجنب مخالطة المرضى بأمراض معدية، والابتعاد عن مصادر التلوث بالمواد المؤثرة على الكبد كالمبيدات الزراعية والمبيدات الحشرية لأن التعرض لها يزيد من حدة مرض الكبد. كما يجب أن يكون غذاء مريض الكبد غذاء خفيفا سهل الهضم ولا يحتوى على المسبكات والتوابل والحوادق، ويجب أن يكون الأكل خاليا من ملح الطعام فى الحالات التى فيها فشل كبدى لا قدر الله.

نسأل الله تعالى أن يمتعنا جميعا بالصحة وأن يقينا شر الأمراض لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ويقول الله تعالى: **﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** القصص: آية ٢٦.

الشمس في القرآن الكريم

د. حسنى حمدان

على من يريد أن يعرف الحقائق المتعلقة بالشمس أن يبدأ بالقرآن الكريم، ففى نحو من ٣٢ آية من آيات القرآن الكريم ذكرت كلمة الشمس تجد حقائق يتوقف عندها أولو الألباب، ويضاف إليها الآيات التى تتحدث عن الضوء والنور، وأيضا الآيات التى تذكر النجم والنجوم، فالشمس خلق عظيم من خلق الله عز وجل أقسم بها تبارك وتعالى فى قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ الشمس: آية ١، وأقسم الحق بالنهار الذى يجلى تلك الشمس كما سوف يتجلى الإعجاز العلمى بكيفية جلائها فى موضعه فى قوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ الشمس: آية ٣. ومن أراد أن يقيم الحجة البالغة على المتألهين فى الأرض فليتبع منطق إبراهيم عليه السلام.

فالله وحده هو الذى يأتى بالشمس من المشرق ولن يستطيع النمرود ولا غيره الإتيان بها من المغرب، ورب العزة سوف يأتى بها من المغرب كعلامة من العلامات الكبرى للساعة، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين**﴾ البقرة: آية ٢٥٨.

ولسيدنا إبراهيم تجلى ملكوت السموات من كوكب وقمر وشمس جعلته البراء والولاء البراء مما يعبد قومه من دون الله والولاء للذى فطر السموات والأرض، براء من الشرك والمشركين وولاء للخالق العظيم، ولا عجب كما سنعرف فيما بعد أن تلك الإرادة فى ملكوت السماوات والأرض كانت تصف خسوفا كليا للشمس كما يعتقد بعض علماء اليوم.

ومن الحقائق المذهلة للعلم دورتا الشمس والقمر فهما بحسبان حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا**﴾ الأنعام: آية ٩٦، وقوله تعالى: ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ الرحمن: آية ٥.

وهذا ما سوف نفصله بمشيئة الله عند الحديث عن تعيين أوائل الشهور العربية باستعمال الحساب.

ومن الحقائق القرآنية عن الشمس حقيقة جريان الشمس لمستقر لها، وإن كان بإمكان العلم أن يثبت للشمس جريا فإن مستقرها أمر غيبى لايعلمه إلا الله.

كما أن الشمس دليل على الظل، والشمس مسخرة بأمر الله تجرى كما تجرى جميع الأجرام فى فلكها لأجل مسمى وبصورة دائبة، وهى مصدر الضياء على أرضنا وقمرنا وبقية الكواكب التى تتبعها فمنها الضياء ويجلب بها النور. إنها سراج وهاج، وفى آية من آيات الله نجد الشمس تزاور عن كهف أهل الكهف كما فى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله﴾** الكهف: آية ١٧.

ومع أن الشمس سراج ومع أنها مصدر الطاقة اللازمة للحياة على الأرض ومع روعتها وجمالها فسوف يأتى عليها وقت يخبو ضوؤها وتكور على نفسها وتجمع مع القمر وتطمس مع النجوم وتصبح أثرا بعد عين ويسير عليها ما يسير على كل الخلائق فتنتهى إلى الفناء والزوال.. وصدق الحق تبارك وتعالى: **﴿لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه﴾** القصص: آية ٨٨.

ونخلص إلى أن الشمس مسخرة وتجرى لأجل مسمى وتسبح فى فلكها بحسبان وهى مصدر الضياء وهى دليل على مد الظل وهى إلى زوال.

والشمس نجم كتلته ٣٣٣,٤٠٠ كتلة الأرض، وحجمها أكثر من مليون كحجم الأرض.

فتتكون من ٧٠٪ من كتلتها من غاز الأيدروجين، ٢٨٢٪ هليوم، ٢٪ عناصر أخرى، ودرجة حرارة سطحها الخارجى ٦٠٠٠ درجة مئوية، بينما درجة حرارة مركزها ٢٠ مليون درجة مئوية، وقلبها مفاعل اندماجى تندمج فيه ذرات الأيدروجين فتحوله إلى هليوم وتنطلق طاقة من سطحها الخارجى مقدارها ٥٨٠,٠٠٠ مليون مليون مليون حصان.

ويقول الدكتور/ منصور حسب النبى الثمن الذى يلزم علينا نحن سكان الأرض أن ندفعه نظير ما تمدنا به الشمس من ضوء وحرارة بحوالى مليون مليون جنيه فى الساعة الواحدة وصدق الله حيث يقول: **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** النحل: آية ١٨.

ولنقف وقفات نتأمل فيها إعجاز القرآن الكريم حول الشمس.

الوقفة الأولى: ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾، وعن العطاءات العلمية لكلمة **﴿وهاجا﴾** يذكر الدكتور/ محمد الحسينى إسماعيل فى كتابه الرائع الدين والعلم وقصور الفكر البشرى بصفحة ٤٦٦ أن المولى عزوجل «يشبه الشمس بلهب السراج المضىء والمتقد الوهاج. وكلمة «وهاجا» تعنى دورية الحدث، وهى كلمة جامعة تشمل كل معانى ظاهرة النشاط الشمسى التى تشمل الظواهر الدورية وغير الدورية والظواهر الدورية هى:

١ - البقع الشمسية ودورتها مرة كل ١١ سنة.

٢ - مغناطيسية البقع الشمسية، ودورتها كل ٢٢ سنة.

٣ - نبض الشمس وهو نبض يشبه التنفس ويحدث لسطح الشمس بمعدل مرة كل ساعتين و٤٠ دقيقة، بسرعة قدرها ٦ كيلومترات فى الساعة وفى كل مرة يزيد قطر الشمس (البالغ ١,٣٩٢,٠٠٠ كيلو متر) بشكل دورى بمقدار ١٠ كيلو مترات تقريبا، ثم يعود إلى ما كان عليه مع نهاية النبضة.

أما عن الظواهر غير الدورية فهى:

١ - **الانفجارات الشمسية** والتى يصل ارتفاعها

إلى مسافة تبلغ (٨٠٠,٠٠٠) كيلو متر عن سطح الشمس.

٢ ـ **النافورات الشمسية:** والتى تدفع بالمواد المنصهرة من سطح الشمس إلى ارتفاعات قد تصل إلى ٤٠٠٠ كيلو متر فى خلال ١٠ دقائق.

كما توجد ظاهرة شمسية أخرى يمكن أن تندرج تحت كلمة «وهاجا» أيضا وهى ظاهرة الهالة أو الاكليل الشمسى.

ولنا وقفة عن الإعجاز القرآنى حول العلاقة بين نبض الشمس وتنفس الصبح بعد عرض موجز لأداء المفسرين حول قوله تعالى: **﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾** حيث يذكر الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى أن وقادا وهى الشمس، وجعل هنا بمعنى خلق لأنها تعدت لمفعول واحد والوهاج الذى له وهج؛ يقال: وهج وَهَّجا ووهجا وَوَ هجانا.

ويؤكد نفس المعنى ابن كثير بأنها الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم. أما الشيخ إسماعيل حقى البروسُوىّ بأن السراج يعبر عن كل شىء مضىء، ويقال للسراج: مصباح، و«وهاجا» وقَّادا متلألئا من وهجت النار إذا أضاءت، وبالغا فى الحرارة من الوهج، وهو الحر، وهو ما قاله بعض المفسرين سراجا وهاجا أى مضيئا جامعا بين النور والحرارة.

يصف رب العزة الصبح والنهار بالوصف الخاص بظواهر النور وسلوك الضوء القادم من الشمس أثناء اختراقه لطبقات الغلاف الجوى المحيط بالأرض مسببا بالانكسار والانعكاس والتشتت ظواهر الأسفار فى أول النهار، والشفق فى آخر النهار، والنور أثناء النهار، فلولا الغلاف الجوى ماكان هناك فجر ولا صبح ولا أسفار ولا نهار ولا شفق ولا زرقة فى السماء.

يقول الحق عز وجل: **﴿والصبح إذا أسفر﴾ إنها لأحدى الكبر﴾** المدثر: الآيتان ٣٣، ٣٤.

﴿والصبح إذا تنفس﴾ إنه لقول رسول كريم﴾ التكوير: الآيتان ١٨، ١٩.

«وأسْفَرَ» أضاء، وفى الحديث **«أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر»** أى صلوا الصبح مسفرين، ويقال: طوِّلوها إلى الإسفار، والاسفار: الإنارة.

وقوله **﴿والصبح إذا تنفس﴾** أى امتد حتى يصير نهارا واضحا؛ يقال للنهار إذا زاد: تنفس، وكذلك الموج إذا نضح الماء. وقيل: **﴿إذا تنفس﴾** أى انشق وانفلق.

ولما كنت أريد أن أربط بين تنفس الصبح وتنفس الشمس فقد وجدت أن تنفس الصبح سر غامض فإذا ما صادف تنفس الصبح مع اختلاف المشارق دائما نفس من الشمس فهذا دليل أكيد على وجود علاقة قوية بين الأرض والشمس.

الوقفة الثانية: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ يونس: آية ٥.

فى الآية تقرير شديد الوضوح بأن الضوء القادم من الشمس هو تلك الموجات الكهرومغناطيسية المحتفظة بخواصها ومنها الخاصية الحرارية، أما النور الآتى من القمر فهو انعكاس لضوء الشمس القادم من سطح القمر.

فالضياء فى المعنى القرآنى هو الضوء المباشر، أى أن الشمس ذاتية الاشعاع، بينما النور فى المعنى القرآنى هو الضوء المنعكس. فالقمر والكواكب لا تشع ضوءا بل تعكس الضوء الساقط عليها.

فالقرآن قد فرق بين النجوم والكواكب، فالأولى تضىء والثانية تنير، والأرض تلمع وتتلألأ بالنور الذى يوفره لها ربها مثل القمر تماما. ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ الزمر: آية ٦٩.

آيات الضياء:

قوله تعالى عن المنافقين: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون﴾ البقرة: آية ١٧.

رحم الله أخانا

أ.د. رمضان عبدالتواب

أ. د/ رمضان عبدالتواب

كلما رحل واحدٌ من أبناء جيلى؛ استشعرت أنى أتقدم نحو النهاية، فأدير خاطرى بعيدا، لأرى الدكتور رمضان عبدالتواب مساء مناقشتى للدكتوراه وأعلنت النتيجة، يتقدم نحوى ويحتضننى ثم يقول: ما رأيت طالبا للماجستير أو الدكتوراه يلقى كلمته ارتجالا قبلك الآن، ثم يضيف: ويا ليتنى أجد الثقة مثلك يوم أقف مثل موقفك وتعانقنا، وبقى - رحمه الله - يذكر مقولته هذه لمن يعرفوننى، ثم يكرر تحيتى بها حتى قبل لقاء ربه بشهور فى آخر اجتماع لى معه بالمجلس، والذى كان اجتماع وداع أراد الله أن يعوضنى به عن حرمانى من المشاركة فى تشييع جنازته، وتوديعه الوداع الأخير.

رحم الله واحدا من جيل العلماء الجادين الذين ينتزع العلم من الدنيا بانتزاعهم.

وإنا لله وإنا إليه راجعون..

ورحم الله أخى إبراهيم

إبراهيم الترزى واحد من صفوة مثقفى العربية والخلّص من أدبائها.. له إسهاماته المتميزة فى ميدان الكلمة: شعرا ونثرا، يفوح منه عبير الطبيعة الهادئة والنفس الجميلة لإبراهيم الترزى - طيب الله ثراه - وأحسن عزاء أهله ومحبيه وعارفى فضله ورفاق دربه فيه.

وإبراهيم الترزى نعم رجلا تلقاه فلا تملك إلا أن تحبه وتتحدث إليه فتشعر وكأنه يهمس إليك بأسراره ويخصك بمناجاته.

وما تحدث إلىّ مرة إلا تجمعت من كلماتنا ذكريات ومشاعر ومعانى هى التى اجتمعنا عليها نحن أبناء الجيل الذى ربى على يد إبراهيم مصطفى صاحب «إحياء النحو» وعميد دار العلوم.

الجيل الذى كان بين أساتذة إبراهيم سلامة، وهاشم عطية، والشيخ الزفزاف، والفحول من الأقطاب فى الفلسفة واللغويات وغيرها.

الجيل الذى كان فى طليعة الأساتذة الدكاترة أحمد هيكل، وعطية نصر، وعبد الحكيم حسان، وإبراهيم الترزى، وغيرهم وغيرهم..

رحم الله أخى الناثر الشاعر إبراهيم الترزى، طيب الله ثراه، وأحسن فيه عزاء أهله ومحبيه وعارفى فضله وقدره.

وإنا لله وإنا إليه راجعون..

أ.د. عبدالصبور مرزوق

الدعوة والدعاة

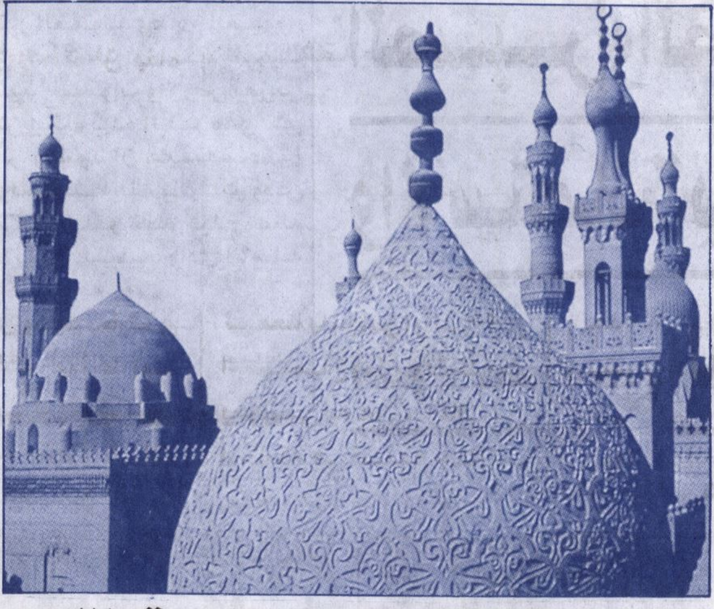

- الصبر والصلاة والاستعانة بالله.. طريقنا إلى النصر
- الولاء لآل البيت من التوظيف الشعوبى إلى إقامة الدول
- الرسول ﷺ وصدق الإيمان
- مع المتنبى فى شعر الوصف
- مسلمو الهند.. ثانى أكبر تجمع إسلامى فى آسيا
- الإسلام فى كازاخستان

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بجلاله وكماله. سبحانه وتعالى له الحمد فى الأولى والآخرة وهو على كل شىء قدير. نحمده سبحانه وتعالى ونشكره؛ ونتوب إليه ونستغفره، فهو وحده غفار الذنوب وستار العيوب، وعلام الغيوب، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد السموات والأرض يعزمن يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ رسالة ربه أعظم ما يكون التبليغ، وأدى الأمانة الإلهية على أكمل وجه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.....

من فوق المنبر

الصبر والصلاة والاستعانة بالله.. طريقنا إلى النصر

أ.د/ أحمد عمر هاشم

أما بعد:

فيا جماعة المسلمين، ينادينا رب العزة سبحانه وتعالى فى معترك حياتنا وحين تدلهم الخطوب علينا ألا نستعين إلا بالله، وألا نتوكل إلا على الله، وألا ندعو إلا الله **﴿ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾** البقرة: آية ١٥٣، إن رب العزة سبحانه وتعالى حين يوجهنا أن نستعين بالصبر والصلاة يريد منا أن نوثق صلتنا به سبحانه وتعالى، وليس الصبر جلوسا وقعودا للواقع وليس الصبر ضعفا ورضى بالهوان ولكن الصبر مقرون بالعمل **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**، فالصبر الذى دعا إليه رب العزة يعنى الثبات ويعنى الصمود ويعنى العمل **﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**، آل عمران: آية ٢٠٠، فى كل توجيه ربانى يدعونا فيه رب العزة للصبر يقرن ذلك بالعمل حتى لا يزعم الناس أن معنى الصبر أن يرضوا بما هم فيه من ضعف أو دعة بل عليهم أن يعملوا وأن يبذلوا جهدهم كل البذل إلى جانب صبرهم وإيمانهم وتوثيق صلتهم بالله قيوم السموات والأرض، ولكم كان أصحاب رسول الله ﷺ وهم قلة وهم مستضعفون كانوا يتوجهون إليه ويسألونه أن يدعو الله لهم بالنصر.

الصبر والعمل

يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة فقلنا يارسول الله: ألا تستنصر الله لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال لهم، وهم يطلبون منه أن يطلب النصر من الله، وأن يدعو الله لهم، أمرهم بالصبر وتوثيق الصلة بالله،

وبين لهم ما كان يحدث لأسلافهم فى الأمم السالفة قائلا لهم: كان الواحد فيمن كان قبلكم تحفر له حفرة ويلقى فيها فى الأرض ويؤتى عليه بالمنشار ما بين مفرق رأسه إلى أخمص قدميه من لحم ودم ما يصده هذا عن دين الله شيئا، ثم يقسم قائلا: والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وهو بهذا التوجيه النبوى الشريف يوضح لأمته أن الصبر المقرون بالعمل وأن الصبر المقرون بالمثابرة والإخلاص هو المطلوب من المؤمنين الذين ناداهم رب العزة بوصف الإيمان الذى يقتضى منهم سرعة الاستجابة **﴿يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾.**

الأمة الإسلامية تمر بمنعطف خطير يحتاج منها أن تكون على قلب رجل واحد

الصبر والصلاة

والاستعانة بالصلاة لأنها وقوف بين يدى الله سبحانه وتعالى. وكان سيدنا المصطفى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول: أرحنا بها يابلال. لأن الصلاة فيها متنفس للمتعبين، وفيها تفريج لكرب المكروبين وفيها لقاء مع رب العالمين سبحانه وتعالى وفيها غفران للذنوب وفيها تطهير للنفوس والقلوب، فإذا ما جاء المصلى إلى بيت الله تعالى وصلى فى الجماعة ينظر الله إلى الإمام فإن وجده صالحا قبله وقبل المأمومين. وإلا نظر إليهم فإن وجدهم صالحين قبلهم وقبل الإمام وإلا فإن وجد واحدا صالحا قبله وقبل الإمام والمأمومين. وإلا نظر إلى وقوفهم والتفافهم من أجله فقبلهم جميعا إنها تطهر ذنوبنا وتفرج هذه العبادة كروبنا، **«تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها - أى تحترقون بالمعاصى - ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم شىء».** هذه العبادة التى تطهر أصحابها من الذنوب وتقربهم من علام الغيوب يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعين بالصبر وأن نستعين بالصلاة فى معترك حياتنا وفيما يواجهنا فيها من كروب وهموم وغموم. إنه يطلق الأمر فيأتى عاما لم يقل استعينوا فى أمر كذا، ولكن أطلقه ليعم كل شئوننا وكل حياتنا. استعينوا بالصبر والصلاة. ثم يوضح أنه سبحانه وتعالى مع هؤلاء الذين يستعينون بالصبر والصلاة، مع هؤلاء الذين يوثقون صلتهم بالله إيمانا لا يتزعزع به.

النصر مع الصبر

فالصبر يمثل صدق الإيمان وصدق التوكل على الله سبحانه وتعالى **﴿واعلم أن النصر مع الصبر﴾** ما أحوج أمتنا الإسلامية فى هذه المرحلة الراهنة التى تمر بها وما أحوج أمتنا فى كل مكان أن

تستعين بإيمانها بالله وبصبرها وصلاتها ووقوفها بين يدى ربها وضراعتها وإنابتها وتوبتها ووقوفها بين يدى خالقها عسى الله أن يكشف الكرب عن هذه الأمة وأن يرد أعداءها الذين ترصدوا لها وجلسوا لها كل مرصد. إن أمتنا الإسلامية التى تمر الآن بمنعطف خطير ويحدق بها عدو لدود اغتصب واحدا من مقدساتها وأخذ يسوم أهله سوء العذاب، هجرهم واقتلع دولتهم واستوطن فى أرضهم وصوب سهامه نحو القدس الشريف الذى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى سيدنا رسول الله ﷺ، وكأنى بالقدس الشريف وهو يستصرخ الأمة فى كل مكان.

نداء القدس

إن نداء القدس الشريف الذى يسرى فى دم كل موحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويستنقذ هذه الأمة التى أخرجت للناس لتكون خير أمة أخرجت للناس لتكون الأمة الرائدة الأمة القائدة لا الأمة التى فى ذيل القافلة لا الأمة التى تغتصب أرضها أو أحد مقدساتها. إن ديننا الحنيف ينادينا أن نكون على قلب رجل واحد وأن نبعث إلى إخواننا فى الأرض المحتلة مع زكواتنا وأموالنا ومساعداتنا دعوات صادقة منبعثة من قلوبنا إلى خالق القوى والقدر أن يكشف الكرب عن المكروبين.

إننا فى هذا اليوم ومن فوق هذا المنبر نستشعر الخطر المحدق الذى أعلنته الصهيونية العالمية ومَنْ وراءها على أمتنا وليس على القدس وحده بل على الإنسانية جمعاء وليس على أرض فلسطين وحدها. إن هؤلاء الصغار والكبار الذين لايحملون فى أيديهم من سلاح إلا الأحجار يواجهون الدبابات وقاذفات القنابل العنقودية والنابالم النار لكن معهم قوة القاهر الجبار سبحانه وتعالى. إننا من هذا المكان وفى هذا اليوم العظيم ننادى أمتنا بأسرها أن تكون على قلب رجل واحد وننادى الضمير العالمى إذا كان فى النظام العالمى بقية من ضمير أن ينظر إلى أولئك المظلومين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

حقوق الإنسان لمن؟

يا أيها الذين تتشدقون بحقوق الإنسان أما آن الأوان أن تنظروا إلى حقوق الإنسان الذى استضعفتموه فى الأرض المحتلة وفى القدس الشريف وفى الأقليات الإسلامية فى كل مكان ألا إنه على الظالم ستدور الدوائر وإن ربك يمهل ولايهمل ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

أيها الإخوة المؤمنون أيها المسلمون فى كل مكان يا قادة أمتنا ويا شعوبها ويا حكامها ويا كل الموحدين على أرض الإسلام آن الأوان أن تكونوا على قلب رجل واحد أن تستجيبوا لدعوة القرآن **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾** أن تكونوا على يقين أن دولة الظلم ساعة وأن دولة الحق إلى قيام الساعة. لقد أقسم الرسول ﷺ وقسمه الحق. وقال: **«والله ليتمن الله هذا الأمر»**. ورب العزة وعد ووعده لا يخلف **﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾**. **﴿ولينصرن الله من ينصره﴾**، فلننصر ديننا ولننصر عقيدتنا ولنقف وراء إخواننا الفلسطينيين فإنهم لا يجاهدون من أجل حياتهم ولكن من أجل القدس الشريف ومن أجل كل موحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

أيها الإخوة المؤمنون فى كل مكان، وثقوا صلتكم

نداء القدس الشريف يسرى فى قلب كل مجاهد وشهيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أيها الإخوة المؤمنون:

لقد نادى ربنا سبحانه وتعالى الجماعة المؤمنة: **﴿يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾**، إنه سبحانه وتعالى حين يأمرنا أن نستعين بصلتنا به وبوقوفنا بين يديه وبتوبتنا إليه وبرجائنا فيه وبدعائنا له فهو لايخلف الميعاد، وهو يجيب دعاء المضطر إذا دعاه وهو الذى يبلو المؤمنين بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات **﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾** البقرة: آية ١٥٥.

بالله فيوم أن توثقوا صلتكم بالله سيكون الله معكم، ويوم أن يكون الله معكم فلا تخافوا من اليهود ولا ممن وراء اليهود لأن خالقهم وخالق من وراءهم وخالق الكون كله هو القهار الجبار الذى يقول للشىء كن فيكون. من أجل ذلك علينا أن نوثق الصلة به وأن نصطلح معه وأن نتوب إليه لأنه لم ينزل بلاء بالأمة إلا بذنب ولن يكشف عنها إلا بتوبة فلنتب إلى الله ولنصطلح مع الله ولندع وإن الله لنا لمستجيب قال ﷺ **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ادع الله يستجب لكم»**.

مأساة إخواننا فى فلسطين

وقد ابتلى إخواننا فى الأرض المحتلة بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وزفوا إلى المنايا شهيدا إثر شهيد بل مئات من الشهداء كأنما يزفونهم للعرس لأنهم يعلمون أنهم لم يضعوا أعينهم إلا على الجنة ولهم الجنة إن شاء الله. من أجل ذلك فنحن نناشد الضمير الإنسانى «المنظمات العالمية فى كل مكان» أن تثوب إلى رشدها وأن تقف موقف العدالة من القضية حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل، وما قام به النظام المصرى والنظام العربى والإسلامى من وقفة جادة توحدت فيها القوة نأمل إن شاء الله أن تكلل الجهود بالتوفيق والنجاح وبالنصر والفلاح، فاللهم أيد قائد أمتنا الرئيس مبارك فى خطاه من أجل التعايش السلمى ومن أجل عودة الحق إلى أهله ومن أجل نصرة القضية الفلسطينية ومن أجل عودة القدس الشريف، اللهم إنا نسألك أن تؤيد إخوانه من ولاة أمر المسلمين فى كل مكان إلى ما تحبه وترضاه يارب العالمين، اللهم اجمعهم على قلب رجل واحد، اللهم أيد الإسلام والمسلمين، اللهم فرج كرب المكروبين، اللهم انصر إخواننا الفلسطينيين، اللهم أيدهم بمدد من عندك يارب العالمين، اللهم إنهم جائعون فأطعمهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم انهم ضعفاء فقوهم، اللهم إنهم آمنوا بك ربا وبنبيك رسولا فكن معهم يارب العالمين، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، وبلغنا مما يرضيك منانا واشف مرضانا وارحم موتانا. اللهم وفق الراعى والرعية، اللهم وحد بين الأمة الإسلامية، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولا يرحمنا يارب العالمين.

نحو رؤية إسلامية لتاريخنا

الولاء لآل البيت من التوظيف الشعوبى إلى إقامة الدول

د/ عبدالحليم عويس

فى بداية حديثنا نشير إلى حقيقة شائعة فى التاريخ كله، وهى أن كثيرا من الدعوات الكريمة تتعرض لمن يتسترون بردائها، ويقفون تحت شعاراتها، ليحققوا أغراضهم التى يصعب عليهم تحقيقها وهم عراة مكشوفون واضحون.

وقد تعرضت الأديان نفسها لهذا اللون من النفاق والاختراق، فانضوى تحت لوائها من عمدوا إلى تشويه حقائقها وتأويلها تأويلا يُكدر منابعه ويحقق لهؤلاء المؤولين أهدافهم لدرجة الخروج بالدين عن تصوراته الأساسية واتخاذ حقائقه لهوا فكريا ولعبا مذهبيا.

ـ وفى تاريخنا الإسلامى كان الولاء لآل البيت والتشيع لهم شعورا فطريا؛ لأنه جزء من الولاء للإسلام الذى حث ـ بل وفرض ـ حب النبى وآله وصحابته، فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

ـ وليس فى هذا الحب مذهبية مُعَيَّنَةٌ؛ لأنه ـ كما ذكرنا ـ فرضٌ من فروض الإسلام؛ فالمودة فى القربى، والحب لآل البيت والصحابة، إنما هما ـ فى الحقيقة ـ مودة وحب لرسول الله ﷺ نفسه، فمن أحبهم فبحبه أحبهم، ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم، كما أشار إلى ذلك الرسول الكريم(١)!!

ـ بيد أن تطورات سياسية وفكرية غير نقية قد مكنت بعض الناس من أن يستغلوا هذا الحب، ويحولوه من مجرد تشيع كريم «لآل البيت إلى مستودع يضعون فيه كل ما يضمرونه لهذا الدين ولهذه الأمة التى كان انتماؤهم إليه وإليها مجرد نفاق اضطروا إليه لتحقيق مكاسب مصلحية قريبة، ولتحقيق تخريب مستمر ينطلق من داخل البناء الإسلامى نفسه»(٢).

ـ ويشير الكاتب الشيعى الفاضل الأستاذ جعفر عبدالرازق (هولندا) فى دراسة له حول (منهجية الحوار فى الإسلام) إلى هذا اللون من الظلم والاستغلال الذى لحق بالتشيع النقى فأفسد عليه مجواه إلى أن تنبه المصلحون الملتزمون الشيعة ـ ولاسيما فى العصر الحديث ـ فتتبعوا هذه الأفكار الدخيلة على التشيع السنّى والإسلامى الصحيح بالدحض والرد.

يقول الأستاذ الفاضل: إن كتاب (مختصر التحفة الاثنى عشرية) الذى ألفه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوى الهندى - ذكر فى الباب الأول (فرق الشيعة وبيان أحوالهم وكيفية حدوثهم وتعداد مكايدهم) فأورد فى هذا الباب ثلاثا وثلاثين فرقة شيعية كثير منها لم يسمع بها أحد كالسبئية والمفضلية والسريفية والبزيغية والكاملية والجناحية والبيانية والمنصورية والغرابية والذبابية والدمية والمقنعية، بل وحتى البهائية. وبعضها مجرد رأى أو مقولة منسوبة إلى شخص يدعى أنه شيعى ليصبح هذا الفرد فرقة شيعية لها أتباع وأنصار ومؤيدون، وأما الآراء التى ينسبها لهذه الفرق المختلفة فهى عقائد غريبة وقبيحة وفيها شرك وغلو تجعل القارئ ينفر من كل ماله صلة بالشيعة»(٣).

- وما يقوله الأستاذ جعفر عبدالرازق فى نصه السابق يكاد يتفق فيه معه (بطريقة أو رؤية مختلفة لكنها متكاملة) المؤرخ المعروف الأستاذ أحمد أمين، حين يشير إلى مساحة الاستغلال والظلم التى حاقت بالمذهب الشيعى لدرجة تقتضى جهادا كبيرا من إخواننا الشيعة الصادقين المنتمين إلى كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - فى سبيل تخليص «التشيع الحق» من هذا الاستغلال الفاسد الذى قام به كثير من أعداء الإسلام.. يقول الأستاذ أحمد أمين:

«والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكة الإسلام، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم، فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا كما قال اليهود **«لن تمسنا النار إلا أياما معدودات»، والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم: «إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه، وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى**، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله، والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام»(٤).

❖❖❖

- وبصرف النظر عن ذلك الخلاف العميق - بل والعقيم أحيانا - الذى يصل إلى حد الرفض الكامل بين السنة والشيعة، مع أن الطرفين - كما يبدو لى يحاولان استخدام أكبر الطرق العلمية والمنهجية لتأكيد وجهة النظر الخاصة بكل منهما حول شخصية (عبدالله بن سبأ) - وجودا وعدما - من خلال «رسائل دكتوراهات» وبحوث دقيقة(٥).

- أقول: بصرف النظر عن هذا الخلاف العميق والعقيم إلا أن الحقيقة التاريخية التى لا يستطيع أحد إنكارها - بل ويؤكدها الشيعة أنفسهم بكل قوة - أن ثمة سيلا من الأفكار والمذاهب المتطرفة روجها بين المسلمين سبئيون

ـ مهما تكن أسماؤهم المستترة وحقيقتهم الغامضة ـ لدرجة ظلم معها ـ «التشيع الحق» ظلما مبينا، وكادت تتوه خيوط العلاقة الصحيحة التى يجب أن تكون المنهج الصحيح الذى يقبله الإسلام فى علاقة المسلم بآل البيت، وفى التعبير عن حبه الصحيح المنضبط بالكتاب والسنة لهم.

وفى الحقل الإسلامى ظهرت مصطلحات تدور على الألسنة تؤكد هذه الحقيقة مثل مصطلحات (الإسرائيليات)، و(غلاة الشيعة)، و(مدعى التشيع)، وغيرها.. وهى مصطلحات تؤكد أن هناك من حاولوا توجيه التشيع لمصلحة مذاهبهم وأحقادهم على الإسلام والمسلمين!!

ولقد أدرك أسلافنا العظماء الذين عمد غلاة التشيع إلى التمسح فيهم خطر هؤلاء وأغراضهم الحقيقية وكيدهم للإسلام، ولم يقصروا فى جهادهم، وكان إمام هؤلاء جميعا الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه الذى نُسب إليه أنه أعدم بعضهم حرقا.. كما أن محمد بن الحنفية وابنه هاشما لم ينخدعا بأقوال هؤلاء، وكانت جهودهما سببا فى هزيمة بعض مدعى التشيع مثل المختار وعبدالله بن عمرو بن حرب الكندى، كما أن الإمامين الباقر وجعفر الصادق (رضى الله عن الجميع) وقفا ضد غلاة التشيع مثل أبى منصور العجلى وأبى الجارود وأبى الخطاب ـ وما كان لمثلهما ـ فى تقواهما ـ إلا أن يقفا هذا الموقف دفاعا عن الدين السمح الوسط الصافى عقيدة وشريعة، الذى كان عليه جدهم على بن أبى طالب رضي الله عنه وإمام الأنبياء محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ـ ولم يقف بلاء هؤلاء الكذابين المتطرفين عند حد المجاهرة بهذه المعتقدات الضالة عن آل البيت، بل زادوا فوضعوا على ألسنتهم كلاما لا يمكن أن يصدر عن مثلهم فى ورعهم وفضلهم(٦).

ـ وقد أدرك أئمة آل البيت ذلك فقاوموا ما استطاعوا فى حياتهم، لكن بقيت بعد موتهم أقوال أفلتت من رقابتهم وجهودهم ونسبت إليهم زورا وهم منها براء.. ويقول الشهرستانى فى ذلك: «إن جعفر ـ الصادق ـ تبرأ مما كان ينسبه إليه بعض الغلاة وبرئ منهم ولعنهم، وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم فى القول بالغيبة والرجعة.. لكن الشيعة بعده افترقوا، وانتحل كل منهم مذهبا، وأراد أن يروجه على أصحابه، فنسبه إلى جعفر وربطه به والسيد برىء من ذلك «فبينما يبرأ جعفر من القول بالغيبة والرجعة، يقول الناووسية وهم من فرق الإمامية: إن الصادق حىّ ولن يموت، وسيعود للظهور ويعلو أمره. ويروون عنه أنه قال: لو رأيتم رأسى يد هده عليكم (يد حرج من الجبل) فلا تصدقوا، فإنى صاحبكم صاحب السيف(٧)».

وقد نسبوا إلى جعفر أقوالا لا يمكن أن تصدر عن مثله فى دينه وفقهه، مثل نسبتهم إليه أنه القائل: التقية دينى ودين آبائى وأجدادى ومن لا تقية له لا دين له، والقائل: من أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله، فنحن أبواب الله وحجبه وأمناؤه على خلقه، وحفظة مكنون سره، والآخذون عهده وميثاقه(٨).

ـ ولهذا الظلم الذى وقع بالتشيع الصحيح،

نتفق مع أستاذنا الدكتور أحمد شلبى ـ رحمه الله ـ فى أنه من الضرورى أن تحذف من الشيعة تلك الفرق التى تكونت لتفسد الإسلام وتمحو حضارته وأفكاره، فإذا فعلنا ذلك بقيت عندنا جماعات الشيعة الأصيلة، تلك الجماعات الجديرة بالدراسة، والتى تتفق مع غير الشيعة من المسلمين فى كثير من الأسس(٩).

ـ أما غلاة الشيعة ـ وغلاة الحلولية المنسوبين إلى التصوف ـ فهم ليسوا شيعة على الإطلاق.. وليسوا متصوفة.. بل ليسوا مسلمين.. بل هم فى الحقيقة أعداء لآل البيت، وأعداء للإسلام!!

❖❖❖

ـ وفى الجانب الآخر.. يجب أن نعترف بأنه ظهرت طوائف كثيرة ـ فى جانب أهل السنة ـ انحرفت عن الإسلام تحت وطأة نزعات عقلية اعتزالية، أو كلامية، أو عاطفية صوفية، لكن هذه الطوائف سرعان ما كانت تجد مجددين نشطين يردونها إلى الكتاب والسنة، ويقاومون بدعها وخرافاتها ـ أحيانا ـ بأسلوب قوى قد يميل إلى العنف، وأحيانا بأسلوب متدرج هادئ.. ولئن كانت بعض الهيئات والقوى تدعم هذه الاتجاهات صرفا للناس عن الإسلام الصحيح، إلا أن نمو الوعى الإسلامى المستمد من الثقافة الإسلامية يكشف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، فانحرفوا عن الكتاب والسنة، حتى لو ناصرهم بعض الأقوياء.. لأهداف غير إسلامية(١٠)!!

وفى ضوء هذا فنحن نأمل أن يظهر فى الجانب الشيعى فى العصر الحديث مجددون من أمثال الإمام الشوكانى (الشيعى الزيدى) ومثل العلامة أمير البيان «شكيب أرسلان» على (الدرزى الأصل) ومثل صديقنا الشيخ محمد تسخيرى الذى كان يبدى تعاونا كبيرا معنا فى كثير من ملتقيات الفكر الإسلامى، فى سبيل التقريب الموضوعى السليم، وفى سبيل الوقوف المشترك ضد اللادينية والمادية اللتين يحاول أتباعهما من المحسوبين على الإسلام تحريف الكلم عن مواضعه، وإخضاع الإسلام للفكر اللاهوتى أو للتطورية العقلانية الرافضة لقدسية الوحى وثوابته.

الهوامش

١ ـ محمود شاكر: التاريخ الإسلامى(٥)، الدولة العباسية جـ١ ط١ المكتب الإسلامى القاهرة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م ص١٣.

٢ ـ محمود شاكر المرجع السابق ص١٤.

٣ ـ انظر: مجلة رسالة الثقلين ـ العدد ٣٣ ـ السنة التاسعة المحرم ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ص١٦٩. قُمّ ـ إيران.

٤ ـ أحمد أمين: فجر الإسلام ص٢٧٦، ٢٧٧ طبع مصر، وانظر د. أحمد شلبى: الدولة الأموية ص١٥١ ص١٠١ ـ ١٩٩٩م.

٥ ـ تنظر رسالة دكتوراه عنوانها (عبدالله بن سبأ) للمؤرخ السعودى سليمان العودة، وكتاب (عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى) للأستاذ مرتضى العسكرى.

٦ ـ محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ـ ٥ ـ جـ١ الدولة العباسية ـ المكتب الإسلامى ط١ القاهرة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م ص١٥ ـ ١٩.

٧ ـ الشهرستانى: الملل والنحل ١٤٨، وانظر د. أحمد شلبى: الدولة الأموية ١٥٨.

٨ ـ د. شلبى ـ المرجع السابق ١٥٨ (عارف تامر ـ أربع رسائل اسماعيلية ٥١ ـ ٥٧).

٩ ـ المرجع السابق ١٦٦.

١٠ ـ عبدالمنعم ماجد ـ التاريخ السياسى للدولة العربية، جـ١ القاهرة: ١٩٦٠ ص٢٦٦.

الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق الإيمان

محمد عبدالعزيز عوض

ولد الرسول ﷺ فى الثانى عشر من شهر ربيع.. وكان مولده فى مكة غير بعيد من الكعبة المشرفة، وكانت ولادته فى عام الفيل.. وهذا تكريم من الله سبحانه وتعالى لمولد الرسول ﷺ بدفاعه عن البيت الحرام بواسطة الطير الأبابيل.. التى دمرت الفيلة عماد جيش أبرهة.. التى كان يزحف بها لهدم الكعبة المشرفة.

وكانت مكة حينئذ تموج بحركات عاصفة من الشهوات والمآثم كفرا بالله وباليوم الآخر، وإقبالا على نعيم الدنيا، وإغراقا فى التشبع منه، ورغبة جامحة فى السيادة ونفاذ الكلمة، وعصبيات طائشة تسالم وتحارب من أجل ذلك، وتقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادى والأدبى داخل هذا النطاق.

■ وكان أهلها ضعاف التفكير، أقوياء الشهوات؛ الرجال فيها يحيون أمثلة قوية لنضج الأهواء، وشلل الأفكار ونمائها فى ظل الهوى الجامح.

■ ولم تكن مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران فى صحراء موحشة، لا تحس من الدنيا إلا الضرورات التى تمسك عليها الرمق. كلا، إنما شبعت حتى بطرت، وتنازعت الكبرياء حتى تطاحنت عليها، وكثر فيها تغلغل الكفر والإلحاد فى أغوار النفوس، حتى عز إخراجهم منه، فهم بين أعمى عن الصواب، أو جاحد له.

■ وفى هذا المجتمع الذى لم ينل حظا يذكر من الحضارة العقلية وبلغ فيه غرور الفرد مداه، بعث محمد ﷺ، ورأت قريش أن أمر الإسلام ينمو ويعلو، وأن وسائلها الأولى فى محاربته لم تمنع انتشاره، أو تنفر أنصاره، فأعادت النظر فى موقفها كله، لترسم خطة جديدة أقسى وأحكم، وأدق وأشمل.

■ وتمخض حلف المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يتعاطف معهم، أو يقوم بحمايتهم، حزبا واحدا دون سائر الناس، ثم اتفقوا ألا يبيعوهم أو يبتاعوا منهم شيئا، وألا يزوجوهم أو يتزوجوا منهم، وكتبوا فى ذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة تأكيدا لنصوصها.

■ وأصيب الرسول ﷺ بوفاة زوجه خديجة ثم بوفاة عمه أبى طالب وسمى هذا العام «عام الحزن».

■ وكانت خديجة صديقة النساء حنت على زوجها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصبب عرقا من آثار الوحى، وبقيت معه ربع قرن تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول ﷺ فى الخمسين من عمره، وقد أخلص لذكراها طوال حياته.

■ أما أبو طالب فإن المرء ينحنى إعجابا لنبله فى كفالة محمد ﷺ، ثم لبطولته فى الدفاع عنه حين بعث نبيا، وحين صدع بأمر ربه وأنذر عشيرته الأقربين.

■ ومضت مكة فى طريق الكفر حتى أوغلت فيه وبلغت نهايته فكانت تستمرئ تلويث الساجدين بالأقذار، وتتمايل ضحكا من منظر النجاسات وهى تسيل على كتفى المصلى.

■ لم يبق فى هذه القلوب مكان لذرة من الخير!!

■ وكانت الآية العظمى!!

■ وكانت رسالة الإسلام الخالدة!!

■ وأول مقياس يقاس به صدق صاحب رسالة هو مبلغ إيمانه بها متى امتحنته الخطوب، ولقى فى سبيلها العنت والبلاء والاضطهاد.

■ إن الرسالة التى تسير بصاحبها على مهاد من الود، ويكون هدفها الغنم له أو لذويه لا تدل على إيمان، بل تدل على وصولية وطمع أو طموح.

■ وأيا كان المقياس الذى تقاس به دعوة الإسلام، فلن تجد فيها دليلا واحدا ولا شبه دليل على أن الغرض منها خدمة شخص محمد ﷺ من قريب أو بعيد.

■ كان موفور الرزق موسعا عليه، فبدل من ذلك ضيقا وشظفا.

■ كان آمنا فى سربه، فبدل من ذلك قلقا ومطاردة وارتياعا.

■ كان موفور الكرامة والمكانة بين قومه، بالنسب الرفيع، والحسب المنيع، فبدل من ذلك إهانة وتحقيرا وازدراء.

■ كان وحيدا أعزل لا أمل له فى نصرة أحد على قومه، وهم أئمة الشرك، وحراس الكفر، وأولياء عاصمته المستفيدون منه.

■ أما أهله فما كانت هذه الرسالة بأنفع لهم، وأوذوا بسببها فى أرزاقهم وفى أعمالهم وفى أشخاصهم، وتعرضوا لما تعرض له من التهلكة أكثر من مرة.

■ وما كان مضمون الدعوة حين يكتب لها النجاح ليضفى عليهم شيئا من المنافع، فهذا الدين لا يجعل لرسوله مرتبة فوق مراتب البشر، أو حظا من نعيم الدنيا ومتاعها فوق حظوظ سائر الناس فضلا عن آله.

■ كلا!! فهذه نبوة، وليست ملكا، ولا وراثة فى النبوة.

■ كلا!! بل هذا الدين يمحو ما كان لقبيلة هذا الرسول قبل ذلك من سيادة وامتياز وطيد الأركان، فالناس فى هذا الدين سواسية كأسنان المشط، وهذا الرسول هو القائل: **«إنه لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى»**، وإن

عصبية الجاهلية موضوعة!!

■ دعوة لا تحمل لصاحبها بموازين الدنيا جميعا إلا الخسران، ولا تحمل لقومه على افتراض نجاحها وظفرها إلا ذهاب الرئاسة وضياع الجاه.

■ بل حين كتب لهذه الدعوة الظهور وتم الفتح المبين ولم يظفر صاحبها بمغنم، ولم يكن له حظه من إقبال الدنيا إلا أقل من حظ جنده وفقراء رعيته، لم يجعل لفئة من الناس فضلا على فئة، بل صار الأمر كله للمؤمنين كافة.

■ لا منفعة إذن ولا شبه منفعة لصاحب هذه الرسالة من بداية دعوته حتى المنتهى، ولا تسخير للدعوة لخدمة مآرب ذاتية، أو أهواء حزب من الناس أو فئة،. وصح إذن أنه ما كان ينطق عن الهوى، وأنه: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ النجم: آية ٢.

■ هى من هذا الوجه دعوة: مبدأ وإيمان، وليست مطية هوى.

■ هذا الإيمان بماذا يقاس إن لم يكن مقياسه الثبات عليه، فى أشد الظروف حلكة وأدعاها لليأس؟، وإن لم يكن مقياسه الصبر فى سبيله على المكاره؟

■ وإنها لمكاره من كل نوع ـ لعل المعنوى منها أقسى من المادى، ولعل جرح النفس فيها أعتى من الضرب والإيذاء البدنى بالغا ما بلغ من العنف.

■ لم يساوم هذا الرسول ولم يقبل المساومة لحظة واحدة فى موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات، واشتداد المحن.

■ وهناك موقف مشهور جدا من تلك المواقف: هو الوقفة من عمه أبى طالب حين قال له: إن قريشا تشدد عليه النكير بسبب ما يبسطه عليه من حمايته، وإنه على كبر سنه مهدد باجتماعهم على مقاطعته وعداوته، وقد قالوا له: «إنا والله لا نصبر على هذا من شَتْمِ آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنه، أو ننازله وإياك، حتى يهلك أحد الفريقين».

■ وتقدم عمه إليه بقوله: «فابق علىَّ وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق».

■ فهذا عمه، حصنه الأوحد وحاميه، يوشك أن يتخلى عنه، ولن يكون بعد ذلك إلا الهلاك له هلاكا مؤكدا.

■ إما هذا، وإما أن يحرج عمه ويبقى على حاميته له، فيتعرض معه للهلاك فى تلك المعركة التى لا تكافؤ فيها.

■ وعمه، من عمه؟

■ إنه الذى كفل وربى بعد موت الجد ذلك الفتى اليتيم: إنه الذى دلل وأعز هذا اليتيم، وأردفه على راحلته حين تعلق به صغيرا، وقد تجهز للسفر إلى الشام، فلم تطاوعه نفسه أن يفارقه باكيا، وصحبه حيث ذهب.

■ ومحمد ﷺ أوفى الناس بالمعروف وأحفظهم للوداد، وأبرهم وأقسطهم: أى حرج شعر به أمام ذلك الرجاء؟ أى امتحان لخلال البر، وعرفان الجميل والنخوة؟

■ لو كان هناك شىء من الأشياء يثنى محمدا ﷺ عن إيمانه لكان هذا الحرج، ولو كان الأمر بيده بأى صورة من الصور لما صمد لهذا

الامتحان، ولو كانت هناك قوة لتزعزعه عما تجرد له لكان هذا التوسل من عمه أبى طالب.

■ إن الامتحان النفسى فى هذا المقام والإكراه المعنوى والضغط الأدبى لهو أعنف ألف مرة من اللطمات والبصقات التى كيلت له من سفهاء القوم.

■ وأطرق محمد ﷺ وما أحسب هلاكه كان أهون لديه من تخييب رجاء عمه وكافله، فحق لمن فى مثل نخوته وبره أن يطرق ويهتم، وهو يتعرض لتهمة العقوق.

■ ثم كانت الكلمة التى لا تنطق إلا عن منتهى صدق الإيمان، ورسوخ اليقين بما هو بسبيله،

■ يا عم: والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

■ من كابر فى صدق هذا الإيمان فهو مسكين لا يميز الإيمان من الدجل، ولا الصدق من الهزل.

■ ولم يخذل العم الشهم الكريم النبيل ابن أخيه، بل ثابر على نصرته ومنعته.

وقال له مأخوذا بذلك الإيمان:

■ اذهب يابن أخى فقل ما أحببت. فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبدا!!

■ واحتمل آله العنت بسبب ذلك، فكان فضل أبى طالب مضاعفا بعد هذا اليوم الفاصل.

■ ثم يحضر الموت هذا العم النبيل: الذى غمره بحنانه وحمايته صغيرا وكبيرا: حدثا وكهلا: مطاردا مبغوضا، فإذا بالرسول ﷺ يطالبه بأن ينطق بالشهادة، كى يستحل الشفاعة له بها يوم القيامة، فيأبى أبو طالب حفاظا وخشية أن يرمى بشبهة الجبن أمام الموت والضعف أمام وعيد يوم الحساب،

■ وتحشرج الروح، ويميل على أبى طالب أخوه العباس يسمع ما يهمس به فى لحظاته الأخيرة، ثم يقول العباس لابن أخيه: إن المحتضر نطق بالشهادة وهو فى الرمق الأخير.

■ وعلى شدة حب محمد ﷺ لعمه الراحل وتعلقه به، ورغبته فى نجاة نفسه لقاء ما أحسن إليه، ونافح عنه، لم تتحرك فيه خالجة وقال بجمود الراسخ: إنه لم يسمع.

وغيره فى مثل هذا الموقف كان حريا أن يبادر إلى التصديق على عهدة الراوى، وهو عمه العباس كى يجد فى ذلك عزاء وسلوانا وراحة إلى أن عمه وكافله المحبوب لم يمت كافرا، وليس مصيره جهنم ذات السعير،

ولكن صدق الإيمان يأبى عليه هذه الراحة التى كانت وردها على حدٍّ سواء، فحينما تعرض الأمر لدعوته وعقيدته، فلا محل لمجاملة، مهما قويت بواعثها من كرائم الخلال.

■ أهذا شأن من يملك من الأمر شيئا؟ أهذا شأن من لاتسيطر عليه قوة قاهرة: أقوى من مراده هو نفسه، وهو إزاؤها العبد المأمور؟

■ لذلك، هو الرسول الأمين حقا، الذى يقول له ربه: ﴿**ليس لك من الأمر شىء**﴾ آل عمران: آية ١٢٨.

■ لا مساومة!! وكيف يساوم من لا يملك من الأمر شيئا؟

■ هاهو يدعو القبائل فى موسم الحج إلى ربه، يقف بمنازلهم فمنهم من يعرض ومنهم من يسخر،

وهاهو يقف يوما على منازل بنى عامر ويتكلم فى يقين وبسلطان وأى سلطان أعلى من سلطان اليقين بالعزيز ذى الجلال؟.

■ ويبهر كبير القوم بما سمع، ويراها فرصة يجدر به أن يهتبلها عسى أن تكون لقومه بذلك الداعى رئاسة، أو يحدث لهم ذكرا وجاها فيقول له:

■ أى محمد!! فإن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟

■ مساومة معقولة لدى امرئ يعرف المساومة، فإنه يطلب إلى قوم أن يتبعوه، ويمنعوه.. حتى يبلغ رسالة الله وأمانته.. ويؤمن الناس كافة.. وفى ذلك من البلاء والمشقة ما فيه.. بل فيه من الهلاك للأنفس والأموال ما فيه، وفى منطق المساومة وتبادل المنافع.. لابد من مقابل لكل خدمة تؤدى أو منفعة ترجى.. فليكن إذن كما يطالب به شيخ بنى عامر فهو عرض معقول.. يصلح أساسا على أى حال للمدارسة بين الطرفين.

■ ولكن محمدا ﷺ لا يساوم.

■ ولكن محمدا ﷺ ليس له من الأمر شىء.

■ ولكن محمدا ﷺ لا يرى الإيمان بالله منة للمؤمنين على الله ورسوله، بل منة لله على المؤمنين: هداهم من ضلال: ونصر الله حق عليهم، كفاه هذا الفضل العميم، وشتان بين هذا المنطق ومنطق المساومة.

■ وكان محمد ﷺ وحيدا: لا يكاد يجد لدعوته سميعا.

■ وكان محمد ﷺ مطاردا لا يجد مانعا ولا نصيرا.

■ ولكن محمدا ﷺ لم يقبل المساومة فى أمر هو من شأن الله وحده، وهو لا يملك من الأمر شيئا،

■ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء!!

■ ما هذا قول مغامر - مساوم - مناور - هذا قول لا يصدر إلا عن صدق إيمان نادر، سلطان إيمانه عليه قاهر: لا حيلة له فيما يأخذ وفيما يدع.

■ وأكثر من هذا لا يهتز له إيمان محمد ﷺ.

■ هؤلاء ذؤابة قومه قريش، يجتمعون عند الكعبة ويرسلون إليه ويقول قائلهم له:

■ يا محمد!! إنا واللات ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك - فإن كنت إنما جئت بهذا الحدث تطلب به مالا - جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا، وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

هو إذن ملك حاضر بغير عناء أو جهاد أو انتظار، وثراء ماثل لا ضرورة معه لجهد أو اصطبار، فما يبتغى مغامر نفعى سوى ذاك؟

■ وأى مساومة هذه؟ إنها أشبه بالتسليم المطلق من كل قيد - إلا أن يدع ماهو بسبيله من أمر الدعوة.

■ ودون هذا خرط القتاد!!

■ ودون هذا صدق الإيمان، الذى ما كان عن

سواه يصدر جوابه عن تلك المساومة التى يسيل لها اللعاب:

■ ما بى ما تقولون!! ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل علىَّ كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم - فإن تقبلوا منى ما جئتكم به، فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم!!

■ كلام العبد المأمور الذى ليس له من الأمر شىء: كلام الرسول المكلف بالبلاغ الأمين، ولا مأرب له من وراء دعوته، وقد استنفدت المآرب فى ذلك العرض الذى شمل كل شىء، من الجاه العريض إلى الملك العضوض..

■ ولكن معاذ الإيمان، وصدق الإيمان، ما الملك؟!! وما الجاه؟!! وما الثراء؟!!

■ هباء هى.. أو أهون من الهباء.

■ وفى أى وقت يقول هذا؟، وفى ثبات من لا يشعر أنه يفعل أمرا خارقا.. أو يهم بمقاومة إغراء، تحشد الحماسة من جوانب النفس لملاقاته؟

■ فى وقت عز فيه النصير، وطارده السفهاء بالأذى فى قريش وغير قريش - أينما ذهب يقوم بأمانة الدعوة - حتى بلغ منه الضيق مبلغه، وحزبه الأمر، وصاح ذات يوم بصوت يخنقه البكاء:

■ **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس - ياأرحم الراحمين!! أنت رب المستضعفين وأنت ربى!! إلى من تكلنى؟، إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟، إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى!! ولكن عافيتك هى أوسع لى!! أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»!!**

■ أى شىء هذا إن لم يكن غاية الغايات من صدق الإيمان؟

■ ضرب وشج، وتحقير فى كل مكان حتى يصرخ هذه الصرخة من قلب صديع، ثم لا يعنيه من ذلك شىء، سوى خوفه أن يكون بالله عليه غضب!! فهو لايبالى!! ثم يمنى بانقلاب الحال إلى ملك مؤثل، وثراء مذلل، فلا يفكر فى شىء من ذلك طرفة عين، ويعرض عنه بغير مبالاة.

■ فإن لم يكن هذا هو الصدق الصادق، فقد ارتكست مقاييس تجعل من صاحب هذه المواقف ومثيلاتها مساوما مغامرا طالب مغنم.

■ أى قالة بعد هذا تنهض على قدمين، لتطاول هذا المجد الشاهق، أو تدافع هذا الصدق الصادق؟

■ وما صدق بشر - إن لم يكن أبو القاسم بالصادق الأمين.

■ فسلام عليه بما هدى من سبيل، وما أرسى من دين، وما قوَّم من نهج، وما بيَّن من محجة،

■ وسلام عليه فى الأولين والآخرين.

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

مع المتنبى فى شعر الوصف

(٣) وصف الطبيعة

أ. د/ طه مصطفى أبو كريشة

لم تحظ الطبيعة بالوصف فى شعر المتنبى بالقدر الذى حظيت به ميادين الوصف الأخرى مثل الحالات النفسية والمعانى العقلية والحرب، إذ لم يقترب من الطبيعة بالقدر الذى يجعله مكثرا، أو بالقدر الذى كان متوقعا منه بوصفه شاعرا تنقل فى بيئات مختلفة متنوعة، لكل منها طبيعتها الخاصة، وقد يأتى وصف الطبيعة عنده أحيانا فى صورة كلية متعددة الجوانب، وأحيانا يتناول صورا جزئية مما ينبث فى الكون، وغالبا ما تكون فى سياق أغراض أخرى، بحيث يكون مجيئها عرضا، وفى تصوير سريع عابر، لا يدل على امتلاء النفس بما ترى، أو امتزاجها بما حولها، أو افتتانها به..

ويعلل الدكتور طه حسين لذلك بقوله: «نلاحظ أن البيئة الطبيعية لم تكن تؤثر فى نفس المتنبى كثيرا، لأنه كان مشغولا بنفسه وبالناس.. فالطبيعة عنده ليست شيئا ذا خطر، وإنما الأمر الخطير حقا عند المتنبى شيئان: نفسه يبالغ فى حبها، والناس ليبغضهم أشد البغض، ومن هنا نفهم أن يزور المتنبى مصر ويقيم فيها أعواما متصلة، ثم لا يظهر للطبيعة أثر يذكر فى شعره، ومثل هذا يقال فيما يتصل بالبادية، فقد كان يكتفى فيها بذكر الأماكن، وإذا وصف شيئا ردد ما قاله القدماء» (مع المتنبى ٢٧٦).

وقد كنا نفهم أن يكون كل من هذين الشيئين سببا فى أن يتجه المتنبى إلى الطبيعة لا أن يبتعد عنها، إذ إن اتجاهه إليها بالوصف والحديث عنها قد يغنيه ويلهيه عما يجده عند الناس، وقد يجد فيه أيضا نافذة ينفس فيها عن هموم نفسه، وهذا شىء يكون متوقعا لو أن لديه استعدادا نفسيا للتجاوب مع الطبيعة من حوله.

وقد نقترب من تعيين السبب إذا أرجعنا تلك الجفوة بين المتنبى والطبيعة إلى ما فطر عليه من طبيعة تشاؤمية، تنظر إلى الحياة بمنظار قاتم، إذ ليس من السهل على من يغلب عليه مثل هذا الطبع أن تستهويه مظاهر الجمال، أو تبهره ملامح الإبداع فى الكون، إلا فى فترات قليلة متباعدة، تتحرر فيها النفس من سيطرة هذا الشعور، وتشرق عليها شمس الصفاء الروحى، فترى فى كل شىء جمالا، وتكون على استعداد لتلقى إشارات الجمال، وومضات الإبداع.

أ - فمن شعر تلك الأوقات التى كانت تشرق

فيها شمس الصفاء الروحى ما قاله المتنبى من شعر فى وصف (شعب بوّان) وهو من أشهر أشعاره فى وصف الطبيعة، وقد ورد هذا الوصف فى مقدمة قصيدة مدح بها «عضد الدولة البويهى». لكن الوصف لجودته طغى فى شهرته على الغرض الأصلى للقصيدة.

وقد أشاع المتنبى فى هذا الوصف جوا من البهجة يعكس ما كانت عليه نفسه فى ذلك الوقت عندما كان يزور بلاد فارس فى أخريات حياته.

أما وصف الشعب فهو قوله:

مغانى الشعب طيبا فى المغانى

بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربى فيها

غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جِنّة لو سار فيها

سليمان لسار بترجمان

طَبَتْ فرساننا والخيل حتى

خشيت وإن كرُمْنَ من الحران

غدونا تنفض الأغصان فيها

على أعرافها مثل الجُمان

فسرت وقد حجبن الشمس عنى

وجئن من الضياء بما كفانى

وألقى الشرق منها فى ثيابى

دنانيرا تفر من البنان

لها ثمر تشير إليك منه

بأشربة وقفن بلا أوانى

وأمواه تصلّ بها حصاها

صليل الحلْى فى أيدى الغوانى

إذا غنى الحمام الورق فيها

أجابته أغانى القيان

ومن بالشعب أحوج من حمام

إذا غنَّى وناح إلى البيان

وقد يتقارب الوصفان جدا

وموصوفاهما متباعدان

يقول بشعب بوان حصانى

أعن هذا يُسار إلى الطعان

أبوكم آدم سَنَّ المعاصى

وعلمكم مفارقة الجنان

ففى هذا الوصف الذى قدمته الأبيات السابقة لشعب بوان ترى عاطفة الإعجاب تستولى على المتنبى، ونستطيع أن نقول إن سروره فى الواقع كان أكبر من وصفه، وكأن عينيه المشغولتين بالتهام ما حوله من عجائب الطبيعة وهو فى ذهول نفسى، جعلتاه يكتفى باللقطات السريعة دون العناية بالوقوف عند التفاصيل، ومع ذلك فإن هذا الإجمال كاف لأن يستشعر القارئ جمال هذا الشعب، وأن يشارك الشاعر فى بهجته وإعجابه.

لقد أعلن الشاعر عن عجزه فى أن يعبر تعبيرا كاملا عن جمال ما يراه.. مما يراه هو فى نظره (ملاعب جنة) لما فيه من الجمال الذى يرقى عن صنع الإنس، ومع إن الجن هم من جنود سيدنا سليمان عليه السلام، فهو يحتاج إلى مترجم ويفصل القول عن جمال هذه الملاعب، فكيف به هو؟!

ثم يعبر عن الجمال المتنوع الطاغى الذى حوته هذه المغانى بأن الخيل نفسها قد انتقلت

إليها عدوى الإعجاب بها حتى خشى أن تتوقف وتعلن العصيان عن مغادرة المكان (حتى خشيت وإن كَرُمْنَ من الحران).

وفى نشوة وصف ما يراه الشاعر من جمال لم يفته أن يحدد الوقت الذى سار فيه، إنه وقت الصباح حيث الندى يتقاطر من الأغصان، وحيث أشعة الشمس تأتيه من ناحية الشرق:

غدونا تنفض الأغصان فيها

على أعرافها مثل الجمان

وألقى الشرق منها فى ثيابى

دنانيرا تفر من البنان

وإذن فالوقت يتيح للنفس أن تستمتع بجمال الطبيعة، أما الذى أعجبه فهو هذا الندى الذى صوره بأنه (مثل الجمان) - والجمان حب من فضة يشبه اللآلئ - وكذلك الظل الظليل، والخضرة المضاعفة التى حجبت حرارة الشمس، وأنفذت من الضوء ما يكفيه (وجئن من الضياء بما كفانى)، وقد صور هذا الضوء الذى يتخلل أوراق الشجر بهذه الصورة (دنانيرا تفر من البنان)، ولأن دوائر الضوء مفرقة موزعة فقد جعل الدنانير تفر من البنان لتسقط على الأرض متناثرة.

لقد بهر الشاعر بالظل والضوء، وبهرته أيضا الثمار، والثمار أجمل ما تكون وقت نضجها، وقد عبر عن تمام النضج برؤيته ما يبدو داخل الثمار من سائل الشراب.

لها ثمر تشير إليك منه

بأشربة وقفن بلا أوانى

إن قشور الثمار لاتكاد ترى، فكأن الشراب لا يمسكه شىء!

ثم هناك المياه التى تجرى فى الجداول المفروشة بالحصباء، إن المياه تنساب ولها جرس وصليل رقيق، إنه أشبه بصليل (الحلى فى أيدى الغوانى).

وفوق الأغصان يشدو الحمام بصوت منغوم شجى طروب، لو سمعته القيان، لما ترددن فى مجاوبته ومتابعته بأجمل الألحان.

ومع هذه النشوة الطروب التى طالعنا بها المتنبى، إلا أننا نلاحظ أنه لم يستطع أن يتخلص تماما من طبيعته الآسية، فقد رأينا منه فى بداية الوصف ما يعكر عليه صفو اللحظة الحاضرة:

ولكن الفتى العربى فيها

غريب الوجه واليد واللسان

وكذلك لم يستطع أن يتحرر من إسار تفكيره الفلسفى الذى أطل علينا بشىء من مظاهره عندما أخذ يقارن بين الحمام الذى يشدو، وبين أهل فارس الذين يتحدثون فلا يفهم منهم شىء:

ومن بالشعب أحوج من حمام

إذا غنى وناح إلى البيان

وقد يتقارب الوصفان جدا

وموصوفاهما متباعدان

وأيضا عندما ساق على لسان حصانه رأيه فى ضلال البشر، وتركهم مواطن السرور إلى ميادين القتال، وتعليله ذلك بأنهم يجرون على سنة أبيهم عليه السلام الذى ترك الجنان إلى الأرض حيث العناء والشقاء.

يقول بشعب بوان حصانى

أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصى

وعلمكم مفارقة الجنان

ولكن ذلك الأسى، وهذا التأمل الفلسفى، إنما هما فى إطار التعبير عن الجمال، فجمال المكان يكون أكثر امتاعا لو أن سكانه كانوا عربا، وللمتنبى هوىً بالعروبة كما تعلم، وكذلك فإن هذا الجمال لا ينبغى الانصراف عنه إلى شىء آخر، ولو كان إلى ميادين القتال، حيث تبنى الأمجاد، ولكن ماذا يملك البشر؟ إنها السنة الأزلية لا يستطيعون التخلص منها.

لقد أجرى المتنبى هنا الحكمة على لسان حصانه، وفى هذا تهكم مرير بالإنسان الذى غابت عنه مثل هذه الحكمة، أو الذى يفسد على نفسه التمتع بالجمال المطروح والمعروض بين يديه.

ثم إن لنا وقفة مع صورة المتنبى (دنانيرا تفر من البنان). إن نفسية المتنبى تطل علينا من خلالها، نفسيته المحبة للمال والعطاء، فالدنانير الملقاة فى الثياب بعد أن تفر من البنان ماهى إلا صورة الدنانير التى يلقيها ممدوحوه فى حجره فتجلب له الرضا والسرور.. إنها صورة فيها تذكير لعضد الدولة بما ينتظره منه بعد أن يفرغ من إنشاده قصيدته، وإن كانت الصورة مسوقة فى معرض الحديث عن مظاهر الجمال فى شعب بوان.

ب ـ وهذه صورة ثانية من صور وصف الطبيعة عند المتنبى، وهى وصف لبعض ما يعيش فيها من الحيوان، وذلك حين وصف المتنبى الأسد فى شىء من الشمول والإحاطة، وقد ساق هذا الوصف فى معرض مدحه للوالى (بدر بن عمار) وقد دخل فى عراك مع أحد الأسود حتى صرعه، يقول المتنبى:

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البحيرة شاربا

وَرَدَ الفراتَ زئيرهُ والنيلا

متخضب بدم الفوارس لابسٌ

فى غَيْلِه من لبدتيه غيلا

ما قوبلت عيناه إلا ظُنتا

تحت الدجى نار الفريق حلولا

فى وحدة الرهبان إلا أنه

لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من تيهه

فكأنه آسٍ يجس عليلا

ويرد عفرته إلى يافوخه

حتى تصير لرأسه إكليلا

وأول شىء يتوقف عنده المتنبى فى وصف الأسد هو زئيره، إنه زئير عال جدا يكاد يصل من مكانه إلى النيل والفرات.

ثم يأخذ فى وصف جسده، فيصف منه لبدتيه، ويركز فى الوصف على كثافتهما وغزارتهما، ويقدم ذلك من خلال هذا التشبيه (لابس فى غيله من لبدتيه غيلا)، إنه يغطى رأسه بغابة من الشعر، فكأنه يختفى داخل غابة أخرى إلى جانب الغابة التى يسكنها من الأشجار.

أما عيناه فأبرز ما فيهما الوميض والبريق الذى يلمع لمعانا شديدا فى الظلام، ومثل ذلك فى هذه الصورة (ظُنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا)، إن وميضهما أشبه بنار قوم نزلوا موضعا بليل، والنار أشد ما تكون ظهورا إذا أوقدت فى الظلام.

أما مشيته فإنه يمشى فى رفق وتيه، ورفقه فى سيره تصوره هذه الصورة (فكأنه آس يجس عليلا) فهو لا يعجل، ولا يشتد فى سيره، كأنه يخاف أن يحدث ألما بالأرض، والصورة مؤيدة لهذا المعنى، إذ ليس أرفق من جس الطبيب للمريض.

ويصفه فى حالة غضبه وزمجرته حين يرد شعره إلى رأسه، فيبدو كأنه يلبس تاجا (حتى تصير لرأسه إكليلا)، والإكليل يعطى رسما دقيقا للشعر المنتصب بعد أن كان منسدلا على الرأس والعنق، وقد التفت الشاعر فى التشبيه بالإكليل إلى ما يلبسه الملوك على رءوسهم من التيجان، والأسد هو ملك الغابة، فليكن له من شعره تاج كتاج الملوك.

جـ - ومن وصف مافى الطبيعة من الحيوان، وصف المتنبى للخيل، والمعروف أن المتنبى كان يعشق الخيل، ولا يمل الحديث عنها فى الحرب والسلم، ومن الشعر الذى وصفها فيه وصفا ذاتيا مجردا عن وظائفها قوله من قصيدة أنشدها كافورا الإخشيدى بعد مغادرته سيف الدولة الحمدانى:

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته

حياتى ونصحى والهوى والقوافيا

وجُرْداً مددنا بين آذانها القنا

فبتن خفافا يتبعن العواليا

تماشى بأيد كلما وافت الصفا

نقشن به صدر البزاة حوافيا

وتنظر من سود صوادق فى الدجى

يخلن مناجاة الضمير تناديا

تجاذب فرسان الصباح أعنة

كأن على الأعناق منها أفاعيا

ففى الأبيات الخالصة للوصف، نرى المتنبى يقدم أوصافه لهذه الخيل ويبدأ الوصف بتصوير وقع حوافرها وهى تسير، ويختار الصخور ميدانا لوصف هذا الوقع الشديد، إشادة بها، فنقش الخيل فى الصخور صدور البزاة وانطباع حوافرها عليه، يكنى به عن شدة الحوافر وصلابتها، وهذا أمر راجع إلى الكفاءة البدنية العالية فى الخيل.

ثم يصور بعد ذلك شدة بصرها وعدم كلاله وضعفه فيجعل رؤية الخيل للشىء البعيد بنفس حجمه وهو قريب، كناية عن حدة البصر وقوته، إذ تساوى أمامة الدانى والبعيد، أما السمع فإن حسبان الخيل لنجوى الضمائر أصواتا يتنادى بها القوم، فيه إيحاء بالسمع المرهف الدقيق.

وأما ما عليه الخيل من قوة ونشاط وحيوية فيعبر عنه قوله:

تجاذب فرسان الصباح أعنة

كأن على الأعناق منها أفاعيا

فهى لا تألف التوقف والانتظار والسكون، ولذلك فهى تجاذب فرسانها أعنتها فى شىء كثير من العنف، والصورة البيانية (كأن على الأعناق منها أفاعيا)، تصور حجم هذه الحركة الجاذبة، فلو كان على الأعناق أفاع حقا، لما زادت حركتها للتخلص منها عن هذه الحركة شيئا.

وللخيل منا عودة عند الحديث عن شعر وصف الحرب.

وبعد.. فمن خلال النماذج الشعرية التى قدمناها، يتبين لنا شاهد ما قدمناه فى بداية الحديث عن هذا الجانب من جوانب الوصف فى شعر المتنبى.

فى ذِكرى الإسْراءِ والمِعراج

شعر / عبد الغنى أحمد ناجى

إذا اشْتدَّ كَرْبٌ وعَضَّ ابْتلاءٌ ∴ يَجيءُ انْفراجٌ ويأتى اصْطفاءْ
فخيرُ الأنامِ لَدَى اللهِ طُرًا ∴ تناهَى لديهِ الأذَى، والعَناءْ
هنا يَصطفيهُ الإلهُ بفضلٍ ∴ ويَدعوهُ يرقَى لأعلَى سَمَاءْ
فأسْرى به اللهُ فِى ليلةٍ ∴ وجبريلُ صَحْبٌ بأنقىَ صَفاءْ
برحلةِ نُورٍ، ومِن مَسْجدٍ ∴ إلى مَسْجدٍ فيهِ تمَّ اللقاءْ
لقاءُ الرسولِ برُسْلِ الإلهِ ∴ يُصلُّون دَعْمًا لأبقى إخاءْ
إخاءٌ لتوحيدِ رَبِّ البرايا ∴ فهذا الإخاءُ مَديدُ البقاءْ
وأحمدُ كانَ إمامًا لجمعٍ ∴ ورَمزًا لختْمٍ من الأنبياءْ
ويعرجُ فوقَ الطباقِ بجِسْمٍ ∴ وروحٍ لِيحظَى بخيرِ اصْطفاءْ
عروجٌ بأحمدَ فوقَ البُراقِ ∴ إلى سِدْرةِ المنتهىَ الانتهاءْ
وَتُفْرَضُ فوقَ السَّماءِ صَلاةٌ ∴ تكونُ عروجًا ورمزَ الولاءْ
وُصولاً بروحٍ إلى حيثُ تلقَى ∴ نعيمَ الإلهِ ندىَّ الرُّواءْ

بذكرى العروجِ تهيمُ النفوسُ ∴ فتذكرُ أحمدَ، والأنبياءْ
وتذكرُ مَن كانَ يدعو دَوامًا ∴ لحُبِّ الخلائقِ دُونَ الرِّياءْ
وتذكرُ مسْراهُ تحت الأعادِي ∴ يَعيثُونَ فيهِ بدون حَياءْ
وتسْمعُ صَوتًا كظيمًا يُنادِي ∴ أنا القدْسُ، هلْ تَسْمعون النِّداءْ؟!
مكانُ العروجِ : عروجِ النَّبىِّ ∴ يَرومُ الخلاصَ من الاعتداءْ
فكيفَ الخلاصُ وشَرُّ العبادِ ∴ يدوسونَ طُهرًا بكلِّ جَفاءْ؟!
فأينَ مُحبُّو جهادِ الرَّسُولِ ∴ وأينَ الشهامةُ والأوفياءْ؟!

فضمُّوا الصفوفَ على وَحدةٍ ∴ وصَفُّوا النفوسَ بخيرِ وَلاءْ
تفكُّوا المُقدَّسَ من أسْرِهِ ∴ لِينفضَ عنه غُبارَ البلاءْ
ويُسْمِعَنا «اللهُ أكبرُ» حُرًا ∴ نشيدَ المآذنِ عَبرَ الهواءْ
نشيدَ السَّلامِ بعزمِ الكفاحِ ∴ يُردِّدُهُ الدَّهرُ مِلءَ الفضاءْ

عليكَ الصلاةُ، عليكَ السَّلامُ ∴ رَسُولَ السَّلامِ بغيرِ انْحناءْ

في حوار مع أمين عام جمعية علماء أهل السنة بعموم الهند:

مسلمو الهند..
ثانى أكبر تجمع
إسلامى فى آسيا

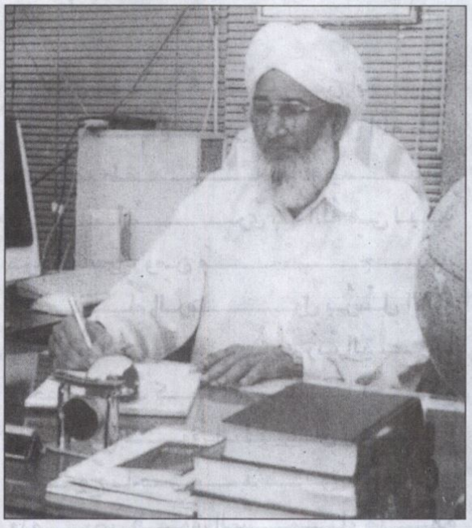

أجرى الحوار
محسن عبدالفتاح

استقر الدين الإسلامى وانتشر أبناؤه فى ربوع المعمورة منذ أربعة عشر قرنا، وساد سلطان المسلمين لعدة قرون فى أماكن عديدة فعمروا الأرض وعلّوا بنيان الحضارة.

ورغم تراجع مسلمى اليوم عن تقدم ركب الحضارة، غير أن هناك بعض التجارب المشجعة على وجه الخصوص من بعض التجمعات الإسلامية التى تبعدنا عنهم مسافات جغرافية شاسعة.

من هذه التجارب الناجحة تجربة الأقلية الإسلامية فى الهند، والتى تعتبر ثانى أكبر تجمع إسلامى فى قارة آسيا بعد دولة أندونيسيا حيث يبلغ تعداد مسلمى الهند اليوم أكثر من ١٥٠ مليون مسلم.

وللتعرف على مزيد من التفاصيل حول هذه التجربة الراسخة، أجرينا حوارا مع الشيخ أبو بكر ابن أحمد الأمين العام لجمعية علماء أهل السُنة والجماعة بعموم الهند ولمركز الثقافة السنية بولاية «كيرالا».

كيفية انتشار الإسلام:

عن الخلفية التاريخية للوجود الإسلامى فى الهند قال الشيخ أبو بكر: إن هذا الوجود قديم إلى الدرجة التى يبدو فيها متأصلا داخل المجتمع الهندى، حيث تمكن فى فترات زمنية زاهية من امتلاك ديناميكية سياسية واجتماعية، فالوجود السكانى للمسلمين فى الهند ليس وجودا ديموغرافيا ثبوتيا، بل حركيا بحكم العمق التاريخى له.

فى البداية وعن طريق التجارة بين مسلمى الجزيرة العربية، انتشر الإسلام بين سكان الساحل الغربى من شبه القارة الهندية، ومن ثم أخذ فى اعتناقه مع الوقت بقية السكان القاطنين فى هذه المناطق الساحلية نتيجة جهود التجار والدعاة معا.

أما عن انتشار الإسلام فى بقية الهند فتم ذلك عن طريق الفتح عندما غزا «محمد بن القاسم» عام ٩٤هـ بعض الجهات الشمالية الغربية، ثم غزا بعد ذلك «محمود الغزنوى» الفاتح الإسلامى البلاد المرة تلو الأخرى حتى بلغ عدد غزواته سبع عشرة غزوة، وذلك بين عامى ٣٩٢هـ و٤٦٥هـ، ففتح مدينة «بومباى»، وهى ميناء هام، إلى جانب بعض المدن الهامة فى المناطق الشمالية الغربية، إلى أن وصل المسلمون إلى البنغال وذلك أيام الغوريين، إذ فتحوا العاصمة «دلهى» ومدينتى بيهار والبنغال حوالى العام ٥٩٧هـ.

كان لمسلمى الهند دور متميز إلى جانب بقية أهل البلاد فى مرحلة الكفاح من أجل نيل الحرية والاستقلال

لقد استقر الدين الإسلامى وانتشر فى ربوع شبه القارة الهندية، وأقبل على الدخول فيه الناس طواعية بعد أن تعرفوا على مبادئه ولمسوا خُلُق حكامه وسماحة أهله فساد سلطان المسلمين نحو ثمانية قرون، وكانت تلك الفترة هى العصر الذهبى لأهل البلاد، حيث كانت أيام الرخاء والرغدة لكافة شعوب الهند وقومياته المتعددة.

■ مرحلة الكفاح ضد المستعمر:

وعن انحصار المد الإسلامى وأفول شمس تسيد الإسلام بالهند يقول الشيخ أبو بكر بن أحمد الداعية الإسلامى الهندى إن ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى غزو الاستعمار الغربى لهذه البلاد، فقد تعاقب على الهند المستعمرون البرتغاليون فى البداية ثم الهولنديون، فالفرنسيون، ثم الانجليز حيث عملوا على تطبيق سياستهم المعروفة «فرق تسد»، ونظرا لاتساع البلاد وتعدد القوميات والأعراق، نجحت هذه السياسة واستأثر الاستعمار الانجليزى بالقسم الأكبر من البلاد، وأحس مسلمو البلاد بالخطر فانفجرت ثورتهم عام ١٢٧٠هـ - ١٨٣٥م وتصدوا للمد الاستعمارى فاستعادوا السيطرة مرة أخرى على «دلهى العاصمة» وبعض المناطق. ولم يدم ذلك التعايش طويلا بين الوجود الاستعمارى وأهل البلاد من المسلمين، فدانت الغلبة للانجليز وذلك بمعاونة البعض من أهل الديانات الأخرى الذين استفادوا وارتبطت مصالحهم بالعلاقة مع المستعمر، وتكالب الجميع انجليز وهنود غير المسلمين ضد مسلمى البلاد فكان الاضطهاد ومصادرة الأموال، وهدم المساجد والمحاصرة، ومن بعد، الإبعاد إلى مناطق معزولة وبالتالى حرمان من التعليم والخدمات الصحية وغيرهما من ضروريات الحياة الإنسانية، فبات وضع المسلمين يتصف بالتواضع الثقافى والتعليمى والاجتماعى والاقتصادى، علاوة على الاضطهاد السياسى الذى تعرضوا له من قبل الاستعمار وأعوانه من القوميات والديانات الأخرى، حيث أغدق عليهم الانجليز الأموال والوظائف المرموقة والأراضى الزراعية الجيدة، ونصبوا منهم حكاما محليين يأتمرون بأمرهم ويدينون لهم بالطاعة والولاء.

■ **دسائس الاستعمار:**

مع بروز الدعوة لاستقلال الهند وبداية مرحلة الكفاح من أجل نيل الحرية وتحرير البلاد من الاستعمار البريطانى، انخرط الجميع بكافة الانتماءات الدينية فى شرف هذه المعركة المقدسة، وكان لمسلمى الهند دور متميز إلى جانب بقية أهل البلاد من الديانات الأخرى، فكان أن تأسس حزب «الرابطة الإسلامية» إلى جانب حزب «المؤتمر الهندى» الذى انضم إليه بعض المسلمين، ودارت رحى المعركة من أجل الاستقلال، فكان النصر حليف الهند حيث تحررت البلاد من استعمار جثم على أنفاسها وحاول أن يفرق بين أهلها عن طريق الانتماء الدينى، الأمر الذى أوقع بعض علماء الإسلام فى حبائل الحضارة الغربية، وانبهروا بتقدمها المادى، ومع اتصالهم بجماعات الاستشراق، وبعض الدوائر الصهيونية، راحوا يبتدعون تفسيرات دينية تغاير مبادئ الإسلام، وتناسب التوجه الغربى، وراحوا يبذلون قصارى جهدهم من أجل التفرقة بين أبناء المجتمع الإسلامى، من أجل زعزعة العقيدة، وإضعاف البنية، ومن ثم هدم الكيان الإسلامى لا قدر الله.

■ **التصدى للأخطار:**

فكان أن قام العلماء المخلصون الغيورون على دينهم الإسلامى فى ولاية «كيرالا» بإنشاء جمعية إسلامية تحت اسم «جمعية العلماء لعموم كيرالا» وذلك للتصدى لهذا الخطر ودحض الأكاذيب والأباطيل التى روج لها مدعو العلم الدينى ممن حسبوا على الإسلام ومن أجل توعية عامة المسلمين بتعاليم الإسلام الحقة، وحثهم على التمسك بمبادئ دينهم السمح.

وهكذا تم فيما بعد تأسيس جامعة مركز الثقافة السُنية عام ١٩٧٨م بقرية «كرنتور» احدى ضواحى مدينة «كاليكوت» التجارية الشهيرة بولاية «كيرالا»، ولاشك أنه كان لهذا العمل تأثير كبير فى النهضة الحديثة لمسلمى الهند، خاصة، أنها احدى الجامعات الإسلامية على مستوى العالم الإسلامى، حيث يقوم بالإشراف عليها نخبة من خيرة علماء المسلمين من داخل وخارج الهند، فعملت على رفع المستوى العلمى لأبناء الهند من المسلمين خاصة فى مجال العلوم الدينية، الأمر الذى جعل أبناء الجامعة بدورهم دعاة علم ودين بين أهليهم وبين عموم المجتمع الهندى بشكل عام.

هناك تعاون كبير بين المؤسسات الإسلامية الهندية ومثيلاتها فى مصر

الحمد لله لقد نجحت جامعة مركز الثقافة السُنية الإسلامية فى قيادة أبناء مسلمى الهند إلى دروب الإسلام السمح، وذلك عن طريق إرساء قواعد تعامل وسطية بعيدة عن الغلو والتطرف، تجمع بين العلم والدين، فى ظل عالم يسرع بخطى علمية واسعة تطأ كل من لا يكون فى مستوى تقدم مناسب يساير متطلبات العصر.

لقد تطورت وازدهرت جامعة مركز الثقافة السُنية الإسلامية وأصبحت مركزا حيويا يخدم كافة أنشطة مسلمى الهند، وبات بها الآن أكثر من عشرين كلية متخصصة فى علوم دينية وعصرية تخدم زهاء ٨٠٠٠ طالب وطالبة، إضافة لدورات متخصصة فى مجال العلوم الإسلامية تقدم لمن يحصل على المؤهل الجامعى لتأهيله للتعامل مع الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية بأسلوب سهل مقنع يفهمونه ويستفيدون منه.

وحول التعاون المشترك بين المؤسسات الدينية فى مصر وبين مسلمى الهند أشار الشيخ أبوبكر

إلى أنه تم مؤخرا فى إطار التعاون بين المؤسسات الدينية فى جمهورية مصر العربية ومسلمى الهند - معادلة الشهادات العلمية الدينية التى تمنح من جامعة مركز الثقافة السُنية الإسلامية بمثيلاتها التى تُمنح من جامعة الأزهر - وأضاف: هذه خطوة كبيرة نثمنها ونقدرها كل التقدير، ذلك أن جامعة الأزهر لها من المكانة العلمية كجامعة إسلامية عريقة مكانة لا تباريها فيها أى جامعة علمية إسلامية أخرى.

هذا من جانب، ومن جانب آخر هناك تعاون مشترك بيننا وبين المؤسسات الدينية الأخرى بمصر مثل دار الافتاء ووزارة الأوقاف وذلك فى إطار تبادل الخبرات من علماء ودعاة دينيين ونحن دائما نجد كل الاهتمام والاستجابة لمطالبنا من جانب علماء ومسئولى المؤسسات الإسلامية بمصر، فهم يعملون على تلبية احتياجاتنا من أعضاء هيئة تدريس فى جامعاتنا الإسلامية وبطبيعة الحال احتياجات جامعة مركز الثقافة السُنية الإسلامية التى أشرف بتحمل مسئولياتها مع زملاء أفاضل.

■ وعن المؤتمر السنوى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية قال فضيلة الشيخ أبو بكر بن أحمد: هذا التجمع السنوى الهام لمختلف علماء الإسلام من شتى بقاع الأرض ولا أقول من العالم العربى الإسلامى فقط، هو التجمع الوحيد الذى يحظى باهتمام الإنسان المسلم بشكل عام والمسئول المسلم - عالما كان أو داعية - بشكل خاص. ونحن نحرص على تلبية هذه الدعوة كل عام والمشاركة بوفد هام للإفادة والاستفادة، واسمحوا لى أن أحيى على صفحات مجلتكم القراء القائمين على هذا المؤتمر وحسن اختيارهم لموضوع العام وهو «التجديد فى الفكر الإسلامى»، فالأمة الإسلامية فى حاجة كل فترة زمنية لتجديد فكرها والعمل على تطويره مسايرة للعصر، فالجمود مرفوض والتعنت ممقوت، وحتى الحركة فى ذات المكان غير مجدية، فيجب أن تكون هذه الحركة إلى الأمام وإلى الأفضل وإلى الأحسن.

■ وماذا عن القضايا الأخرى - فى رأيكم - التى تشغل بال الأمة الإسلامية اليوم؟

لاشك أن القضية الفلسطينية هى إحدى أهم قضايا المسلمين ومحط اهتمامهم على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان، هاهى الآن - وبعد سقوط مدينة القدس كاملة فى أيدى اليهود عام ١٩٦٧م - أصبحت القضية الفلسطينية

الأمة الإسلامية فى حاجة كل فترة زمنية لتجديد فكرها وتطويره مسايرة لروح العصر

هى قضية كل مسلم أينما كان. والجهاد من أجل تحريرها - بشتى السبل - واسترجاعها فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ونحن نعمل على مساعدة إخواننا فى فلسطين هذه الأيام بالمساعدات المالية والعينية بقدر استطاعتنا لنقوى من وقفتهم أمام صلف وغرور اليهود، لتزداد الانتفاضة اشتعالا وتأثيرا من أجل استرداد الحقوق العربية وعودة المقدسات الإسلامية خاصة مدينة القدس مسرى الرسول ﷺ ومعراجه إلى رب العرش الكريم.

إن إحياء ذكرى الإسراء والمعراج كل عام من جانب كافة المسلمين هو إحياء لأمل تحرير المدينة المقدسة من محتليها اليهود، وكما نجح مسلمو الأمس بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبى فى تحريرها من أيدى الصليبيين، فسننجح نحن أو أبناؤنا غدا فى تحريرها واستردادها من أيدى اليهود.

الإسلام فى كازاخستان

جامعة نور مبارك رمز للأخوة والصداقة بين شعبى مصر وكازاخستان

تعد كازاخستان أقصى بلد فى الموقع الجغرافى من العالم الإسلامى، تحدها روسيا من الشمال والشرق ومن الجنوب الصين، والشعب الكازاخستانى من الشعوب التى ناضلت من أجل الدفاع عن أراضيها، كما ناضلت من أجل الدفاع عن الدين الإسلامى والحفاظ على هويته، وقد وقع الشعب الكازاخستانى تحت احتلال روسيا القيصرية فى القرن التاسع عشر، وإبان تلك الفترة أبيدت الملايين من أبناء الكازاخستان وخاصة فى العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، وذلك بسبب إرهاب «ستالين» من جهة، والتجويع الكبير المنظم من قبل البلاشفة من جهة أخرى.

لم تستطع الشيوعية استئصال قيم الإسلام من وجدان شعب كازاخستان أثناء سيطرتها على البلاد

وأثناء سنوات الاحتلال هدمت العديد من المساجد وتم اضطهاد المسلمين والشخصيات الدينية، ومع ذلك استطاع الشعب الكازاخستانى ـ المحب للحرية ـ الثبات والصمود فى وجه التحديات وحصل على استقلاله سنة ١٩٩١م، وسيتم الاحتفال بالذكرى العاشرة للاستقلال هذا العام.

أسس الحضارة الإسلامية

ومما لاشك فيه أن الإسلام بعد انتشاره فى السهول الكازاخستانية وضع أسسا للحضارة والعلوم والثقافة، وبانتشار الإسلام فى كافة أرجاء الدولة بدأ تعمير وإعادة البناء لكل المدن مثل الماطى، بالاساغون، ميركة، كولان، طزاز، سيرام، أو طراز «فراب»، سوتكنت سوران، سغناق، جنت، بارشنكنت، تركستان.. إلخ.

وبنشأة الحضارة المدنية فى السهول الكازاخستانية، شرع الانتقال من أسلوب الحياة البدوية إلى أسلوب الحياة الحضرية، وأهدت للعالم كثيرا من العلماء اللغويين، والفلاسفة، والمؤرخين، والشعراء.

وفيما بعد أصبحت المدن مثل تركستان، طراز، أو طرار، «فراب»، اسفدجاب، سغناق، منبتا خصبا للتجارة والحرف ومركزا للعلاقات التجارية وأيضا الحياة الروحية والفكرية، وأنجبت للعالم الكثير من الشخصيات العظيمة مثل أبو نصر

الفارابى وأبو إبراهيم إسحاق الفارابى، إسماعيل الجوهرى الفارابى، جمال الدين سعيد التركستانى، خوجا أحمد عيساوى، داود التركستانى، باقى محمد التركستانى، يعقوب الجنتى، الشيخ بابا ساغاناقى، محمد حيدر دولاتى، قدر على جالايرى.. إلخ.

إن نظام الدولة الكازاخستانية مرتبط بصورة كبيرة بنشر الإسلام فى أراضى الجمهورية، وقد انتشر فى كازاخستان بسبب كونه الرسالة التى فيها هدى للناس جميعا، وانسجام المعاملة الإسلامية مع فطرة الناس، لذا كان الإقبال على اعتناق الدين الإسلامى كبيرا.

وبالرغم من سيطرة السلطة السوفييتية على الشعب الكازاخستانى المسلم، لم تستطع استئصال القيم الدينية من وجدان الشعب الكازاخستانى، وفى خلال عشر سنوات من الاستقلال والسيادة الكازاخستانية، تم استرجاع الكثير من القيم الروحية ولاسيما الدينية منها إلى مجراها الصحيح.

ومن الملاحظ أنه خلال هذه الفترة القصيرة نسبيا تم بناء وافتتاح مئات المساجد بلغ عددها ألفا وأربعمائة مسجد.

وفى كازاخستان يسكن حوالى خمسة عشر مليون نسمة يشكلون مائة وواحدة وثلاثين مجموعة عرقية يمثل المسلمون ٧٠ فى المائة منها يعيشون معا فى وئام ووفاق مثل كازاخى، تترى، أوزبكى، أوغورى، دونغانى.

ومن المعروف أن الدين هو الثقافة الروحية التى يحتفظ بها الشعب فى تقاليده وعاداته، ومن هنا كانت المحافظة على التقاليد بمعانيها الجيدة التى تساعد الشعب على ألا ينسى تاريخه وماضيه والذى على أساسه يستطيع أبناء الوطن بناء مستقبلهم بالتفاؤل والسعادة.

ونظرا للتاريخ المجيد لشعب كازاخستان، يمكن القول بأنه يجرى الآن تعميق الثقافة الروحية الدينية بصورة كبيرة.

وتتميز الحضارة الإسلامية باندماج ثقافات مختلفة قديمة مثل ثقافات الأتراك العرب والفرس.. وقد أثرت هذه الحضارة ما كان فى السهول من قيم وصفات بدوية كريمة مثل الجود والكرم، وإكرام الكبار واحترام الأسلاف والتحمل والرجولة، وكرم الضيافة.. الخ، وهذه الصفات النبيلة هى التى تكون عقائد الناس وتعكس ثقافة قوميتهم وأمتهم ودولتهم.

يلعب الدين دورا كبيرا فى توطيد الوفاق الاجتماعى بين القوميات فى كازاخستان

ولقد بقى الوعى الدينى عنصرا رئيسيا فى الحياة الروحية للمجتمع الكازاخستانى، ويعمل العامل الدينى بالتعاون مع عوامل أخرى مثل العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على تطوير كازاخستان.

وبفضل الدين الإسلامى ـ الذى له دوره فى التسامح والتكافل والتكامل فى المجتمع ـ صار لدى الشعب الكازاخستانى معان روحية سامية واحترام للشعائر الدينية والمثل العليا مثل العدالة والعزة والكرامة.

وعلاوة على هذا يقدم الإسلام لشعب كازاخستان ـ الذى يتوارث الحضارة الإسلامية

العزيزة للأتراك ـ علوما روحانيا وقيما، فمثلا تدعو الشريعة الإسلامية المسلمين إلى الالتزام بالنظام الاجتماعى والاقتداء بالشخصيات التى سارت على نهج الأجداد مثل «تولى بى، أيتكى بى، قاضى بك بى، ارستان باب، خوجا أحمد يساوى، قاسم خان، إيسيم خان، وإيلاى خان».. الخ، مما يعلى من تعاليم الإسلام الروحية السامية والقوانين الإسلامية التى تمثل القيم لكل البشرية، وما الشريعة إلا مجموعة مبادئ إنسانية وقواعد سلوك طيبة للمسلمين.

ومما لاشك فيه أن الدين ـ كعنصر أساسى فى الحياة البشرية ـ لا يستطيع أن يبقى منفصلا عن الحياة الاجتماعية والسياسية التى تجرى فى الجمهورية، الدين الإسلامى فى كازاخستان له دور كبير فى الحفاظ على الوفاق الاجتماعى بين القوميات المختلفة، وأيضا فى تحصين الجمهورية التى هى بمثابة البيت الكبير لكل الشعوب التى تسكن فيه، وازدهار الدولة وتطوير حياة الشعب لايتمان إلا فى حالة السلام والوفاق.. والعناية بالسلام والحفاظ عليه واجب كل مواطن.

الدعوة للسلام والبعد عن التعصب الدينى مبدأ أساسى فى نظام حياة الشعب الكازاخستانى

الحوار البناء

والجدير بالذكر أن حوار الأديان والمذاهب له دور كبير فى الحفاظ على السلام بالمجتمع، وإلا سيحدث التفكك والشقاق بين الناس، ومن هنا كانت الدعوة للسلام وعدم التعصب للدين بين القوميات.

ولم يكن الإسلام فى كازاخستان ولن يكون مصدرا للشقاق بين القوميات، فهو يدعو دائما الشعوب ـ بغض النظر عن اختلافاتهم العرقية والثقافية واللغوية والدينية ـ للتفاهم والوفاق الاجتماعى وحسن الجوار.

الجامعة الإسلامية المصرية:

وسوف يتم بمشيئة الله خلال شهر سبتمبر الحالى افتتاح الجامعة المصرية للحضارة الإسلامية فى مدينة «الماطى» والتى تأتى تسميتها باسمى الرئيسين المصرى والكازاخستانى «نور ـ مبارك» والتى شرفت بزيارة رسمية من الوفد المصرى برئاسة وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق، تم خلالها توقيع اتفاقية حول الجامعة المصرية للحضارة الإسلامية «نور ـ مبارك».

وتم الانتهاء من عمارة الجامعة الإسلامية التى بنيت من قبل الحكومة المصرية بمبادرة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بناء على طلب من رئيس جمهورية كازاخستان أثناء زيارته الرسمية لمصر سنة ١٩٩٣م، وسوف تصبح هذه الجامعة رمزا حقيقيا للصداقة بين الشعبين المصرى والكازاخستانى، وفى هذه الجامعة سوف يتم إعداد المتخصصين فى الدين بمساعدة المصريين والأشقاء العرب، وكلنا أمل أن يشرف الافتتاح بحضور ضيوف رفيعى المستوى من مصر للمشاركة فى الاحتفال بهذا الحدث العظيم.

كاتب المقال الدكتور الحاج
عبدالستار درويش على
رئيس الإدارة الدينية لمسلمى كازاخستان
المفتى العام

من وراء الأخبار

منير بيومى

خطر الإدمان يهدد الشباب ويمتد إلى الأطفال

لأول مرة فى مصر:

مؤتمر دولى حول دور الدين والعلم فى مكافحة الإدمان

تعقد وزارة الأوقاف بالتعاون مع المركز القومى لمكافحة الإدمان، ومركز الطب النفسى بجامعة عين شمس، والاتحاد العربى للجمعيات الأهلية للوقاية من الادمان، مؤتمرا دوليا حول «الدين والعلم فى مواجهة الإدمان».

أعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن المؤتمر يعقد تحت رعاية السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية وهو الأول من نوعه، وسيبدأ يوم ٢٧ أكتوبر القادم ويستمر ثلاثة أيام حيث يتناول دور الدين والعلم معا فى مكافحة الإدمان لأن تعميق الإيمان أحد الوسائل الفعالة للوقاية من الإدمان لأن التفرقة بين الدين والعلم من الأمور المصطنعة وبالتالى يتم توظيفها فى مواجهة هذه القضية.

وأضاف د. زقزوق أن منح المؤتمر صفة الدولى سيؤدى إلى الاستفادة من خبرة وتجربة الآخرين، لأن التوعية يجب أن تكون شاملة وكاملة. وقال: إن المؤتمر سيشارك فى أعماله خبراء وأطباء من أوروبا وأمريكا للاستفادة من تجارب هذه الدول فى مواجهة الظاهرة، مشيرا إلى أن انعقاد المؤتمر يأتى فى ظل اهتمام متزايد من الدولة والوزارات والمؤسسات المعنية بهذه الظاهرة التى تحتاج إلى وقفة حاسمة للتخفيف من آثارها وفى ظل وضع استراتيجية عاجلة بأخطار الإدمان بحيث يخرج المؤتمر بأوراق عمل وتوصيات عملية قابلة للتنفيذ.

وقال: إن فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، وقداسة البابا شنودة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ورجال الدين الإسلامى والمسيحى سيتحدثون فى المؤتمر.

وقالت الدكتورة سهير لطفى رئيس المؤتمر ورئيس صندوق مكافحة علاج الإدمان: إن قضية الإدمان لا تحتاج إلى رؤية نقدية بقدر احتياجها إلى تكاليف جميع المصريين لمواجهة هذا الخطر مشيرة إلى دور الأسرة الكبير وقبل أن نطالبها بهذا الدور علينا أن نقدم لها المعلومة الصحيحة أولا، وأسلوب التربية بحيث أن يراعى المتغيرات الجديدة التى نعيشها فى ظل العولمة والثقافات المفتوحة ولكننا شركاء ومسئولون عن مواجهة هذا الغزو وتحصين أنفسنا ضد الأنماط والأساليب الجديدة التى يتبعها بارونات المخدرات فى العالم.

وقال الدكتور عادل صادق مدير مركز الطب النفسى بجامعة عين شمس إنه لم يحدث منذ مائة سنة أن عقد مؤتمر يناقش العلاقة بين الدين والعلم معا فى مكافحة الإدمان، وقال إن

الاحصاءات الأخيرة أكدت أن من بين ١٠ منازل فى مصر يوجد منزل به مدمن أو أكثر، وأن المستشفيات ومراكز العلاج من الإدمان بها قوائم انتظار لمدة شهرين لعلاج الشباب المدمن، وأن مصر يدخلها كل عام أنواع مختلفة من المخدرات تقدر بنحو ١٤ مليار جنيه، وأن الإدمان انتشر بين الأطفال حتى وصل إلى الأطفال فى سن ٩ سنوات.

وأضاف د. عادل صادق أن المؤتمر سيناقش من خلال المحاور البناء الأخلاقى للمدمن والاشباع الروحى وإثارة الإحساس بالذات والكرامة الإنسانية، وإحداث التوازن النفسى لدى المدمن بدلا من إحساسه بأنه منبوذ من داخل المجتمع، إضافة إلى وضع تصور شامل للحياة الإنسانية السوية من خلال عامل الدين.

وأكد الدكتور أحمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العربى لمكافحة الإدمان أن قرارات الأمم المتحدة طالبت بأن يكون لكل دولة حتى نهاية عام ٢٠٠٣م استراتيجية **ونظام عملى للعلاج والوقاية من الإدمان** والانتقال من القرارات النظرية إلى المنهج العملى حتى يمكن تعميق القيم بأسلوب مقبول بدلا من إهدار الطاقات الإبداعية والإنتاجية للأسرة وما تسببه من تداعيات خطيرة بسبب الإدمان.

هذا وتضم اللجنة المنظمة للمؤتمر الدكتور إسماعيل شبايك رئيس مجلس إدارة مستشفى الدعاة، والدكتور عبدالناصر عمر أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس.

أول سيدة مسلمة أمينا عاما لمنظمة العفو الدولية

تعتبر السيدة البنجلاديشية أرين زبيدة خان أول امرأة مسلمة تتولى منصب الأمين العام لمنظمة العفو الدولية وهى بذلك تعتبر سابع أمين للمنظمة منذ إنشائها قبل أربعين عاما وهى تبلغ من العمر ٤٤ عاما، وهى أستاذة فى القانون الدولى العام، وحقوق الإنسان بجامعة «دكا». كما درست العلوم القانونية فى جامعة مانشستر والتحقت بالمفوضية العامة للاجئين التابعة للأمم المتحدة كمستشارة فى عام ١٩٨٠م، ثم أصبحت رئيسة للمفوضية فى عام ١٩٩٥م، وفى عام ١٩٩٩م عينت مساعدة مديرة هيئة الحماية الدولية.

كليتان للطب والهندسة لمسلمى الهند

أعلنت جمعية المسلمين فى بلدة تريفاندروم بولاية كيرالا الهندية أنها تعتزم إنشاء كليتين جامعيتين لاستقبال الدارسين من المسلمين فور بدء الدراسة بها وسوف تكون إحدى هاتين الكليتين لدراسة الهندسة والأخرى للطب بحكم حاجة المجتمع المسلم فى هذه المدينة إلى هذين التخصصين أكثر من غيرهما. جدير بالذكر أن جمعية مسلمى تريفاندروم تدير العديد من المؤسسات التعليمية فى المدينة، وقد احتفلت بمرور ٤٤ سنة على تأسيسها.

إطار فضى جديد للحجر الأسود بالكعبة المشرفة

جددت الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف الإطار الفضى الموضوع حول الحجر الأسود بالكعبة المشرفة وذلك بدلا من الإطار القديم الذى كان قد وضع منذ عشرين عاما. ويزن الإطار الجديد ثمانية وثلاثين كيلو جراما من الفضة الخالصة، وهو الإطار الثالث فى عهد الدولة السعودية، وتكلف الإطار الجديد ثلاثة وعشرين ألف ريال، ويستغرق صنعه ثلاثة أشهر، وكان الإطار القديم يزن خمسين كيلو جراما، إلا أن وزنه كان ينقص بالتدريج نتيجة لمس آلاف الطائفين حول الكعبة الشريفة له.

حيثيات الحكم بوقف الاحتفال بمولد أبوحصيرة

في محافظة البحيرة يقام احتفال سنوى فى قرية دمتيوه بمولد الحاخام اليهودى أبو حصيرة فى مهرجان من الدجل الصهيونى والفجور يصاحبه ممارسات تتنافى مع الآداب العامة والتقاليد الإسلامية تؤذى مشاعر المسلمين والأقباط فى مصر، الأمر الذى أثار مشاعر أهل القرية مطالبين بوقف هذا العبث، وانتظروا حكم القضاء المصرى المعروف بنزاهته وعدالته.

هذا، وقد أصدرت محكمة القضاء الإدارى بالإسكندرية دائرة «البحيرة»، حيثيات الحكم بوقف قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام اليهودى أبو حصيرة والمقابر اليهودية التى حوله بقرية دمتيوه بدمنهور من الآثار الإسلامية والقبطية ووقف الاحتفالية السنوية لمولد أبو حصيرة التى تقام فى ٢٦ ديسمبر، ورفضت نقل رفات أبو حصيرة خارج مصر لعدم وجود ضرورة ملحة لذلك. صدر الحكم برئاسة المستشار مهند كامل عباس نائب رئيس مجلس الدولة وعضوية المستشارين على إسماعيل عبدالحافظ، والدكتور محمد عبدالوهاب خفاجى.

ضريح أبو حصيرة والمقابر المحيطة به لا يمثلان قيمة دينية أو حضارية للشعب المصرى

قالت المحكمة فى حيثياتها إن رفضها لدفع الجهة الإدارية بعدم اختصاص المحكمة ولائيا بنظر الدعوى تأسيسا على أن مصر أبرمت مع إسرائيل اتفاقية سلام والمعروفة باتفاقية كامب ديفيد، وأن منع احتفالية أبو حصيرة على الإسرائيليين يدخل فى نطاق أعمال السيادة باعتبارها مسألة علاقات دولية لا تخضع لرقابة القضاء.. ردت المحكمة أن معيار التفرقة بين الأعمال الإدارية التى تباشرها الحكومة فى حدود وظيفتها الإدارية وبين أعمال السيادة باعتبارها سلطة حكم مرده، إلى القضاء الذى ترك له المشرع سلطة تقرير الوصف القانونى للعمل المطروح عليه، وما إذا كان يعد عملا إداريا يختص بنظره، أو سياديا يمتنع عليه النظر فيه، والثابت من الأوراق أن الجهة الإدارية لم تقدم ما يفيد أن احتفالية الحاخام اليهودى أبو حصيرة منصوص عليها فى اتفاقية كامب ديفيد حتى يمكن إسباغ وصف أعمال السيادة عليها، وبالتالى فإن المحكمة مختصة بنظر الدعوى.

الأثر فى القانون

أضافت المحكمة أن المشرع وضع قيدين لاعتبار الشىء سواء - عقارا أو منقولا - آثارا.

القيد الأول موضوعى يشتمل فى أن يكون الأثر مما أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والعلوم والآداب والأديان من عصر ما قبل التاريخ وخلال العصور التاريخية المتعاقبة.

والقيد الثانى زمنى بأن يكون ذلك الأثر من التاريخ القديم حتى ما قبل ١٠٠ عام بشرط أن تكون له قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية بحسبانه

فى جميع الحالات مظهرا من مظاهر الحضارات المختلفة التى مرت واستقرت فى مصر.

وأضافت أن الدراسات التاريخية أثبتت أن اليهود طوال فترة اقامتهم فى مصر، والتى تتراوح ما بين ٢٠٠ عام إلى ٤٠٠ عام، كانوا أقلية ولم يتركوا أى أثر حضارى تأثرت به الحضارة المصرية حيث خلت الآثار وجدران المعابد الفرعونية من ذكر اليهود، وهذا دليل على عدم وجود شأن يذكر لهم فى مصر القديمة.. والثابت تاريخيا أن اليهود وفدوا إلى مصر أثناء غزو الهكسوس لمصر سنة ١٦٥٠ق.م وخرجوا منها على دفعتين: الأولى فى عهد رمسيس الأول حيث طردهم المصريون نتيجة سلبهم القرى المصرية وسرقتهم أوانى المصريين الذهبية وملابسهم كما هو وارد فى سفر الخروج ١٢، ٢٥، ٣٦، والدفعة الثانية: كانت فى عهد الملك مرمنياح الأول عام ١٢٢٥ق. م حيث خرج اليهود مع سيدنا موسى عليه السلام ووصلوا إلى مشارف الضفة الشرقية من أرض كنعان.

أبو حصيرة لا تنطبق عليه الشروط

وقالت المحكمة إن مما سبق يتضح أن اليهود خلال إقامتهم فى مصر لم يشكلوا حضارة، بل كانوا قوما متنقلين يعيشون فى الخيام ويرعون الأغنام ولم يتركوا ثمة أثر يذكر فى العصر الفرعونى، وبالتالى فإن القرار الذى أصدره وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام اليهودى أبو حصيرة بقرية دمتيوه بمدينة دمنهور والمقابر اليهودية التى حوله ضمن الآثار الإسلامية والقبطية رغم أنه مجرد قبر لفرد عادى لا يمثل أى قيمة حضارية أو ثقافية أو دينية للشعب المصرى حتى يمكن اعتباره جزءا من تراث هذا الشعب ،وهو الأمر الذى يكون معه قرار وزير الثقافة باعتبار الضريح والمقابر اليهودية ضمن الآثار الإسلامية والقبطية مخالفا للقانون لانطوائه على مغالطة تاريخية تمس كيان الشعب المصرى الذى هو ملك لأجيال الأمة وليس للأشخاص كما ينطوى على إهدار فادح للمشرع المصرى الذى لم يعترف بأى تأثير يذكر لليهود أثناء إقامتهم القصيرة فى مصر.

الاحتفال تصاحبه ممارسات وطقوس مخالفة للآداب العامة والتقاليد الإسلامية

قالت المحكمة: إن قيام وزير الثقافة بإصدار قراره باعتباره ضريح الحاخام اليهودى والمقابر اليهودية ضمن المقابر الإسلامية والقبطية بعد أيام معدودات من رفع الدعوى، إنما قصد به اضفاء الشرعية على الاحتفالية السنوية بالحاخام اليهودى والتى تؤذى مشاعر المسلمين والمسيحيين فى مصر بسبب الممارسات اللاأخلاقية، وبالتالى يكون وزير الثقافة قد أغفل المصلحة العامة الأمر الذى يشوبه بعيب الانحراف بالسلطة.

لا إسلاميا أو قبطيا

قالت إنه لا يمكن عقلا ومنطقا اعتبار ضريح الحاخام اليهودى والمقابر اليهودية التى حوله ضمن الآثار الإسلامية والقبطية لأن الثابت من الأوراق أنها مقابر لأشخاص لا يدينون بالإسلام

أو المسيحية، وبالتالى فإن إسباغ وصف الأثر الإسلامى أو القبطى على تلك المقابر اليهودية يمكن أن يثير فتنة بين الديانات، إذ كيف يكون الأثر إسلاميا وقبطيا وصاحبه يهودى؟ فهذا يعد خروجا سافرا على أهداف وفلسفة القانون المصرى وليس مقاصده، لعدم الاعتراف بأى تأثير يذكر لليهود على الحضارة المصرية القديمة باعتبارها أعرق وأقدم حضارة عرفتها الإنسانية مما يكون القرار المطعون فيه ولد ميتا إلى حد الانعدام وغير قانونى وغير قائم على سند من الواقع أو القانون ويتعين وقف تنفيذه.

رفات أبو حصيرة

وقالت المحكمة فى حيثيات حكمها برفض نقل رفات الحاخام أبو حصيرة لخارج البلاد إن الدين الإسلامى المصدر الرئيسى للتشريع ودين الدولة اتخذ موقفا متسامحا تجاه الأديان الأخرى والإسلام، احترم وقدس الموتى سواء كان مسلما أو غير مسلم، وحيث قام رسول الإنسانية محمد ﷺ واقفا لاحدى الجنازات عندما مرت عليه وعندما أخبره أحد الصحابة أنها جنازة يهودى فرد الرسول ﷺ عليه **«أليست نفسا؟!»**، لذلك فإن المطالبة بنقل رفات الحاخام اليهودى يتعارض مع سماحة الإسلام ونظرته السمحة مع أهل الكتاب واحترام عقائدهم وكنائسهم وقبورهم وموتاهم باعتبارا مأوى المرء أيا كانت ديانته بعد مماته، وقد خلت الأوراق من ثمة ضرورة تقضى بنقل الرفات وبالتالى يكون الطلب غير مستند إلى أساس سليم مما يتعين رفضه.

وقف الاحتفالية

قالت المحكمة فى حيثيات حكمها بوقف الاحتفالية بالحاخام أبو حصيرة اليهودى والتى تقام كل عام من ٢٦ ديسمبر حتى ٢ يناير إن المشرع الدستورى قد كفل حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية بشرط عدم اخلالها بالنظام العام والآداب، وإذا كان المشرع الدستورى قد أغفل فى دستور ٧١ النص على ذلك صراحة عكس ما كان الوضع عليه في دساتير ٢٣، ٥٦، ٥٨، ٨٤، فإن ذلك لا يعنى إباحة الاعتقاد بإقامة شعائر دينية تخالف النظام العام والآداب، حيث إن إغفال المشرع الدستورى من النص عليه صراحة لاعتبار أنه أمر بدهى وأصل دستورى ثابت يتعين اعماله ولو لم ينص عليه، والتمتع بحرية ممارسة الشعائر الدينية وإقامة الاحتفال لها يلزم أن تتم مظاهر الاحتفال فى بيئة محترمة تتفق مع وقار الشعائر الدينية وطهارتها، وألا تكون سببا فى الاحتكاك بين الطوائف المختلفة وإثارة الفتنة، ولما كان الثابت من ظاهر الأوراق أن الاحتفال السنوى بمولد الحاخام اليهودى أبو حصيرة وما يصاحبه من ممارسات تتمثل فى قيام اليهود الزائرين للضريح باحتساء الخمر والتبرج وارتكاب الحرمات والظهور بمظهر يتعارض مع التقاليد السليمة، وهو بذلك يكون مخالفا للنظام العام والآداب المصرية، ويشكل مساسا بالأمن والسكينة العامة وخروجا على جوهر الاحتفال بالشعائر الدينية وما تلزمه من طهارة ووقار، ويعد إيذاء لشعور المسلمين والمسيحيين الذين يرون مقدساتهم الإسلامية والمسيحية تنتهك فى القدس وقتل المدنيين والأطفال وتدمير مشروعات البنية التحتية واقتلاع أشجار الزيتون، ومحاولة هدم المسجد الأقصى رغم ما تبذله القيادة المصرية من صبر فى الدعوة للأمن والسلام.. الأمر الذى يكون معه إقامة تلك الاحتفالية فى تلك الظروف يمس الأمن العام والسكينة العامة ويتعين معه الحكم بوقف إقامة تلك الاحتفالية.

أنت تسأل
و
الفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

عدة مَنْ لا تنجب

السؤال من القارئ محمد أحمد سرحان، المحلة الكبرى، يقول:
طلق رجل زوجته ثلاثا وتزوجها آخر ثم أراد الأول أن يعيد زواجه بها فطلب من الثانى أن يطلقها ليتزوجها فورا بحجة أنها لا تنجب فلا مبرر لانتظار العدة؟ فما الحكم فى ذلك؟ وما رأيكم فى صحة زواج المحلل؟

الجواب: عدة المطلقة لابد منها على النحو المذكور فى القرآن الكريم أن الحامل عدتها وضع الحمل وغير الحامل عدتها ثلاثة قروء، أى «حيضات أو أطهار»، إن كانت تحيض، فإن كانت صغيرة أو آيسة فعدتها ثلاثة أشهر.

وإذا كان من حكمتها براءة الرحم من الحمل، التى قد تحصل بأقل مما ذكر فإن اتباع النص واجب وهو تمام القروء أو تمام الأشهر، وما يتعلل به مما جاء فى السؤال لا أصل له، ويحرم زواج رجل من امرأة مطلقة من غيره قبل أن تنتهى عدة الطلاق، دون اعتبار لكونها تحمل أو لا تحمل، وهذا إجماع لم يخرج عليه أحد.

أما زواج المحلل فهو صحيح إذا كان العقد صحيحا خاليا من شروط تفسده، وبشرط أن يعاشرها الزوج معاشرة جنسية صحيحة، وبدون هذين الشرطين يكون زواج التحليل باطلا وحراما، وعليه يحمل الحديث **«لعن الله المحلل والمحلل له»** انظر توضيح ذلك فى **«أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ـ المجلد الثانى ص٤٦٠»**.

الجهـــاد

السؤال من القارئ إسلام محمد هجرس، من كفر الزيات، بمحافظة الغربية، يقول:

ماهو جهاد فرض العين، وجهاد فرض الكفاية؟ وما حكمه فى عصرنا؟

الجواب: الجهاد هو بذل الجهد لنيل مرغوب فيه أو دفع مرغوب عنه، يعنى لجلب الخير أو دفع الشر، ووسائله كثيرة وميادينه متعددة، ومنه جهاد النفس والشيطان وجهاد الفقر والجهل والمرض، ومنه جهاد البشر بدفع الصائل المعتدى على النفس أو المال أو العرض، والذى يموت فى هذا الجهاد شهيد عند الله، كما فى حديث أبى داود والترمذى **«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»**، ومن جهاد البشر جهاد المعتدى على الوطن والحرمات، والواقفين فى طريق الدعوة.

وهذا الجهاد يسمى أيضا جهادا فى سبيل الله، وورد فيه قول الله تعالى: **﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾** التوبة: آية ٤١، وقول النبى ﷺ **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»** كما رواه أبو داود والنسائى وأحمد بسند صحيح.

قال العلماء: هذا الجهاد يكون فرض عين على كل قادر عليه إن إغارة العدو علينا، ويكون فرض كفاية إن لم تكن إعادة علينا، بمعنى أن البعض إذا قاموا به سقط الطلب عن الباقين، وإذا استنفر الإمام القوم وجب الخروج لقوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾** التوبة: آية ٣٨، وقوله ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»** رواه البخارى ومسلم.

فعلى كل مسلم أن يكون مستعدا لإجابة النداء للجهاد، وعلى المسلمين جميعا الاستعداد بأقصى ما يمكن كما قال الله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** الأنفال: آية ٦٠، وأوجب الإسلام أن يؤدى كل مسلم واجبه بالقدر الذى يستطيعه، ففى الحديث الذى رواه مسلم **«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزوٍ مات على شعبة من النفاق»**، وفى حديث البخارى ومسلم **«من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا»**، وفى حديث أبى داود: **«إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومُنَبله»** أى الذى يناوله للرامى أو يجهزه ليقوى على القتال.

هذه صورة مبسطة عن حكم الجهاد وعن ميادينه وعن أسلحته، وتغير الظروف له دخل كبير وبخاصة فى الميادين والأسلحة، مع التعاون التام والإخلاص الكامل.

فى الميـــراث

السؤال من مصطفى إبراهيم، يقول: توفيت أرملة ليس لها أولاد ولا إخوة عن عم وعمة أحياء وأولاد عم وأولاد عمة متوفيان فمن يستحق الميراث؟

الجواب: التركة كلها للعم، وليس للعمة، ولا لأولاد العم المتوفى ولا لأولاد العمة المتوفاة شىء من التركة.

التبــرع بديــن المتــوفى

السؤال من أحد القراء، من محافظة القاهرة، يقول:

توفى رجل عن دين عليه فقام إخوته بسداد دينه وكان من ضمن الدائنين مسيحى رفض أخذ الدين فتبرع به لصالح المتوفى، فهل يصح خروج هذا الدين كصدقة جارية؟

الجواب: لا مانع من قبول هذا التبرع، لأنه أصبح ملكا للميت يرثه الورثة، ويجوز لهم أن يتصدقوا به بنية أن الثواب للميت، فيأخذ صورة الصدقة الجارية، مع ملاحظة أن تبرع إنسان غير مسلم لعمل خيرى كبناء مسجد أو مساعدة فقير جائز، بمعنى أن نقبل منه تبرعه، بصرف النظر عن كونه يثاب على ذلك أولا، فالمهم أنه يجوز لنا أن نستعمله فى الخير.

صرح الإمام الشافعى بجواز وصية غير المسلم ببناء مسجد للمسلمين، وكذلك الوقف منه للمسجد، حتى لو لم يعتقده من القربات، وذلك لاعتبارنا نحن أن الوقف للمسجد قُربة، قال صاحب **«كفاية الأخيار»** فى فقه الشافعية (ج٢ ص٣٠): ويجوز للمسلم والذمى الوصية لعمارة المسجد الأقصى وغيره من المساجد، وفى كتب الأحناف أن وصايا غير المسلم ووقفه على إعمار وإنارة بيت المقدس جائزة، وكذلك بناؤه مسجدا لقوم معينين من المسلمين، ولو جعل داره مسجدا للمسلمين وأذن لهم بالصلاة فيها جازت الصلاة فيها، وجاء فى **«المغنى»** لابن قدامة صحة وصية الذمى للمسلم، وفى فقه المالكية خلاف فى قبول وقف غير المسلم على المساجد وأمثالها، وصحح العدوى جواز ذلك على «القرب» انظر فتاوى شيخ الأزهر المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٢هـ.

التبرع بالدم مقابل المال

السؤال من أ. ع. م. القاهرة، يقول:

ما الحكم فيمن يتبرع بدمه مقابل مال؟ وهل سيحاسب على ذلك يوم القيامة؟

الجواب: نقل الدم من شخص إلى آخر كنقل عضو منه إلى شخص آخر، يشترط فى جوازه أن يكون بإذن المنقول منه، وألا يكون فى النقل ضرر كبير عليه، وأن يغلب على الظن انتفاع المنقول إليه به، ورأى الأطباء والمختصين له دخل كبير فى تقدير ذلك، ثم إن كان النقل تبرعا بدون مقابل مشروط فلا حرمة ولا كراهة فيه بالشروط المذكورة، بل يكون من باب عمل الخير ونفع الغير، وله ثوابه إن شاء الله حسب النية، أما إن كان هناك مقابل لهذا النقل فإن كان غير مشروط، بمعنى أن المنقول إليه أعطى المنقول منه مالا أو هدية مكافأة له على عمل الخير فلا مانع منه، ففى الحديث أن من اصطنع معروفا إلى إنسان ينبغى مكافأته على هذا المعروف بمثله أو بأحسن، فإن لم يستطع يدعو له بالخير ويمدحه ويثنى عليه، رواه البيهقى. أما إن كان المقابل مشروطا فالنقل بيع أو شبهه، والرأى السائد أنه حرام وتوضيح ذلك مذكور فى الجزء الثانى من «بيان للناس من الأزهر الشريف» وفى الفتاوى الإسلامية «المجلد العاشر ص٣٧٠٢».

الصلاة على المنتحر

السؤال من القارئ، ص. أ. ع، من محافظة الجيزة، يقول:

هل تجوز الصلاة على المنتحر؟

الجواب: صلاة الجنازة فرض كفاية على كل من مات مسلما حتى لو كان عاصيا، ولا تجوز على الكافر ولا على المرتد، ومن الردة استحلال ما حرمه الله تحريما قاطعا، والانتحار محرم قطعا بالقرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ النساء: آية ٢٩، وبين النبى ﷺ فى الحديث الصحيح أن من قتل نفسه بحديدة أو سُمٍّ أو إلقاء من مكان عال فهو يعذب فى النار خالدا فيها أبدا على الطريقة التى قتل بها نفسه.

وإذا علمنا من المنتحر بكلامه أو بورقة مكتوبة بخطه مثلا أنه يستحل الانتحار كان مرتدا، فلا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين، وإن لم نعلم فنحمل أمره على الظاهر، وهو الإسلام، ونصلى عليه وندفنه فى مقابر المسلمين.

والحديث المذكور محمول على من استحل الانتحار، فهو مخلد فى النار، أو محمول على التغليظ والتنفير كما جاء فيمن قتل مؤمنا متعمدا ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾ النساء: آية ٩٣.

ومما يدل على أن المنتحر الذى لم يستحل الانتحار مؤمن وإن كان عاصيا - ما رواه مسلم أن رجلا هاجر إلى المدينة فمرض لعدم ملاءمة جوها له، فجزع فقطع مفاصل أصابعه فسال دمه بقوة ومات، فرآه الطفيل الدوسى فى المنام فى هيئة حسنة مغطيا يديه فقال له: ما صنع بك ربك؟ قال: غفر لى بهجرتى إلى نبيه، فقال: مالى أراك مغطيا يديك؟ قال: قيل لى: لن نصلح منك ما أفسدت، فقص الرؤيا على الرسول ﷺ فدعا له وقال «**اللهم وليَديه فاغفر**».

يقول النووى فى التعليق على هذا الحديث: فيه حجة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو فى حكم المشيئة، أى فى حكم قوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ النساء: آية ٤٨.

يؤخذ من هذا أن المنتحر الذى لم يعلم استحلاله للانتحار مؤمن، فيصلى عليه صلاة الجنازة لكن ورد نص يمنع الصلاة عليه، ففى مسلم عن جابر بن سمرة قال: أُتِىَ النبى ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص - سهام عريضة - فلم يصل عليه، قال العلماء: هذا الحديث محمول على التنفير من الانتحار، كعدم صلاته الجنازة على من عليه دين، وقد صلت الصحابة على المدين بأمر النبى ﷺ وذلك للتنفير من الدين وليس لأنه كافر، وتكره عند مالك الصلاة على المرجوم بحد، والفساق، وذلك زجرا لهم «صحيح مسلم - شرح النووى - ج٧ ص٤٧».

الزيــــادة فى الوضـــوء

السؤال من، أحمد محمد الشبينى من محافظة المنوفيــة، يقول: هل الزيادة فى الوضوء كأن يغسل الرجل وجهه أكثر من ثلاث خطأ وما حكمها؟

الجــواب: الزيادة فى الوضــوء أو الغسل على ثلاث مرات لغسل العضو منهى عنها لأنها إسراف، والنهى عن الإسراف معروف. روى أحمد والنسائى وابن ماجة وابن خزيمة بأسانيد صحيحة أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثا ثلاثا، وقال **«هذا الوضوء، من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»**، وروى عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: **«ما هذا السرف يا سعد»**؟ فقال: وهل فى الماء من سرف؟ قال **«نعم وإن كنت على نهر جار»** رواه أحمد وابن ماجة وفى سنده ضعف، وقال البخارى: كره أهل العلم فى ماء الوضوء أن يتجاوز فعل النبى ﷺ وقد صحت الأحاديث أنه كان يغسل أعضاءه ثلاثا.

القـــراءة من المصــــحف أثناء الصـــلاة

السؤال من القارئ محمد محمود عبود محمود عمار، من محافظة أسيوط، يقول:

ما حكم الدين فى قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة؟

الجواب: أخرج الإمام مالك أن ذكوان مولى السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كان يؤمها فى رمضان ويقرأ من المصحف، ولا بأس بذلك كما ذهب إليه الشافعية، والشرط ألا يفعل حركات تبطل الصلاة، كوضع المصحف ثم حمله وفتحه ليقرأ منه، فإن ثلاث حركات ليس بينها فاصل طويل تبطل الصلاة. وقد يستعان على عدم كثرة الحركات بوضع المصحف ذى الخط الكبير على شىء مرتفع أمام المصلى ليقرأ منه الصفحة والصفحتين، ولا يحتاج إلى تقليب الأوراق كثيرا، والقليل من التقليب لا يبطل الصلاة، قال النووى فى **«المجموع»**: ولو قلَّب أوراق المصحف أحيانا فى صلاته لم تبطل.

من هذا نرى أن القراءة فى الصلاة من المصحف جائزة عند المالكية، ولكن محل ذلك هو فى التراويح والنوافل. أما فى صلاة الفرض فمكروهة، لكن الصلاة صحيحة وكذلك جائزة عند الشافعية، والحنابلة كالمالكية فى الجواز فى النفل والكراهة فى الفرض مع صحة الصلاة، أما الحنفية فقد نقل عن الإمام أبى حنيفة أنها تبطل الصلاة إذا لم يكن حافظا، لأنه عمل طويل، ولأن التَّلَقُّن من المصحف كالتلقن من غيره. ومثل الحنفية الظاهرية فى البطلان.

ومن أدلة المجيزين ماسبق ذكره عن مولى السيدة عائشة، وأخرجه مالك، وسئل الزهرى عن رجل يقرأ فى رمضان فى المصحف فقال: كان خيارنا يقرءون فى المصحف.

ومن أدلة المانعين ما رواه ابن أبى داود فى كتاب **«المصاحف»** أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس فى المصاحف، وروى عن بعض التابعين كراهته، والشرط عند الجواز عدم الفعل الكثير. والأولى أن يكون ذلك لغير الحافظين، وفى النوافل، واختلافهم رحمة.

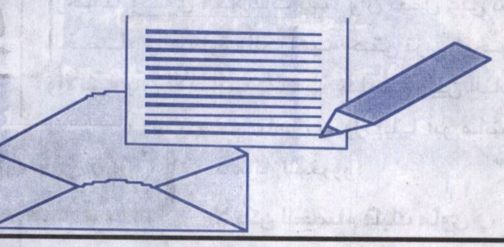

مع القراء

□ أ. حسين السكرى □

حسن الخلق

للقارئ/ عبدالعزيز عبدالغفار طه - طالب بكلية أصول الدين والدعوة - بيلا - روس الفرخ - الزقازيق.

الدين كله خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدين، وقد قيل: إن حسن الخلق بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، وقيل: حسن الخلق بذل الجميل وكف القبيح، وقيل: التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل، وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان: لا يتصور قيام ساقه إلا عليها وهى: الصبر والعفة والشجاعة والعدل، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش وعدم العجلة والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة، والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيثار معالى الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذى هو شجاعة النفس وقوتها والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفى الإفراط والتفريط فيدفعه إلى خلق الجود والسخاء وعلى خلق الشجاعة الذى هو وسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذى هو توسط بين الغضب والمهابة وسقوط النفس، فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة أما منشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب، فالجهل يريه الحسن فى صورة القبيح، والقبيح فى صورة الحسن، والكمال نقصان والنقص كمال، والظلم: يحمله على وضع الشىء فى غير موضعه، فيغضب فى موضع الرضى ويرضى فى موضع الغضب، ويجهل فى موضع الأناة ويبخل فى موضع البذل ويبذل فى موضع البخل ويحجم فى موضع الإقدام ويقدم فى موضع الإحجام، ويلين فى موضع الشدة، ويشتد فى موضع اللين، ويتواضع فى موضع العزة، ويتكبر فى موضع التواضع، والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهم والجشع والذل والدناءات كلها، والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه.

❖❖❖

حسن الخلق رأس كل الفضائل وأصل كل المكارم، فمن حسن خلقه جمع بين كل المزايا الدينية والدنيوية، وكان جديرا بالقبول عند الله سبحانه وقريبا من الناس فتعلو هيبته بينهم فيلتف حوله معظم الناس ويسعدون بمجالسته والقرب منه، والدين الإسلامى جاء لينادى بمكارم الأخلاق بعد حياة الجاهلية التى عصفت بها المحن والإحن وانتشر فيها الجهل والضياع والفساد، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ لرسوله الكريم ﷺ ويشيد الرسول ﷺ بأدب الله له قائلا: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

أين صلة الرحم؟

للقارئ / ياسر محمد على عسل - جلوة الصباح - قليوب - القليوبية:

إننا نعيش الآن فى زمان وهنت فيه العلاقات بين الناس وذابت الروابط حتى بين أقربهم واشتعلت بين بعضهم نار العداوة والكراهية فعاش أغلبهم فى فرقة واضحة فى حين أن الإسلام يدعونا إلى الوحدة فيقول عز من قائل:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾.

وكل هذا الخصام يحدث لأسباب تافهة تتصل كلها بأمور الدنيا ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد دعا إلى التقارب وصلة الرحم فيقول رب العزة فى حديث قدسى جل جلاله: **«أنا الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته».**

ويقول رسولنا الكريم ﷺ: **«من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه».**

ومن كل هذا نعلم أننا كمسلمين علينا أن نصل أرحامنا ونقوى العلاقات بيننا وأن نعمل على نبذ الخصام والعداوة والكراهية حتى تزيد المحبة والألفة بين الأقارب بصفة خاصة وبين الناس بصفة عامة. يقول إيليا أبو ماضى فى دعوته للمغرور:

لا يكن للخصام قلبك مأوى

إن قلبى للحب أصبح معبد

❖❖❖

لقد طغت الماديات على تلك الحياة التى نحياها فى هذا الزمان وأصبحت المصالح الشخصية تمتلك زمام الأمور وتسيطر على خلجات النفوس وبات كل إنسان يفكر فى نفسه وفى أسرته وأولاده، بل لقد بعد التآلف والتعاطف بين الآباء والأبناء والأمهات، وهذا من أكبر المحن التى تفشت فى هذا الجيل نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والنجاة، إنه ولى التوفيق ومؤلف القلوب.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - رجب ١٤٢٢هـ (١١)

السؤال : «إنه مما يزيد من تضييق الخناق حول إسرائيل مواجهتنا لأمريكا بأن تتوقف فوراً عن مساندة إسرائيل والانحياز السافر لها»

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

رقم البطاقة : .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢١هـ حتى شعبان ١٤٢٢هـ

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : عامر عيد إبراهيم سالم
الهواية : تجويد القرآن الكريم ـ المراسلة
العنوان : القطوشة ـ سمالوط ـ المنيا

الاسم : القذافى عبدالعال عباس
الهواية : قراءة القرآن ـ الخطابة الدينية
العنوان : قنا ـ أبو تشت ـ قرية كوم جابر

الاسم : محمد إسماعيل عبدالعليم
الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة القرآن
العنوان : البحيرة ـ إيتاى البارود ـ زبيدة

الاسم : صلاح عبده حسين زاهر
الهواية : الخطابة ـ الاطلاع الدينى
العنوان : البوها ـ ميت غمر ـ دقهلية

الاسم : خيرى محمد إبراهيم أبو الروس
الهواية : قراءة القرآن والخطابة الدينية
العنوان : كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ .

الاسم : حسن عيد عبدالغنى على
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : غيتة ـ بلبيس ـ شرقية

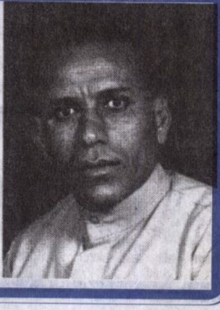

الاسم : السيد عبدالكريم السيد رزق
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : دروة ـ أشمون ـ منوفية

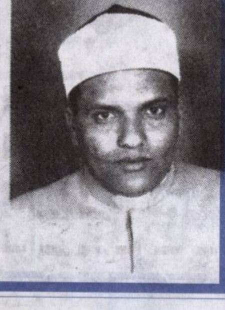

الاسم : عبدالباسط أحمد محمد حسن
الهواية : قراءة المجلات الإسلامية
العنوان: كدوة السويد ـ كوم الفرج ـ أبو المطامير ـ بحيرة

الاسم : عسران أحمد عسران
الهواية : قراءة القرآن - تعلم الكمبيوتر
العنوان : قنا - دشنا - أبو مناع - بحرى - ش الشيخ الطوابى

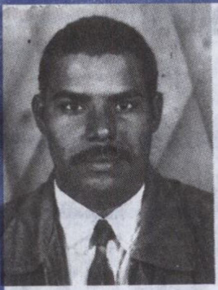

الاسم : حسين فرج جبر حسين
الهواية : قراءة القرآن الكريم وسماعه
العنوان : طنامل الشرقى - أجا - دقهلية

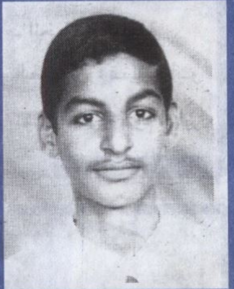

الاسم : عبدالتواب تحيف الدين دياب
الهواية : قراءة الكتب الدينية والقرآن الكريم
العنوان : الشيخ سليمان - أبشواى - الفيوم

الاسم : مصطفى محمد مصطفى
الهواية : والاطلاع الدينى - والخطابة
العنوان : جرجا - محافظة سوهاج

الاسم : محمد صابر محمد إمام
الهواية : المراسلة - الاطلاع الدينى
العنوان : كفر شبين - مركز شبين - القليوبية

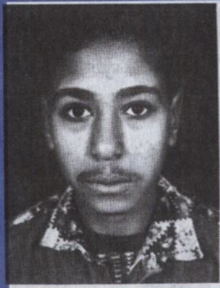

الاسم : عادل أحمد سرحان عثمان
الهواية : تلاوة القرآن الكريم - الأحاديث
العنوان : رشيد - ش المحطة - البحيرة

الاسم : غريب عبدالمؤمن عبدالفتاح
الهواية : قراءة القرآن - الاطلاع الدينى
العنوان: السويس - ٢٤ أكتوبر المميز - ع ٦ ب شقة ٢

الاسم : إبراهيم عبدالحى محمد
الهواية : الخطابة - قراءة القرآن - المراسلة
العنوان : ٨ ش السنارى من ش ترعة الجبل - المطرية

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

- □ **كلمة التحرير** ١
- □ **حديث الشهر** (أمريكا تحت الهجوم) ...... بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق ٢
- □ **القرآن الكريم وعلومه** ٥
- ● تفسير سورة النجم .... أ. د. محمد سيد طنطاوى ٦
- ● هل التفسير العلمى للقرآن حرام؟ .... أ. رجب البنا ١١
- ● أصول التربية فى المنهج القرآنى .... أ. د. مصطفى رجب ١٦
- ● حقوق الإنسان فى القرآن والسُنة .... السيد أحمد المخزنجى ٢٠
- ● خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف .... أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٢٥
- ● العقيدة.. البعد الغائب فى الصراع العربى الصهيونى .... أ. د. محمد السيد الجليند ٣٢
- ● شارون الشرير (شعر) .... عمر موسى البرعى ٣٨
- □ **فى ذكرى الإسراء والمعراج** ٣٩
- ● الإسراء والمعراج «للحافظ بن حجر العسقلانى» .... د. محمد عبدالمنعم خفاجى ٤٠
- ● أضواء على الإسراء والمعراج .... د. حسين عباس الأنصارى ٤٦
- ● دروس من الإسراء والمعراج .... أ. د. محمد عبدالسميع شبانة ٤٩
- ● حول الإسراء والمعراج .... رجب عبدالمنصف ٥٢
- ● هذا إسراؤه.. فأين إسراء الأمة؟ .... تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان ٥٦
- ● الإسلام والانتماء الوطنى والقومى .... أ. د. محمد عمارة ٦٢
- ● الصهيونية والعنصرية .... أ. د. محمد جلاء إدريس ٦٧
- ● مؤتمر الحوار الإسلامى ـ المسيحى فى زيوريخ (دفاع عن الإسلام ضد التضليل الإعلامى) .... تحقيق: بدر الدين السيد ٧٦
- ● المقاطعة الاقتصادية.. أهى سلاح ذو جدوى؟ .... أ. د. محمد عبدالحليم عمر ٨٣
- ● الإسلام والآخر.. من يعترف بمن ومن ينكر من؟ .... عرض: حسن أحمد خليل ٨٧
- ● مثل تاريخية نادرة .... أ. د. محمد رجب البيومى ٩٠
- □ **الحضارة والعلوم** ٩٥
- ● الصحة والمرض فى منظور الإسلام .... أ. د. عبدالمعبود عمارة ٩٦
- ● الشمس فى القرآن الكريم .... د. حسنى حمدان حمامة ٩٩
- ● رحم الله أخوينا د. رمضان عبدالتواب وإبراهيم الترزى ١٠٢
- □ **الدعوة والدعاة** ١٠٣
- ● الصبر والصلاة والاستعانة بالله.. طريقنا إلى النصر .... أ. د. أحمد عمر هاشم ١٠٤
- ● الولاء لآل البيت .... د. عبدالحليم عويس ١٠٨
- ● الرسول ﷺ وصدق الإيمان .... أ. محمد عبدالعزيز عوض ١١٢
- ● مع المتنبى فى شعر الوصف .... أ. د. طه مصطفى أبو كريشة ١١٨
- ● مسلمو الهند.. ثانى أكبر تجمع إسلامى فى آسيا .... حوار: محسن عبدالفتاح ١٢٣
- ● الإسلام فى كازاخستان .... د. عبدالستار درويش ١٢٨
- ● وراء الأخبار .... إعداد: منير بيومى ١٣١
- □ **أنت تسأل والفقيه يجيب** .... فضيلة الشيخ عطية صقر ١٣٦
- □ **مع القراء** .... يحرره حسين السكرى ١٤١
- □ **بريد التعارف** ١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر